مدخل إلى أصول العَلاقات الاجتماعيّة في الإسلام

الشيخ جميل الربيعي



المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام



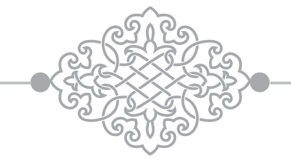
مدخل إلى أصول

العلاقات الاجتماعيّة في الإسلام

الشيخ جميل الربيعي



تصـــديـــر



من دون أن تعيش الأمّة علاقاتِها الاجتماعية المبنية على القواعد القرآنية الأصيلة، لا يمكن لها أن تستلهم جوهر الإيمان، أو أن تبني واقعها بناءً حضاريّاً، يعيش فيه الإنسان الأمن والأمان، ويكون الكون برمّته ساحةً للتلاقي بين الأمم والشعوب كافّةً لتستفيد من الإسلام في أخلاقيّاته ورؤاه الاجتماعيّة التي تبني أسرةً، وتقيم مجتمعاً، وتعمُر وجوداً، على أسس لا تعرف الاهتزاز، وقواعد صلبة لا تقوى عليها الأعاصير...

من هنا، فإنّ سماحة الشيخ جميل الربيعي، الخطيب الإسلامي المعروف في الأوساط والحوزات العلميّة بقوّة بيانه، وقدرته على إظهار الرؤى الإسلامية الأصيلة من خلال منبره الحسيني الذي يتّسم بالوعي والرساليّة ونشر الفكر الإسلامي، قام بتأليف هذا السِّفر الأخلاقي والتربوي والاجتماعي الذي يُعدُّ رؤية إسلاميّة متكاملة تنطلق من خلال القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة وسيرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام...

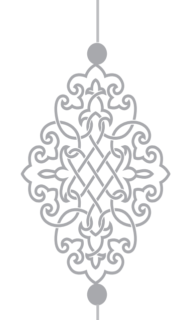
ويُعتبر هذا الكتاب من الكتب التي تُغني المكتبة الإسلاميّة والعربية بالفكر الإسلامي في أصالته، ويُعتبر مرجعاً للمبلِّغين والدُّعاة في عملهم الرسالي والتبليغي، ورسالة إسلامية واضحة المعالم لجمهور الشباب الرسالي الذي

يحرص على بناء شخصيّته بناءً رساليّاً متيناً لا تُسقطه التحديات ولا تزعزع إيمانه الشهوات والمغريات وما إلى هنالك...

ونحن في المركز الإسلامي الثقافي في لبنان والعراق، يسرّنا أن ننشر هذا الكتاب لسماحة الشيخ الربيعي، سائلين المولى تعالى أن يحفظه ويديم عليه الصحّة والعافية، حتى يكمل مسيرة التبليغ والدعوة إلى الله تعالى... إنّه سميع مجيب...

مدير المركز الإسلاميّ الثقافيّ
شفيق محمّد الموسوي
جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ/ شباط ٢٠١٦م

الإهداء



إلى العالِم العامل الزاهد التقيّ الورع..

الذي أوقف حياته كلّها لتبليغ رسالة الله تعالى..

والذي مَنَّ اللهُ عليَّ بالتعرّف عليه والتّلقي منه..

حتى وضعني على جادة الصواب..

وغذّاني بحبّ الله ورسوله وأهل بيته الطاهرين..

وعلّمني الإسلام عقيدةً ونظاماً للحياة..

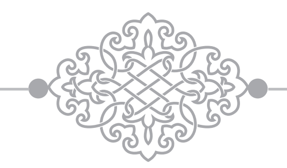
وسبيلاً لإنقاذ البشرية من شقائها..

ذلك هو أستاذنا المقدّس

آية الله الشيخ عبد الحسين آل خليفة

رزقنا الله شفاعته

التّمهيد



الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطاهرين.

لا أُريد أن أكتبَ في (علم الاجتماع) بالمصطلح المعروف عند المختصّين فيه، الذين يبحثون في كيفيّة نشوء المجتمعات، واستمراريّتها، ونموِّها، وتطوّرها، وتفسير ظواهرها، ودراسة عادتها، وتقاليدها، وأعرافها، وأنشطتها، وما يدور في أوساطها من مظاهر فكريّة، أو سياسيّة، أو اجتماعيّة... أو غير ذلك، وإنّما أريد أن أبرز اهتمام الإسلام بالعمل الاجتماعي، وبيان أصول التعامل الاجتماعي وفق المنهج الإلهي.

إنَّ الهدف الأساسي من البحث هو رسم خطّة عمليّة وفق رؤية إسلاميّة لكيفيّة التعايش بين أبناء المجتمع، بأمنٍ، وسلامٍ، وإخاءٍ، وتوادٌ، بطرق سليمة تقودهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

إنَّ حَمَلَةَ رسالة الله تعالى بأمسِّ الحاجة لمعرفة أساليب التعايش، والتآلف مع الناس، يعلّمونهم، ويتعلَّمون منهم، يأخذون، ويعطون، يُؤثّرون، ويتأثّرون؛ لينشروا نور الله تعالى في أيّ وسط حلّوا فيه؛ ليغيّروا الواقع الفاسد إلى واقع سليم، فعلى كلّ من آمن بدين الله أن يبذل كلّ ما في وسعه؛ لتحكيم رسالة الله في حياة الناس، فقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم؛ لينير الدرب للبشريّة جمعاء لما فيه سعادتها، وهناؤها؛ إنَّه النور الذي يمزّق أمواج الظلم، والظلام، ويرسم للإنسان

منهجاً فكريّاً وسلوكيّاً يقوده إلى ساحل النجاة، ﴿**أَوَ مَنْ كانَ مَيتاً فأحْيَيْنَاهُ وَجَعلْنا لـهُ نُوراً يَمْشي بهِ في النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذلك زُيِّنَ لِلكافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ**﴾[1].

إنَّ من أهم واجبات المؤمن بالله أن يحمل نور السماء ﴿**يَمْشي بهِ في النَّاسِ**﴾ (أي يتبصّر به في مسير حياته الاجتماعية المظلمة؛ ليأخذ من الأعمال ما ينفعه في سعادة حياته، ويترك ما يضرّه)[2]، ويحمل نور الرسالة بوعي، وهدفيّة بنّاءة؛ ليستطيع أن يُخرجَ الناسَ من ظلمات الوهم، والجهل، والكفر، والنفاق، والضياع، والتذبذب إلى نور الحقّ، والعدل، والإنسانية؛ ومن أجل هذه الغاية أرسل الله رسله، وشرّع الشرائع؛ ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.

﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد**﴾[3].

﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[4].

﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾[5].

هذا هو واجب الرّسل، ومن سار على هَدْيِهم إلى يوم الدين: إخراج الناس من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق؛ ويحقّق الله هذا الهدف على أيدي عباده بمقدار إخلاصهم له، وبمقدار ما يبذلون من جهد في سبيل إعلاء كلمته، وبمقدار ما يتقنون من فنّ الدعوة والهداية، والتوجيه والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) الأنعام: ١٢٢ .

(٢) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٧/ ٣٣٩ .

(٣) إبراهيم: ١ .

(٤) الحديد: ٩ .

(٥) إبراهيم: ٥ .

وسواء كان هذا الأمر هو العلم، أو الحقّ، أو الدين، أو الإيمان ـ على اختلاف أقوال المفسرين ـ فهذه المعاني بمدلولاتها الإسلامية تؤدّي إلى نتيجة واحدة.

ولكنَّ حمل هذا النور ونشره لا بدَّ له من طريقة وأسلوب صحيح في كيفيّة توجيه الناس إليه؛ ليستضيئوا به، والشريعة المقدسة كما أمرت بحمل الدعوة، وبيَّنت أهدافها، بيَّنت أساليب الهداية، وطرق التبليغ، وصدعت بصريح العبارة، وبصيغة الأمر: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(١).

إنَّ وعي أساليب الدعوة إلى الله تعالى كما بيَّنها القرآن الكريم في مواضع عديدة، وطبَّقها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام بسيرتهم العمليّة من الضرورات الملحّة لحياة الإنسان الرساليّ، ـ والجهل بها يجمّد أكبر الطاقات العلميّة، ويحصرها في زوايا الإهمال والنسيان ـ فكم من شخص أراد هداية الناس، فأخرجهم منها؛ لأنَّه لا يعرف أصول التعامل البشري، وطريقة الإرشاد والتعايش؛ فالتعايشُ مع الناس لهدايتِهم وإرشادِهم فنٌّ من فنون الحياة الاجتماعيّة يحتاج إلى الحكمة، والرؤية الواضحة، والتبصّر في أحكام الله تعالى، ومعرفة أسرار النّفس الإنسانية، وأطوارها، وما يؤثّر فيها سلباً وإيجاباً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾.

ولا شكّ في أنَّ ذلك له طرق، وأساليب، وأدوات، وبرامج أقرّتها الشريعة المقدّسة، وسلكها العقلاء من جميع المذاهب الأرضيّة والسماوية مع اختلاف الأهداف؛ ولذلك يجب أن نعرفَها، ونَعِيَها جيداً، ونُشَخّصَ أسلمها للخدمة الاجتماعيّة؛ لتؤدّيَ دورها في الحياة، فكم رأينا من بضاعة ثمينة لم يعرف صاحبها كيف يعرضها على الناس قد كسدت، وكم رأينا من بضاعة دونها قيمة رَبِحَ صاحبُها كثيراً؛ لأنَّه عرضها بطريقة سليمة وجذّابة.

(١) النحل: ١٢٥.

إنَّ أساس سعادة الإنسان ـ بعد الإيمان بالله تبارك وتعالى ـ هو أن يبني علاقاته على أسس سليمة؛ لأنَّ (الخاصيّة الاجتماعيّة للفعل الإنساني تتأتّى من أنَّ هذا الفعل يخضع لقواعد، أو طرق جمعيّة في السّلوك، وفي التّفكير والشعور، هذه الطرق خارجة عن الأشخاص، ولها على تصرّفاتهم وسلوكهم سلطة من القسر)[١].

ومن أوليّات أسس بناء العلاقات الاجتماعيّة: هو معرفة مداخل النّفس البشريّة، وما يؤدّي إلى انفتاحها، وانشراحها، ومعرفة عوامل انغلاقها، وقد بذل علماء النّفس جهوداً جبّارة لأجل هذه الغاية، وتمخّضت عن تجاربهم، وبحوثهم مدارس نفسيّة واجتماعيّة متشعّبة الآراء والاتجاهات، ورغم ذلك اتفقوا على (أنَّ علم النّفس وعلم الاجتماع هما ركنا هذا الأصل الأساسيّان، وهما القدرة والمعرفة، وكلاهما لا بدّ من تحصيله واكتسابه)[٢].

إذن لا بدّ من المعرفة بأساليب الدخول إلى قلب الإنسان، وعقله؛ لنعرف كيف نهديه؟ وكيف نوجّهه؟وكيف نفتح قلبه لقبول الحقيقة؛ لأنَّ الجهل بالأساليب السليمة لمخاطبة القلوب والعقول يجمّد طاقات الإنسان مهما كانت كبيرة، فكم رأينا من أناس رُفِضوا ونُبِذوا لا لشيء إلاّ لأنَّ طريقتهم في عرض أفكارهم لم تكن سليمة، أو جهلوا حاجة الناس، فكلّموهم فوق مداركهم، وقد أشار الرسول الأعظمﷺ إلى أسلوب مخاطبة الناس، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم بقوله: «**نحن معاشر الأنبياء أُمِرْنا أن ننزل النّاس منازلهم، ونكلّمهم على قدر عقولهم**»[٣].

وعلى العكس من أولئك كم رأينا من الناس مع قلّة ما يحملون من معارف استطاعوا أن ينفذوا إلى قلوب الناس، وعقولهم بحسن أخلاقهم، وطيب

(١) مدخل إلى علم الاجتماع العام: ٣٤.

(٢) الشهيد الشيخ مرتضى المطهري، الملحمة الحسينيّة: ٢/ ١٨٠ .

(٣) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين: ١/ ٥٧ .

معاملتهم، ودقّتهم في مراعاة شعور الناس وإحساساتهم، وقبل كلّ ذلك بإخلاصهم لله تعالى؛ فمعاملة الناس ومعاشرتهم فنٌّ من فنون الحياة، ولا أبالغ إذا قلْتُ من أهمّها، فعليها يتوقّف تكيّف الإنسان مع مجتمعه، ومعلوم أنَّ الإنسان إذا لم يتكيّف مع الوضع الاجتماعي لا يستطيع أن يؤثّر فيه ويغيّره، يقول أحد علماء الاجتماع: «إنّ المقدرة على معاملة النّاس «بضاعة» يمكن أن تشترى كالسكر والبن! وإنّي على استعداد لأن أشتريها بأكثر ممّا يشترى أيّ شيء آخر في الوجود!»[1].

وخلاصة الكلام: إنَّ بحثنا هذا يستهدف بيان كيفيّة بناء علاقات إنسانيّة سليمة وَفْقَ ما ورد من توجيهات وتعاليم إسلامية، وقد برزت على المستويين النظري ـ المتمثل بكتاب الله عزّ وجلّ، وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السلام ـ والعمليّ الذي برز في السيرة العمليّة للرسول المصطفى وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

ومن هنا علينا أن نتأمّل جيّداً في علاقاتنا الاجتماعية، ونعرضها على ميزان الإسلام العظيم؛ فهو منهج فكريّ وعمليّ رُسِمَ للإنسان لوضعه على الجادّة المستقيمة، حيث أوضح لـه سبيل الوصول إلى ما يرنو إليه من راحة بال واطمئنان، وسلامة العاقبة في الدنيا والآخرة، يقول الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي: «**اعرض نفسك على** [ما في] **كتاب الله، فإن كنتَ سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر**»[2].

فعلينا أن نفكّر جيّداً: كيف نفهم الناس؟ وكيف نتعامل معهم؟ وكيف ندخل إلى قلوبهم وعقولهم؛ كي نخرجهم من ظلمات الجهل والوهم إلى نور العلم واليقين؟

فالهدف هنا بيان كيفيّة التعامل المؤثّر البنّاء مع الناس من منظور إسلاميّ صحيح، ومن الجدير بالذكر أنَّ معظم النّظريات الاجتماعيّة والنّفسيّة بمختلف

---

(١) ديل كارنيجي، كيف تختار الأصدقاء وتؤثّر في الناس: ٢ ، ترجمة: محمد عبد المنعم الزيادي.
(٢) المحدّث المجلسي، بحار الأنوار: ٧٨/ ١٦٣ .

مدارسها ـ وإن نحت منحى الطابع العلمي ـ إلا أنَّها تُخفي وراء ذلك أهدافاً استغلاليّة استعماريّة؛ فوراء تلك البحوث والتجارب أهداف غير إنسانية، وقد وقعت كلّ الكشوف الاجتماعيّة والنفسيّة مع الأسف الشديد تحت أحابيل المكر السياسيّ، فأغلب الدّراسات الاجتماعيّة ـ أراد الباحثون أو لم يريدوا ـ تبتني على أساس واحد، وهو كيفيّة التوصّل إلى السّيطرة والاستغلال، بل الاستحواذ على الشّعوب، وسلب خيراتها، وامتصاص دمائها، واستعبادها، وشتّان بين ما يهدفون، وبين ما يهدف التّفكير الإسلامي الّذي لا يبتغي من معرفة النّاس إلا هدايتهم وإصلاحهم لما فيه سعادتهم، ونجاتهم في الدنيا والآخرة.

قارئي العزيز:

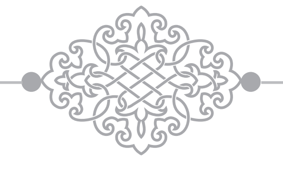
هذه وريقاتٌ كُتبت كمدخل إلى أصول العلاقات الاجتماعية في الإسلام من خلال معايشتي للناس، وتطلّعي ـ بفضل الله ـ إلى حاجتهم الأساسيّة، وهي كمدخل مختصر، فاتحاً بذلك الباب أمام العلماء والمفكرين ممن يهمُّهم مصلحة الإسلام والأمّة، ويسهرون على الأخذ بيدها لما فيه الصلاح؛ ليرفدوا المكتبة الإسلاميّة بما تحتاجه من بحوث في العلاقات الاجتماعيّة.

وليس للإنسان أن يدّعي الكمال أو إصابة الواقع دائماً، فإن أصبتُ فمن فضل الله تعالى، وإن أخطأتُ فمن عند نفسي، والمأمول من القرّاء الكرام أن لا يبخلوا علينا بملاحظاتهم، ومن الله التوفيق.

الشيخ جميل الربيعيّ

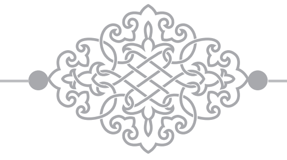
النجف الأشرف

الفَصلُ الأَوَّلُ



أهميّة العلاقات في حياة الإنسان

النّزعة الاجتماعيّة ذاتيّة في الإنسان



إنّ مما لا يختلف فيه اثنان أنَّ النفس الإنسانية ذات طبع فطريّ أصل للاجتماع، ولذلك لا يمكن للإنسان أن يستغني عن المجتمع بحال، فوجوده في الوسط الاجتماعيّ حاجة نفسيّة، وخاصيّة ذاتيّة متأصّلة في ذاته، يقول ابن خلدون: «إنّ الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدنيّ بالطبع، أي لا بدَّ له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم»[(١)].

ويقول العلامة الطباطبائي: «كون النّوع الإنساني نوعاً اجتماعياً لا يحتاج في إثباته إلى كثير بحث، فكلّ فرد من هذا النوع مفطور على ذلك، ولم يزل الإنسان يعيش في حال الاجتماع على ما يحكيه التأريخ والآثار المشهودة الحاكية لأقدم العهود التي كان هذا النوع يعيش فيها، ويحكم على هذه الأرض»[(٢)].

وقبل هذا وذاك فإنَّ القرآن الكريم أشار إلى ذاتيّة النزعة الاجتماعيّة في الإنسان بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[(٣)].

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ١/ ٤١ .

(٢) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٩٢.

(٣) الحجرات: ١٣ .

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾(١).

وهذه الحقيقة قد وردت في آثار النبوّة بشكل صريح واضح، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّهُ لا بدّ لكم من الناس، إنَّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض**»(٢).

وعن صعصعة بن صوحان قال: «عادني عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام في مرض، ثم قال: **انْظُرْ لا تَجْعَلَنَّ عِيَادَتِي إيّاكَ فَخراً عَلَى قَوْمِكَ، وَإذا رَأَيْتَهُمْ فِي أَمْرٍ فَلا تَخْرُجْ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بالرَّجُلِ غِنًى عَنْ قَوْمِهِ، إذا خَلَعَ مِنْهُمْ يَداً واحِدَةً يَخْلَعونَ مِنه أَيْدِياً كَثيرَةً، فَإذا رَأَيْتَهُمْ في خَيْرٍ فَأَعِنْهُم عَلَيْهِ، وَإذا رَأَيْتَهُم في شَرٍّ فَلا تَخْذِلَنَّهُمْ، وَلْيَكُنْ تَعَاوُنُكُم عَلى طَاعَةِ اللهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَزالُوا بِخَيْرٍ ما تَعَاوَنْتُمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ تَعَالى، وَتَنَاهَيْتُمْ عَنْ مَعاصِيْهِ**»(٣).

كما أكّد علماء النفس وجود الروح الاجتماعيّة في الإنسان، وإن اختلفوا هل هذا الميل فطري، أو مكتسب، إلا أنَّ نظرية الاكتساب لم تثبت أمام النقد، فهذا (مكدوجل) وغيره يرون أنّ الدّافع الاجتماعي دافع فطريّ، وأنّ الإنسان حيوان اجتماعيّ بطبعه، يميل إلى العيش في جماعات، وإلى الاجتماع ببني جنسه، والاشتراك معهم في أوجه نشاطاتهم، ويشعر بالوحشة والضيق إن حيل بينه وبين ذلك(٤).

وكما أنَّ الإنسان اجتماعيّ بطبعه، كذلك لا يستطيع أن يكتفي ذاتيّاً في سدّ حاجاته الماديّة، ولا قدرة له على الوحدة؛ فهي أثقل شيء عليه، وبها يكون في غاية الوحشة، بل يستحيل استمرار وجوده بدون الاجتماع.

---

(١) الفرقان: ٥٤ .

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩٩، باب وجوب عشرة الناس العشرة، ح/ ٥ .

(٣) الشيخ الطوسي، كتاب الأمالي: ٥١٧ .

(٤) ينظر: الدكتور أحمد عزت راجح، أصول علم النفس: ٩١ .

إذن الاجتماع ضرورة لسعادة الإنسان، وشرط في استمرار وجوده، فهو يستأنس بوجود أبناء جنسه، وَيُقوِّم حياته فيهم من جميع نواحيها الماديّة والمعنويّة.

وخلاصة الكلام: لا يمكن للإنسان أن يعتزل الجماعة، ويعيش وحده، ويمكن ذكر جملة من الأسباب لذلك، منها:

١ـ لأنَّه لا يستطيع تحقيق لوازم حياته الأساسيّة بدون جماعة.

٢ـ من خلال انضوائه للمجتمع يحسّ بالأمان، والأهميّة، والارتباط، ودون ذلك لا يجد الإنسان معنى لحياته.

٣ـ إنَّ المجتمع يهيّئ للإنسان فرص النموّ، والتكامل النفسيّ، والفكريّ، والمهنيّ، وبذلك يسدّ حاجاته من خلال المجتمع، ويستمرّ وجوده بهم، وتلك حكمة الله تعالى في خلقه، حيث فطرهم على روح التجمّع، وما أجمل ما قاله فيلسوف الرومان شيشرون: «لو أنّ الآلهة رفعت إنساناً من بين قومه ووضعته في روض أريض بعيداً عن منازل الناس، وجعلت تحت أمره الشيء الكثير من كلّ ما تشتهيه النفس، ويسرّ الخاطر، ثم حتمت عليه أن لا يرى بشراً، ولا يساكن إنساناً لتخيَّر الفقر المدقع بين قومه على نعيم مقيم لا يكلّم فيه إنساناً»[١].

وقال آخر: «لو أن إنساناً صعد إلى السماء، وشاهد من هنالك عجائب الأرض وجمال الكواكب لتبرَّم، وضاق صدره؛ لأنَّه لم يجد من الناس من يخبره بما شاهد من عجائب الأرض وبدائع السماوات»[٢].

وقال أبو العلاء المعري[٣]: [من الوافر]

ولو أنّي حُبيتُ الخُلْدَ فرداً لما أحببتُ بالخُلْدِ انفرادا

---

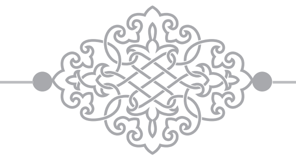
(١) بطرس البستاني، دائرة المعارف: ١١/ ٤٧٠ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) شروح سقط الزند: ٢/ ٥٦٤ .

وقد انتبه إلى هذه الحقيقةِ الطغاةُ عَبْرَ التأريخ؛ ولذا نراهم إذا أرادوا أن يعذّبوا إنساناً، ويحطّموا نفسيته، عزلوه في سجن انفرادي؛ ليشعروه بالوحشة، والوحشة قاتلة لروح الإنسان.

اهتمام الأمم والشعوب والحكومات في العلاقات العامّة



بما أنَّ النزعة الاجتماعية ذاتيّة في طبيعة الإنسان وفطرته، لا نجد أمّة من الأمم، ولا شعباً من الشعوب، إلا ولهم اهتمامات كبيرة في بناء شبكة علاقات فيما بينهم أو مع غيرهم، ولكلّ مجتمع طرقه الخاصة في تحقيق ذلك.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد أدرك الإنسان أنَّه لا يمكن أن تستقيم حياته، وتستمرّ بدون علاقات مع بني جنسه، ولا يمكن أن يتمّ التلاقح الفكريّ، والتوازن بين الشعوب المختلفة، وفي جميع المجالات الاجتماعيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة، والعلميّة بدون بناء روابط وعلاقات؛ ولهذا نجد في طوايا التأريخ القديم أنَّ رؤساء القبائل البدائية يقومون بنشاطات عامّة لتقوية علاقاتهم بمرؤوسيهم، ويستعينون بالشعراء، والسحرة، والأطباء... ويقيمون الحفلات، ويجمعون الناس من حولهم للغرض نفسه، كما كانت تلك القبائل تعدّ بناء العلاقات مع القبائل الأخرى قوّة لها؛ ولهذا كان حسن الاستقبال، وكرم الضيافة، وتقديم المعونة للزائر الغريب سمة بارزة في أوساطهم.

وفي مصر القديمة كان الملوك يَجِدُّون في كسب ثقة شعوبهم من خلال تمتين علاقاتهم بالجمهور العام؛ ولأجل هذا كانوا يقيمون الاستعراضات العسكريّة بعد الانتصارات الحربيّة، ويُصدرون المنشورات على أوراق البردى أيام السلم

لمحاربة المسائل التي تفكّك العلاقة بينهم وبين رعاياهم، وبهذه الطريقة كانوا يؤثّرون على أفكار الناس، ويوجّهونهم حيثما يريدون من تحقيق أهداف مرسومة، وكانت المناسبات القوميّة أو الدينيّة، والأعياد، والأسواق مجالات مهمّة لبناء تلك الروابط في جميع العصور القديمة والحديثة، وما إقامة المعارض الفكريّة، أو الاقتصاديّة اليومَ في جميع أنحاء العالم إلا شاهدٌ على ما نقول.

وفي الحضارة الرومانيّة واليونانيّة كان الحكّام يبذلون كلّ ما في وسعهم لكسب ثقة الشعوب من خلال توثيق العلاقات مع الجمهور، وكان للشعر، والنثر، والنشرات اليومية دورٌ فاعلٌ في تعريف الشعب بمجالس الحكومة، وكانوا يفسحون المجال أمام أبناء الشعب لطرح الآراء.

وأما الحضارة الإسلاميّة بجميع جوانبها فقد كان للعلاقات العامة دورٌ فاعلٌ ورئيسٌ في نشر الرسالة؛ ولهذا كان الرسول الأعظم ﷺ يحثّ أصحابه على بناء علاقات متينة مع الناس؛ لغرض التعريف بالرسالة الإلهية، وهذا ما سنوضّحه في طوايا البحث إن شاء الله تعالى.

وفي العصور الحديثة مرّت العلاقات العامة بمراحل متدرّجة في التطوّر، بل سُخّرت كلّ وسائل الدعاية، والنشر، والإعلام للغرض نفسه، وأصبحت دراسة الرأي العام، وتحليله، وطرق تكوينه علماً قائماً مستقلاً، وفُتِحَتْ في أغلب الجامعات العالميّة فروع خاصة بعلوم الإعلام والدعاية، وبيان كيفية الامتداد الاجتماعي، كما أُسِّسَتْ في الوقت نفسه جمعيّات مختلفة المشارب والأذواق للعلاقات العامة، بل أصبح من المتعارف المألوف عند المؤسسات الصناعيّة، والتجاريّة، والسياسيّة، والمعامل وجود متخصّصين يعملون لحسابها من أجل تحسين سمعتها، وتوثيق علاقاتها مع المستهلكين، وما الدعايات التي نقرأها، ونراها في الجرائد والمجلات والتلفاز، ونسمعها في الإذاعات إلا دليل على ذلك، وما يبذل اليوم من طاقات بشريّة، وأموال طائلة في النشر والإعلام إلا

من أجل توثيق العلاقات مع الجمهور العام، والحكومات، والمؤسسات، والأحزاب لكسب الرأي العام، ولتغيير الأفكار والآراء والمعتقدات، وللغزو الثقافي والاقتصادي... وكلّ ذلك لا يتحقّق إلا بمدّ جسور قويّة بين الأطراف المختلفة؛ ولهذا نجد أنَّ كلّ الدول الكبرى تحاول أن تمدّ خيوطها الفكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة في أعماق الشعوب وفق خطط مدروسة بدقّة متناهية.

ومن خلال إحصاء عدد المرسلات، والمحطات الإذاعيّة المسموعة والمنظورة، والمنشورات اليوميّة، والأسبوعيّة، والشهريّة، والفصليّة يتّضح لنا مقدار الجهد المبذول، والأموال المصروفة في هذا الميدان، ويكشف لنا أهميّة بناء الروابط النفسيّة مع المجتمعات البشريّة في مختلف بقاع العالم، والجدول المبيّن أدناه يبيّن ضخامة هذا العمل، وأهميته في عالم العلاقات الاجتماعية وتأثيرها السياسي، والاجتماعي، والفكري(١).

الدول	المرسلات الإذاعية	المرسلات التلفازية	المنشورات اليومية	عدد النسخ
بريطانيا	٣٦٤	٥٩٦	١١١	٢١١٦٦٠٠٠
أميركا	٧٣٠٧	٣٨٥٣	١٨٩٣	٤٩٥٠٠٠٠٠
فرنسا	٢٩٠	٣٠٠١١	٩٨	١١٤٤٥٠٠٠
إسبانيا	٤٠٦	٧٤١	١١٥	١٧١٠٠٠٠
ألمانيا الغربية	٣٤٦	١١٥٣	٣٢٠	١٧٧٥٦٠٠٠
إيطاليا	١٩٦	١٩٩	٧٨	١٦٧٧٠٠٠٠
السويد	٢٨٢	٣٥٨	١١٣	٤٨٤٧٠٠٠

(١) هذا الجدول يعود إلى سبعينيّات القرن الماضي، أما اليوم فبقدر ذلك آلاف المرّات، وواقع الفضائيات العالميّة يشهد على ذلك .

فلو تصوّرنا كم تستهلك هذه الأعداد الضخمة من الإذاعات والنشريّات من الطاقات البشريّة، والأموال والأوقات لازداد عجبنا، خصوصاً إذا علمنا أنَّ ذلك من أجل بناء علاقات وروابط تخفي وراءها أغراضاً وأهدافاً مختلفة، وهذا دليل محسوس على اهتمام هذه الدول بالعلاقات العامة لما تدرّ عليها من سمعة طيّبة، وأرباح ماديّة بلا حدود، كما يكشف لنا أنَّ العلاقات العامة هي العمود الفقري في أيّ امتداد سياسيّ، أو اقتصاديّ، أو عقائديّ، أو في مجال آخر، ومن غير المعقول أنَّ هذه الدول الاستعمارية تريد نفع الناس وخدمتهم كما يزعمون، بل إنّ الحقيقة التي لا نشكّ فيها إنّما يجنونه من هذا الجهد أضعاف ما يعطونه للنّاس.

وما نراه اليوم في عالم الحكم والسياسة في كلّ أنحاء العالم المتصارع حول مراكز السيطرة والنفوذ من جسور ممدودة بين الدول المختلفة، هذه الجسور على شكل سفارات، وقنصليات، وممثليات، وروابط دبلوماسية، وعلاقات متبادلة بين الرؤساء، والوزراء، والمجالس النيابيّة، وتبادل الخبراء العسكريين والاقتصاديين... الخ، وما يُدَّسُ من مراكز مخابرات جاسوسيّة بأشكال مختلفة وأسماء مستعارة إلا دليل آخر على أهميّة تكوين الروابط العامّة بين تلك الأطراف المختلفة الوسائل والأهداف، وهم يسعون لتعميق هذا الاتجاه؛ ففي سنة ١٩٥٥م عُقِدَ اجتماعٌ موسَّعٌ (ضَمَّ مسؤولين عن العلاقات العامّة من كلّ من فرنسا، وبريطانيا، وهولندا، والنّرويج، والولايات المتّحدة الأميركيّة، تقرّر تأليف لجنة دوليّة مؤقّتة للعلاقات العامّة، ما لبثت أن تحوّلت اعتباراً من أول أيار ١٩٥٥م إلى الجمعيّة الدوليّة للعلاقات العامّة بما لها من نظام أساسيّ جرى اعتماده في التأريخ المذكور)[١].

وإذا كانت الدول المتخلّفة غافلةً عن ذلك فإنّ الغرب الاستعماري التفت

(١) مبادئ في العلاقات العامة: ١٠٦ .

إليه، واهتمَّ به اهتماماً كبيراً، ووضع له أسساً علميّة أخضعها للتجارب النفسيّة والاجتماعيّة، وفتح جامعات ومدارس ومعاهد، وخرّج متخصّصين في فن بناء العلاقات، فقبل ما يقرب من قرن من الزمان شرعت كثير من الدول بمشروعات دراسيّة في فن العلاقات الاجتماعيّة، وأسلوب الامتداد السياسيّ والفكريّ... ووضعت لذلك نظريّات وقواعد ودراسات، أو قامت ببحوث تجريبية اعتمدت علم النفس والاجتماع كأساس لدراساتها؛ ففي فرنسا، ومنذ أكثر من مائة عام (أعلن **أوجِسْت كونت** مؤسس علم الاجتماع أنّ الهيئة يجب أن تكون مفتوحة وواضحة لكلّ الجماهير؛ لكي يروها كالبيت المصنوع من الزّجاج، وعلى ذلك فيجب على الهيئة تنوير الرّأي العام بنشاطها)[١].

وعلى هذا الأساس شُكّلَتْ جمعيّة العلاقات الفرنسيّة، ثم تَكَوَّنَ اتحاد مستشاري العلاقات العامة، وفتحت كليّة الدراسات في العلوم الاجتماعيّة، وفي ألمانيا أنشأت جامعة (**هيدلبرج**) كرسيّاً للعلاقات العامة، وفي إيطاليا أنْشِئ اتحادٌ قوميٌّ للمشتغلين بالعلاقات العامّة، ومعهدٌ عالٍ لدراسة العلاقات العامّة، وفي كندا تأسّست جمعية العلاقات العامة سنة ١٩٤٨م لتحقيق التعاون مع الدول الأخرى.

واليوم يجد المراقب المتتبّع أنَّ أغلب الحكومات بما فيها من وزارات وإدارات أنشأت مكاتب خاصة بشؤون العلاقات العامّة، لكي تقف على رأي الجمهور، بل أنشأت أجهزة متكاملة للإعلام في الداخل والخارج تقوم بالدور نفسه، وفي مختلف الميادين الثقافيّة، والسياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة... الخ، كما أنشأت كلُّ دولةٍ وكالةً خاصّةً بها، وعيَّنت لها مراسلين في أكثر عواصم ومدن العالم ظاهرين ومخفيين، وفتحت لها مكاتب صحفيّة، ومفوَّضيّات، وملحقيّات ثقافيّة، وعسكريّة، وصحيّة... وهلمّ جرّا من العناوين؛ كي تزوّدها

(١) د.أحمد كمال أحمد، العلاقات العامّة: ٥٢ .

بأدقّ الأخبار من مصادر حدوثها، وتعكس صورتها الجميلة في كلّ مجتمع تنوي الامتداد فيه.

وهكذا نجد أنَّ العلاقات العامّة عند جميع الأمم لها الدور الرئيس في جميع الميادين، ومن المعروف الآن لدى المؤسسات الاقتصاديّة خاصّة أنّها تحاول أن تختار أمهر المتخصّصين في العلاقات العامّة، ومثل هذا في المؤسسات الاجتماعية سواء في النشاطات الفكريّة، أو الرياضيّة، أو الرعاية الاجتماعيّة والصحيّة، وما إلى ذلك من نشاطات؛ لكي يكون لمصنوعاتها سمعة طيّبة، وشهرة عالية، ورواج سريع... إضافة إلى أهداف أخرى سياسيّة لا تظهر للعيان كما هو شأن معظم شركات النفط العالمية المنتشرة في مختلف بقاع العالم، وكذلك ما تفعله البعثات التبشيريّة للمسيحية الواسعة الانتشار، وبعناوين مختلفة؛ إنسانيّة، وصحيّة، وثقافيّة، وخدماتيّة... الخ.

وهؤلاء لا يعملون بشكل مرتجل بل يُرَوِّجون لأنفسهم، ويمهّدون الأرضيّة لدولهم، وينشرون الدعاية لبضائعهم، ويبشّرون بأديانهم وفق خطط مدروسة، ومناهج محكمة دقيقة يدرسون بها الرّأي العام، ويحلّلونه، ويشخّصون طرق تكوينه وتعديله، وبذلك يمسكون برأس الخيط؛ لتوجيه الرأي العام كما يريدون، ويتحكّمون بالاتجاهات، والخطط، والمشاريع في مختلف الميادين المحليّة، والقوميّة، والإقليميّة.

وهكذا أصبحت العلاقات العامّة (من أهمّ الدّعامات في هذه المؤسّسات الصناعيّة، ولا تقلّ أهميّة عن إدارة الإنتاج، والتوزيع، والتمويل)[١].

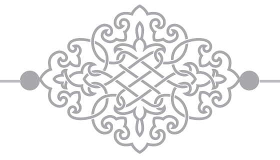
بل أصبح من المُتيَقَّنِ لديهم (أنَّ المؤسّسات والهيئات في جميع المجالات لا يمكنها أن تنجح إذا عاشت بعيداً عن الجمهور، واكتفت بجودة الإنتاج والعمل

(١) د.أحمد كمال أحمد، العلاقات العامة.

على رفع مستوى الخدمات، ولمّا تنبَّهت المؤسّسات لذلك قامت باستخدام الإعلان والدعاية في الصّحف، والمجلات، ووسائل الإعلام الأخرى لتحقيق اتّصالها بالجمهور، وتعريفه بالهيئات المعيّنة)[١].

(١) المصدر نفسه.

دَوْرُ العلاقاتِ في مختلف المجالات



قلنا: إنَّ الإنسان اجتماعيٌّ بطبعه، ولا يمكن أن يعيش سعيداً بمفرده، وبناءً على هذه الحقيقة الفطريّة نجد أنَّ دور العلاقات الإنسانية أساسيٌّ في كلّ مجالات حياته؛ ولهذا فنحن نستعرض أهميّة العلاقات ودورها في بعض تلك المجالات.

أ ـ في جوّ الأسرة

العائلة هي اللبنة الأولى والأساسيّة في بنية المجتمع، وهي مجتمع مصغّر ومملكة قائمة بذاتها مرتبطة بغيرها، ولهذا اهتمّ الإسلام اهتماماً بالغ الأهمية في تكوينها، وضبطها، وتنظيمها، ووضع الأسس الكاملة لبنائها وفق منهجيّة قانونية مقنّنة؛ فأوّل تلك الأسس هو: الشرعيّة حيث جعل الارتباط والمصاهرة، والإفضاء بين العنصرين الأساسيين فيها وهما: (الأب والأم) يقوم على أساس شرعيّ يتعهّد كلٌّ من الطرفين الالتزام بعقد بينهما، وقد شدّد القرآن الكريم على هذا العقد، وأكّده بأحكم الألفاظ الملزمة: ﴿**وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**﴾[1].

و(هو ميثاق النكاح، باسم الله، وعلى سنّة الله... ويدعوهم بهذه الصفة أن يحترموا هذا الميثاق الغليظ)[2].

---

(١) النساء: ٢١ .

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٢/ ٢٨٨ .

وعن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ قال: «**الميثاق الكلمة التي عُقِدَ بها النكاح**»[1].

وهذا الميثاق يربط بين المرأة والرجل بإيجاب وقبول شريطة أن يكون بمحض اختيارهما من دون أيّ ضغط أو إكراه، فلا ينعقد الزّواج، ولا تتحقّق الشرعيّة بينهما إذا فقد عنصر الاختيار؛ لأنَّ الزواج (عمليّة تطابق إرادة الرّجل مع إرادة المرأة)، وهذا الارتباط لا يقوم على أساس جنسيّ محض، وإنما يقوم على المودّة، والرّحمة، والتآلف، والسّكن، واطمئنان أحدهما إلى الآخر، فالمرأة في الإسلام ليست متعة يتسلّى بها الرجل، ولا سلعة يبتاعها؛ ليقضي وطراً منها، وإنّما هي حالة سكن، واستقرار، وتوافق نفسيّ ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾[2].

إذن هذه الحالة لم تكن طارئة، ولا متكلّفة، ولا مفروضة بعرف، أو عادة، أو تقليد، وإنّما هي حالة فطريّة مغروسة في أصل الخلقة، والتّكوين البشريّ، وهي آية من آيات الله تعالى، ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[3].

(فيدركون حكمة الخالق في خلق كلّ من الجنسين على نحو يجعله موافقاً للآخر. ملبّياً لحاجته الفطرية: نفسيّة، وعقليّة، وجسديّة، بحيث يجد عنده الراحة، والطمأنينة، والاستقرار؛ ويجدان في اجتماعهما: السكن والاكتفاء، والمودّة والرحمة؛ لأنَّ تركيبهما النفسيّ والعصبيّ والعضويّ ملحوظ فيه تلبية رغائب كلّ منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثّل في جيل جديد)[4].

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ٢٢٩، والميزان في تفسير القرآن: ٤/ ٢٥٨.

(٢) الأعراف: ١٨٩ .

(٣) الروم: ٢١ .

(٤) في ظلال القرآن: ٦/ ٤٤٨ .

وهكذا رسمت العلاقة على أساس نفسيّ فطريّ بين الرجل والمرأة لتُخَرِّج الأجيال المستقيمة الناضجة للمجتمع.

وعلى هذا الأساس الفطريّ جعل الإسلام لكلّ من الزوج والزوجة حقوقاً وواجبات متبادلة بينهما: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[1].

فعلاقة المرأة بالرجل ينبغي أن يسودها الإحسان والمعروف في المعاملة؛ فعلى المرأة أن تطيع زوجها في كلّ شيء إلا معصية الله، وأن لا تسخطه، ولا تكلّفه ما لا يطيق، وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولا تنفق من ماله إلا بأمره، وأن تقدّم له الخدمات تطوّعاً... الخ؛ وعلى الرجل أن يتعامل معها باللطف، والإحسان، والرّفق، وأن يتغاضى عن بعض هفواتها، وأن ينفق عليها بمقدار ما يسدّ حاجتها، وقد أوجز الإمام السجاد عليه السلام حقوق الزوجة بأخصر عبارة، فقال عليه السلام: «**وأما حقّ الزّوجة، فأن تعلمَ أنّ الله عزَّ وجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنَّ ذلك نعمةٌ من الله عليك، فتكرمها، وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب، فإنَّ لها عليك أن ترحمها؛ لأنّها أسيرك، وتطعمها، وتكسوها، فإذا جهلتْ عفوتَ عنها**»[2].

وكما حدّد الإسلام العلاقة بين الرّجل والمرأة كذلك حدّد العلاقة بين الأبوين وبين أبنائهما في جميع مراحل الحياة، وأوجب أن تُبنى على أساس العطف، والرحمة، والشفقة، والمودة، والاحترام، فجعل للوالدين على أولادهما حقوقاً، وكذلك جعل للأولاد حقوقاً على أبويهما، وعلى كلّ منهما واجبات.

فالعلاقة إضافة إلى الجانب الفطريّ تبنى على أساس الحقوق والواجبات المتبادلة؛ فحقّ الأولاد: التربية الحسنة، والإعداد السليم، والنشأة الصحيحة؛ وحقّ الوالدين: الطاعة، والاحترام، والخدمة، والإحسان، والمداراة.

---

(١) البقرة: ٢٢٨ .

(٢) الشيخ الصدوق، كتاب الخصال: ٢/ ٥٦٧ .

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وأما حقّ أبيك، فأن تعلمَ أنَّه أصلك، وأنَّه لولاه لم تكن، فمهما رأيتَ في نفسك مما يعجبك، فاعلم أنَّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله، واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلا بالله**»[١].

وأما حقوق الأولاد فقد أكّد الإسلامُ عليها تأكيداً بالغ الأهميّة، فهم أمانة الله عزّ وجلّ عند عباده، وحَمَّلَ الوالدين مسؤولية هذه الأمانة، فعليهم أن يقوهم من خطر الانحراف الذي يؤدّي بهم إلى العذاب في الدنيا والآخرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[٢].

وهذه الوقاية تتحقّق بالتعليم، والتربية، والتنشئة على الأخلاق الحسنة، وعدَّ الإسلام إهمال ذلك جناية وخيانة، يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم**»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**حقّ الولد على الوالد أن يعلّمه الكتابة، والسباحة، والرمي**»[٤].

وورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**لاعِبْ ابنك سبعاً، وأدِّبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم اترك له الحبل على الغارب**»[٥].

كما أكّدت التعاليم التربويّة في الإسلام على تكوين علاقة متوازنة بين الحزم واليسر، بعيدة عن التشدّد والإسراف في الضغط الذي يفقد الولد ثقته بنفسه، ويكبّله بقيود مقيتة لنفسه، يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«**رحم الله والداً أعان ولده على برّه**»[٦].

---

(١) المصدر السابق: ٥٦٨.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال: ١٦/ ٤٥٦، ح/ ٤٥٤١٠.

(٤) البيهقي، السنن الكبرى: ١٠/ ١٥، وشرح رسالة الحقوق للسيد حسن القبانچي: ١/ ٥٨٢.

(٥) شرح رسالة الحقوق: ١/ ٥٨٦.

(٦) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال: ١٨٦، وشرح رسالة الحقوق: ١/ ٥٩٧.

«أعينوا أولادكم على البرّ، من شاء استخرج العقوق من ولده»(١).

«يلزم الوالدين من عقوق ولدهما ما يلزم الولد من عقوقهما»(٢).

وأدقُّ عبارةٍ في بيان حقوق الأولاد ما جاء في رسالة الحقوق، يقول عليه السلام:

«وأما حقّ ولدك، فأن تعلمَ أنَّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عما ولّيته من حُسْن الأدب والدلالة على ربّه عزّ وجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنَّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه»(٣).

ومن الأمور الهامّة في تقويم العلاقات الأسريّة خصوصاً بين الأولاد أنفسهم هو التّأكيد على العدالة بين الأولاد في المعاملة والمحبّة، وإذا كان في القلب ميلٌ لأحدهم أكثر من غيره فيجب أن لا يُظهره؛ لأنَّ ذلك يوجب التحاسد والتباغض بينهم، (وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في انحرافات الولد السلوكيّة والنفسيّة.. لأنّها تولّد الحسد والكراهية، وتسبّب الخوف، والحياء، والانطواء، والبكاء.. وتورث حبّ الاعتداء، والمشاجرة، والعصيان.. وتؤدّي إلى المخاوف الليليّة، والإصابات العصبيّة، ومركبات الشّعور بالنقص)(٤).

إذن على الأب والأم أن يعاملا أولادهما بصورة متساوية عادلة لا تثير حسداً ولا ضغينة بينهم.

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه نظر إلى رجل له ابنان فَقَبَّل أحدهما، وترك الآخر، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **«فهلا آسيت بينهما»**(٥).

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ٨/ ١٤٦ .

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٥/ ١٢٣، ح٤ .

(٣) كتاب الخصال: ٢/ ٥٦٨ .

(٤) عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام: ١/ ٣٢٧ .

(٥) بحار الأنوار: ١٠٤/ ٩٢.

وورد عنه ﷺ: «**ساووا بين أولادكم في العطيّة**»[١].

وفي رواية أخرى: «عن النعمان بن بشير أنَّ أباه أتى به رسولَ الله ﷺ، فقال: إنّي نحلتُ ابني هذا ـ أي أعطيته ـ غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: **أكُلَّ وُلْدِك نحلْتَه مثل هذا؟** فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: **فأرجعه**»[٢].

وفي رواية أخرى: «فقال له رسول الله ﷺ: **أفعلتَ هذا بولدك كلّهم؟**، قال: لا، قال ﷺ: **اتّقوا الله واعدلوا في أولادكم**»[٣].

كما ورد أيضاً: «**اعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف**»[٤].

بعد هذا العرض السريع يتّضح لنا أنَّ العائلة المسلمة يجب أن تسود بين أفرادها العلاقاتُ المبنيّة على أساس المسؤولية، والتعاون، والتحابب، والمودّة، والرحمة، والاحترام، والعدالة، والمساواة بما حدّده الإسلام من الحقوق والواجبات، وهذه السمات هي أفضل ما يربط الإنسان بأخيه الإنسان، ويحقّق السعادة بكلّ أبعادها، وإذا عمّ ذلك جوّ العائلة فإنَّها تكون مؤهّلة لتلقّي الفيض والرحمة الإلهية، وحينئذٍ تُخَرِّج النماذج الجيّدة للمجتمع، وبذلك يكون البيت المسلم مدرسةً تخرّج الأسوياء ذوي الأخلاق العالية والسلوك المستقيم.

وما أشقى العائلة التي يسودها النشوز، والتنافر، والتناحر، والمماراة، والبغض، والاختلاف، وما أشدّ خطرها على المجتمع حيث إنّها ستُخَرِّج العناصر المنحرفة أخلاقيّاً، وسلوكيّاً، وفكريّاً.

---

(١) كنز العمال: ١٦/ ٤٤٤، ح/ ٤٥٣٤٦ .

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم: ١١/ ٦٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) بحار الأنوار: ١٠٤/ ٩٢.

ب ـ العلاقة الرحميّة

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾(١).

﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾(٢).

﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

قال الراغب الأصفهاني: «الرَّحِم رَحِم المرأة، وامرأة رحوم تشتكي رَحِمَها. ومنه استعير الرَّحِم للقرابة لكونهم خارجين من رَحِم واحدة، يقال: رَحِمٌ ورُحْمٌ. قال تعالى: **﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾**»(٤).

وقال ابن الأثير: «ذو الرّحم هم الأقارب، ويقع على كلّ من يجمع بينك وبينه نسب»(٥).

إذن العلاقة الرحميّة هي الرابطة النسبيّة التي تربط بين مجموعة من الناس ينتهون إلى رحم واحد، وهي رابطة متقدّمة في عالم العلاقات بل أقوى الروابط الإنسانيّة وأمتنها، والإنسان مسؤول عنها أمام الله تعالى، ومحاسب عليها بشدّة، ووصلها أمر صريح من أوامر الله لا تقبل التّأويل والتّهاون أبداً على كلّ حال؛ لأنَّ قطعها خلاف أمر الله، وهو أصدق مصاديق الفساد الاجتماعيّ والفرديّ، **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾**(٦).

---

(١) النساء: ١ .

(٢) الأحزاب: ٦ .

(٣) الأنفال: ٧٥ .

(٤) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ٢٦٩ .

(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٢١٠ .

(٦) محمد: ٢٢ـ٢٣ .

وندرك أهميّة صلة الأرحام إذا تأمّلنا في الآيات المتقدّمة؛ فقد عطفت الأرحام على تقوى الله تعالى، والتّقوى مرتبة عالية دونها كلّ مراتب الكمال الإنساني، ثم هي فريضة واجبة في كتاب الله تعالى، ومن هنا جاءت الأوامر الإلهية مغلّظة ومشددة على وجوب رعاية هذا الأمر والمحافظة عليه، وفي خلاف ذلك ستحلّ اللعنة على قاطعه، ويطرد من رحمة الله الواسعة، ويقطع عنه الفيض الإلهي؛ لأنَّ أرضيّة نفسه تصبح غير قابلة لتلقّيه، فهو أصمّ، وأعمى البصيرة، ومن كان كذلك فهو غير مؤهل لتلقّي النّور والرحمة الإلهيّة، ورد في الحديث الشريف: «**أنّه لما خَلَقَ الرَّحِمَ قال له: أنا الرحمن، وأنت الرَّحِمُ، شققتُ اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلتُهُ، ومن قطعك بَتَّتُّهُ**»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ صلةَ الأرحام لمن موجبات الإسلام، وإنَّ الله سبحانه أمر بإكرامها، وإنَّه تعالى يصل من وصلها، ويقطع من قطعها، ويكرم من أكرمها»[٢]؛ لأنَّها أكثر مساساً بالإنسان من غيرها بل هي نقطة الانطلاق لبناء علاقات أوسع دائرة، فمنها يتعلم الإنسان الحبّ وَيَرْسَخُ في نفسه، ومنها يعتاد التضامن، والمواساة، والمعروف، والإحسان، والمواصلة للآخرين، ويتجاوز بذلك ذاتيته، ويعيش للآخرين أكثر مما يعيش لنفسه.

وهي وصيّة الله ورسوله للمؤمنين إلى يوم القيامة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **أوصي الشّاهد من أمّتي، والغائب منهم، ومن في أصلاب الرّجال، وأرحام النساء إلى يوم القيامة أن يصل الرحم، وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإنَّ ذلك من الدّين**»[٣].

والتواصل بين الأرحام له فوائد جمّة للفرد والمجتمع، أما للفرد فالقوّة،

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٦٩ .

(٢) الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ، ح/ ٩٢٩٠ .

(٣) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي: ٢/ ١٥١ .

والمعونة، والنصرة، كما وصف ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لولده الحسن عليه السلام: «**وأكرم عشيرتك؛ فإنَّهم جناحُك الذي به تطير، وأصلُك الذي إليه تصير، ويدُك التي بها تصول**»(١).

وأما على المجتمع، فإنَّ الذي يتربّى في دائرة القربى على التواصل والتعاون، والتآخي، والتآزر، فإنَّ ذلك سيتجسّد في سلوكه وأخلاقه في الدائرة الاجتماعيّة الأوسع، وبذلك يكون التواصل الرحميّ مدرسة تخرّج العناصر الاجتماعيّة الكريمة التي تحمل للإنسانيّة الخير والبركة.

إذن صلة الرّحم هي محطّة انطلاق في التّواصل الاجتماعيّ إلى دائرة أوسع وأكبر منها، وهذه الدّائرة الأوسع لا تتحقّقُ ما لم تتحقّقِ الأولى؛ لأنَّ من يُحسن الصّلة بأرحامه يعرف كيف يحسنها مع الأبعد عنه.

ومن جانب آخر فقد أوضحت أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام نتائج صلة الرحم في الدنيا والآخرة، فمن نتائجها:

أنَّها تستدرّ النِّعم، وتزيدها، وتثمرها، وتحرسها، وأنَّها تدفع النقم، وتقي مصارع السوء، وتنسئ الآجال، وتسوء العدو وتكبته، وتنمي العدد، وتعصم من الذنوب، وتحسّن الخلق، وتوجب السؤدد، وتطيب النفس، وتعجل الخير، وتزكي الأعمال، وتعمر الديار، وتوجب رحمة الله وحبّه وقربه؛ لأنَّ صلة الرحم امتثالٌ وطاعةٌ لأمر الله، فمن وصل رحمه وصله الله برحمته، وذلك هو الفوز العظيم، وأما في الآخرة، فإنها تُيَسِّر الحساب، وتَنْفُذُ بالإنسان على الصراط، وتهوّن العذاب(٢).

وأما أسلوب العلاقة مع الأرحام فهو: الإكرام، والاحترام، والتغاضي عن الهفوات، والمداراة، والليونة، واليسر، والرحمة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة: ٤٢٨ ، كتاب: ٣١ .

(٢) هذه الألفاظ منتقاة من النصوص الحديثيّة في كتاب تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم.

«أكرمْ ذوي رحمك، ووقّرْ حليمهم، واحْلِمْ عن سفيههم، وتيسّرْ لمعسرهم؛ فإنَّهم لك نِعمَ العُدَّةُ في الشدّة والرخاء»(١).

وخلاصة الكلام: إنَّ صلة الأرحام مع كونها عملاً عبادياً يقرّب العبد إلى خالقه فهي الأنموذج الأسمى والأمثل في عالم العلاقات الاجتماعية؛ لأنَّها الطريق اللاحب إلى علاقات أوسع دائرة، وبدونها لا يمكن للإنسان أن يحسن العلاقة مع الآخرين، وهي من أسمى سمات الشخصية الاجتماعيّة، وقد عبّرت عنها نصوص السنة الشريفة بأنَّها أفضل، وأجمل، وأحسن شيم الكرامة، وهي علامة من علامات المروءة بل أفضلها على الإطلاق، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«من أفضل الْمُرُوَّة صلةُ الرَّحِم»**(٢).

ج ـ علاقة الجوار

لقد أولى الإسلامُ هذه العلاقة أهميةً كبيرةً، وأكَّد عليها تأكيداً بالغاً، وعدَّها من مستلزمات الإيمان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أحسنْ مجاورة من جاورك تكن مؤمناً»(٣).

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»(٤).

«من آذى جاره حَرَّمَ اللهُ عليه ريح الجنة»(٥).

أياً كان هذا الجار قريباً، أو بعيداً، مسلماً، أو كافراً، غنيّاً، أو فقيراً؛ ولهذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: **«الجيران ثلاثة؛ فجار له ثلاثة حقوق، وجار له حقّان، وجار له حقّ واحد؛ فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق: فالجار المسلم القريب، له حقّ الجوار،**

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٧، ح/ ٩٣٣٠ .
(٢) المصدر نفسه: ٤٠٦، ح/ ٩٢٩٩ .
(٣) الشيخ الطوسي، كتاب الأمالي: ١٩٤ .
(٤) كنز العمال: ٩/ ٥٣، ح/ ٢٤٩٠٧ .
(٥) وسائل الشيعة: ٨/ ٤٨٨ .

وحقّ القرابة، وحقّ الإسلام؛ والجار الذي له حقّان: فهو الجار المسلم، فله حقّ الإسلام، وحقّ الجوار؛ والجار الذي له حقّ واحد: هو الكافر، له حقّ الجوار»[1].

فهنا وُضِعَ حقُّ الجوار إلى جانب حقّ الإسلام، وهو مفهوم له دلالة عظيمة، فعلاقة الجوار إذن علاقة إيمانيّة وإنسانيّة تقوم على حفظ الكرامة، والإحسان، وحسن العشرة، والتعاون، وسدّ الحاجة وقضائها.

كما أوجب الإسلام على المؤمن أن يدفع الشبهة عن جاره، وأن ينظر في ظلامته، ويستر معايبه، ويظهر محاسنه، ويتغاضى عن هفواته الصغيرة، وأن يواسيه في أحزانه، ويشاركه في أفراحه، وقد أوجز الإمام السجاد عليه السلام ذلك، فقال:

«وأما حقّ جارك فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنَّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تُسلِمْه عند شديدة، وتقيلُ عثرته، وتغفرُ ذنبه، وتعاشرُه معاشرة كريمة، ولا قوّة إلا بالله»[2].

تلك هي العلاقة الرائعة بالجار والتي أمر بها الإسلام بأوامر قطعيّة لا مسامحة فيها، ولا تهاون، وأنزله منزلة عظيمة، وجعل حرمته على الإنسان كحرمة أمّه، ومن قصّر في حقّه عداوة أو بخلاً فهو آثم، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما زال جبرئيل** عليه السلام **يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيُوَرِّثُه**»[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنَّ رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **كتب بين المهاجرين والأنصار، ومن لحق بهم من أهل يثرب: أنَّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم،**

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ١٨٤ .

(٢) كتاب الخصال: ٢/ ٥٦٩ .

(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٣ .

وحرمة الجار على الجار كحرمة أمّه»[1].

وقد نفى الإسلامُ الإيمانَ والولايةَ عمن لا يهتمّ بجاره حين يشبع، ويجوع جاره، قال رسول الله ﷺ: «**ما آمن بي من بات شبعانَ، وجاره المسلم جائع**»[2].

كما ورد عنه ﷺ: «**لا يشبع الرجل دون جاره**»[3] .

وقال ﷺ: «**من آذى جاره فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى، ومن حارب جاره فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله**»[4].

فعلاقة الجوار إذن علاقة سلام، واطمئنان، وإيمان، وإعانة، ورعاية،، وتلطّف، ومداراة، ومواساة، وتآزر، وحفظ الكرامة.

وهذا ما لم يكن له نظير في جميع المذاهب الاجتماعيّة القديمة والحديثة، ولا في الحضارات الإنسانيّة أجمع بهذه الصورة المشدّدة، صورة إلزام ديني مقدّس لا تسامح فيها ولا تهاون .

ذلك هو دين الله في بناء العلاقات الاجتماعية، إنَّه منهج الحياة القويم.

وهذه الدوائر الثلاث: دائرة الأسرة، والأرحام، والجيران من أهمّ الدوائر الاجتماعيّة، ومنها تنطلق سلامة العلاقات الأخرى، فإنَّ من كانت علاقته حسنة مع أهله، وأقربائه، وجيرانه؛ فإنَّ هذا سيكون طبعاً، وعادةً، وسلوكاً عند الفرد، وسينعكس على الدوائر الأخرى؛ ولذا جاء هذا التأكيد كلّه على هذه الدوائر الثلاث.

---

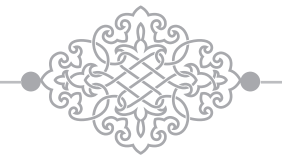
(١) الأصول من الكافي: ٢/ ٦٦٦ .

(٢) وسائل الشيعة: ٦/ ٣٢ .

(٣) كنز العمال: ٩/ ٥٧ ، ح/ ٢٤٩٢٨ .

(٤) المصدر نفسه: ح/ ٢٤٩٢٧ .

أهميّة العلاقات



١ ـ في المجال التربويّ والتعليميّ

لعلّ من أهم المجالات التي تحتاج إلى العلاقات السليمة هو المجال التربويّ والتعليميّ؛ وذلك لأنَّ طالب العلم ما لم تكن علاقته النفسية طيّبة بمن يتربّى على يديه، ويتعلّم منه فإنَّ التلقي منه يكون غير ذي أثر نافع، فبمقدار ما يحبّ التلميذُ أستاذَه، ويحترمه وبمقدار ما يبدي الأستاذُ من عطف، وحنان، ورأفة على التلميذ يترك أثراً إيجابياً في نفس ذلك التلميذ، وبالعكس لو كانت العلاقة بين المعلّم والمتعلّم علاقة تنافر وتباغض فلا يمكن أن يتلقّى التلميذ شيئاً ينفعه، وعلى هذا الأساس أكّد أصحاب الخبرة التربويّة والتعليميّة أنَّ (على المعلّم تحسين خلقه مع المتعلّمين زيادةً على غيرهم، والتلطّف بهم إذا لقيهم، والبشاشة، وطلاقة الوجه، وإظهار البِشر، وحسن المودّة، وإعلام المحبة، وإظهار الشفقة، والإحسان إليهم بعلمه وجاهه حسب ما يمكن)[١].

وقد حدد الشهيد الثاني رضوان الله عليه ثلاثين قاعدة توطّد كلُّها الصلة النفسية بين المعلّم والمتعلّم، وتركّز العلاقة بينهما بصورة مباشرة أو غير مباشرة وتخلق روح التعاون، والتفاعل في الحياة الاجتماعية ابتداء بالمظهر الخارجي له، ومروراً بالتعليم، وانتهاء بالسلوك العملي للمعلّم والمتعلّم؛ منها: أن يُسلّم إذا وصل إلى

(١) الشهيد الثاني، منية المريد: ١٩٤ .

محلّ الدرس لما في سلام العالِم على المتعلم من أثر طيّب، ومنها: الجلوس بسكينة، ووقار، وتواضع، وخشوع، ومنها: أن يجلس في مكانٍ بحيث يستطيع أن يخاطب الجميع، ويوزع نظراته على طلبته بالتساوي، وأن يُحسّن خلقه مع المتعلّمين أكثر من غيرهم، وأن يطرح الدرس بأيسر العبارات، ويفهمهم بأفضل الطرق، وأن يراعي نبرات صوته، ويرسلها على قدر الحاجة، وأن يرفق في إجابتهم، ولا يحقر السائل لسؤال ركيك، وإنّما عليه أن يوجهه الوجهة المفيدة له، وأن يتودّد للطالب الغريب، ويبسط وجهه؛ ليشرح صدره، وأن يختم درسه بالحكم الرقيقة والمواعظ البليغة، وغير ذلك من القواعد التي تترك أثراً طيباً في نفس المتعلّم، وتوثق أواصر المودّة بين الأستاذ وتلميذه، وتشعره بمكانته عند أستاذه، وهذا ما يفتح ذهنه لتلقّي العلم والمعرفة، ويبني شخصيته بناءً رصيناً[1].

وأما آداب التّلميذ مع أستاذه؛ فقد حدَّدها الإسلام، وجعلها أساساً بعد الإيمان والإخلاص لله: وهي الحبّ، والاحترام، والتواضع المتناهي، بل التذلّل له، وقد صوّر القرآن هذا أجمل تصوير وأروعه في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وهي تتضمّن معاني تربوية ساميّة لا تصل إليها أرقى المدارس التربويّة اليوم مهما سمت.

ففي طلب موسى من العبد الصالح نجد التواضع والترفّق رغم المقام السامي الذي وضعه الله فيه، وهو مقام النبوّة، بهذه الرقّة والتواضع، وفي غاية الأدب يخاطبه: ﴿**هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾[2].

فهنا يضع موسى عليه السلام نفسه في موضع التبعيّة للعبد الصالح مع أنَّه من رسل الله أولي العزم الخمسة، ويستأذن منه بمنتهى الرقة والأدب، ورغم ما أبداه العبد الصالح من امتناع؛ لأنَّه توقّع عدم قدرة موسى على الصبر والتحمّل بصورة

(١) ينظر منية المريد: ٢٠٤ ـ ٢٢٠ .

(٢) الكهف: ٦٦ .

التأكيد: ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾[١] .

فيجيبه موسى بأدب رفيع وتواضع جم: ﴿**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً**﴾[٢] .

ومن روائع الأدب التعليميّ في الإسلام ما رسمه الإمام السجاد عليه السلام في لوحة رائعة تصوّر علاقة المتعلّم، وأدبه مع المعلّم، يقول عليه السلام : «**وحقّ سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدِّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذُكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته، وتعلّمت علمه لله جلّ اسمُه لا للناس**»[٣] .

تلك هي العلاقة السامية التي أرادها الله لعباده بين العالِم والمتعلّم، وتلك آدابها العمليّة، لم تكن مجرّد نظريات تطرح، وإنّما عمل يجسد في حياة الإنسان، ولهذه العلاقة دورٌ مهمٌّ في تربية الطالب، وإعداده، وتزكية نفسه، وتعليمه، وتقويم سلوكه، ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[٤] .

وفي هذا العصر قد توسّعت المؤسسات التربويّة والتعليميّة، وأصبحت من السعة والشمول حتى شملت معظم الناس، حيث يبدأ الطفل منذ نعومة أظفاره بالدخول في المدرسة، ويتلقّى العلم والمعرفة، ويتدرّج من مرحلة إلى أخرى، وفي مختلف المدارس حتى يبلغ سنّ الرشد، وفي جميع المراحل يأتي دور

(١) الكهف: ٦٧ .

(٢) الكهف: ٦٩ .

(٣) كتاب الخصال: ٢/ ٥٦٧ .

(٤) الجمعة: ٢ .

العلاقة بين المعلّم والمتعلّم في سلّم الأولويات التربويّة والتعليميّة، فما أحوجنا اليوم إلى الرجوع إلى المنهج القويم الذي شرعه بارئ الخلائق أجمعين؛ لإعداد الناشئة، وتربيتهم، وتعليمهم، وتقويم سلوكهم، وهذا الأمر يقتضي منّا أن نتدبّر جيّداً في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسوله ﷺ؛ لإبراز المفاهيم التربويّة الخاصّة بتربية الأجيال، وإن كانت جميع تعاليم الإسلام تهدف إلى صياغة وبناء الإنسان المستقيم فكراً وأخلاقاً وسلوكاً.

وهنا تأتي مهمة إعداد (الكادر) التربوي الذي يتبنّى تربية وتعليم الجيل، فالتعليم ليس مهنة يعتاش بها الإنسان، وإنّما هي رسالة تستبطن المسؤولية الكبرى، وقد عرفنا من خلال التجارب العمليّة التي عشناها أنَّ الطالب في أغلب الأحيان يكون كما كان معلّمه، ولذلك فدور المعلم في الأمّة أهمّ وأخطر من جميع أدوار الآخرين؛ لأنَّ جميع الناس يتخرّجون من تحت يديه؛ فالرئيس، والمدير، والطبيب، والمهندس، والضابط... الخ يُبْنَونَ بيد المعلّم، إذن كيفما يكون المعلّم تكون الأجيال الناشئة، فإذا أردنا أمّة صالحة ينبغي أن نعدَّ لها معلّمين ومربّين صالحين، فإذا كان الحكام يتحكّمون في أجساد الناس، فإنَّ المعلمين يسيطرون على عقولهم.

ومن هنا نجد العظماء في التأريخ كانوا أكثر ما يهتمّون به هو التعليم والتعلّم وإعداد المعلمين؛ لأنَّ (كلّ محاسن هذا الكون مدينة للمعلّمين الذين ثابروا على الاستنباط والتدقيق طوال حياتهم، فعلّموا الشعوب كيف تفكّر، وكيف تشعر بواجباتها لتنافس الأمم المناوئة لها في مضمار الحياة)[1].

إنَّ تقدّم الشعوب، وازدهارها، ورقيّها الأخلاقيّ والفكريّ موقوف على إعداد المعلّم الذي يعدّ الجيل؛ لتحمّل المسؤولية، (فإذا وجدت شعباً يتقدّم نحو الكمال بخطوات رصينة أيقنت أنَّ وراءه مرشدين ينتشلونه من حضيض الجهل

(١) شرح رسالة الحقوق: ١/ ٤١٥ .

والهوان إلى ذروة العلم والمجد، فبهذا الاعتبار لزم أن يكون المعلّم محترم الجانب، عزيز الكرامة.

وقد سئل الإسكندر: ما بالك توقر معلّمك أكثر من والدك؟ فقال: لأنَّ المعلّم سبب لحياتي الباقية، ووالدي سبب لحياتي الفانية)[1].

ونعود مرة أخرى فنقول: إنَّ دور المعلّم في المجتمع من أخطر الأدوار الاجتماعيّة على الإطلاق، فما لم يكن المعلّمُ زكيَّ النفس، طاهرَ السريرة، حيَّ الضمير، مؤدّباً بآداب الإسلام، مهذّبَ اللسان، سمحَ الطبع، ليّنَ المعاملة، منشرحَ الصدر، خبيراً بأمراض النفس البشريّة، مترفّعاً عن الشهوات، والأطماع، وذمائم الأخلاق، محبّاً للعلم، طالباً له باستمرار، عاملاً على تغيير مجتمعه نحو الكمال والسمو الخلقيّ والفكريّ لا يمكن أن يبني مع طلبته علاقات تأثير إيجابية أبداً؛ ولهذا فإنَّ العلماء يضعون المعلّم في المرتبة المتقدمة في سلّم التقدير والاحترام.

٢ ـ في المجالات الاقتصادية

من الملاحظ أنَّ أيَّ إنسان عندما يدخل السوق؛ ليشتري حاجة معينة فإنَّه يقبل على صاحب المتجر الذي يحسن الاستقبال والترحيب واللقاء الجميل بوجه مبتسم، وكلمات طيّبة، ويعرض بضاعته بأدب، وأسلوب يوحي إلى المشتري بالنزاهة، وكرم الطبع؛ ولذا قيل في المثل الصيني: «من لا يملك ابتسامة ينبغي أن لا يفتح متجراً»، والسرّ في ذلك أنَّ الإنسان بفطرته يُقبل على كلّ شيء جميل، وليس هناك جمال فوق جمال الأخلاق، وحسن المعاملة باليُسر والتسامح، هذه الحقيقة ندركها ونعيشها في الواقع الاجتماعيّ، وقد أدركت المؤسسات الاقتصاديّة الكبرى هذه الحقيقة، وبَنَتْ عليها سياستها العامّة؛ لكي تحصل على الشهرة العامة في الوسط الجماهيري، فهي تحقّق من النجاح بمقدار ما تتوسّع شهرتها، وتتحسّن

(١) شرح رسالة الحقوق: ١/ ٤١٣ .

سمعتها عند المستهلكين؛ لأجل هذا تهتمّ المؤسسات الاقتصاديّة في هذا العصر بالخصوص بالدعاية والأعلام ممن تخصّصوا في علم النفس والاجتماع؛ ليقدّموا لها أقوى الفنون لاجتذاب أنظار الناس نحوها؛ لتتوسّع شهرتها، وتتحسّن سمعتها علماً أنَّ (العلاقات العامّة لا تكتفي بالإعلان المباشر وحده لجذب الجمهور لشراء منتجات المؤسّسة، وإنما هي تستغلّ كافة العوامل التي تستطيع من خلالها السّيطرة على أذواق الجماهير، وإثارة دوافعهم الشرائيّة)(١).

ولهذا يستغلّ قسم العلاقات في هذه المؤسسات كافة وسائل الأعلام للدّعاية والتّرويج كالإذاعة، والتلفاز، والسينما، والمسرح، والصحف، والمجلات، والنّشريّات الدوريّة، والشّخصيّات التي تمتلك الجاذبيّة واللباقة، وتبذل على ذلك أموالاً طائلة، ومن الأمثلة على ذلك ما تبثّه كثير من الإذاعات التجاريّة، وما تقدّمه من دعايات لمختلف المنتوجات، بل إنَّ بعض المؤسسات الاقتصادية كمؤسسة (بوردن) الأميركيّة للأغذية، ومؤسسة (النصر) المصرية فتحت لها أقساماً صحفيّة تواصل مدّ الصحف بالأخبار والدعاية للمؤسسة من حيث سياستها العامة، وخدماتها الجماهيريّة، وجودة إنتاجها، وكلّ ذلك لأجل تحقيق المزيد من القبول للمؤسسة عند الرأي العام، وتعالج أخطاء الإعلان السلبيّة، ويصدر قسم الصحافة نشرة داخلية تحتوي على ملخّص لما تنشره الصحف في نطاق إنتاج المؤسسة، وما يقابلها من مؤسسات أخرى.

وتستعين المؤسسات الاقتصاديّة كذلك بأشهر المعلّقين في الإذاعة والتلفاز للإعلان والدعاية، والعجيب من الأمر أنَّ مؤسسة (بوردن) الأميركيّة (ترسل النّشرات الصحفيّة والصور الفتوغرافيّة إلى ما يقرب من سبعمائة من محرّري الصّحف اليوميّة والمجلات المتخصّصة)(٢).

---

(١) د. مختار التهامي، وإبراهيم الداقوقي، مبادئ العلاقات العامة في البلدان النامية: ٩٧ .

(٢) مبادئ العلاقات العامّة في البلدان النامية: ١٠٦ .

(كما ترسل عيّنات وصوراً فوتوغرافيّة إلى ما يقرب من ثلاثمائة من المعلّقين على شؤون التغذية في التلفاز... وما يقرب من ثمانمائة مقال وخبر لمعلّقي الإذاعة)[١].

فعلى ضوء هذه الأرقام نصل إلى الحقيقة التي قرّرناها أولاً وهي: أنّ المؤسسات الاقتصادية التجاريّة والصناعيّة تهتمّ بالعلاقات العامّة أكثر من اهتمامها بجودة الإنتاج، ولسان حالها يقول: «إنَّ المستقبل المشرق الباسم سيكون للشركات التي تتعلّم وتعي الدرس جيّداً في كيفيّة معاملة العاملين كآدميّين لهم مشاعرهم، وأحاسيسهم، وانفعالاتهم، واحتياجاتهم العاطفيّة قبل الماديّة، والتي تستطيع استثارة حماس العاملين، وحفزهم، وتنشيطهم؛ لكي يؤدّوا أعمالهم كأفضل ما يكون الأداء، والتي توفّر لعمّالها الإشباع الوجدانيّ والمعنويّ عن طريق العمل المسؤول في جو مُسَلٍّ لطيف يسوده الوئام، والسّلام، والمرح»[٢].

والهدف من وراء ذلك كلّه تحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح بزيادة الإنتاج وزيادة المبيعات، فالربح والخسارة هو قطب الرحى في كلّ علاقتها، وهذا الهدف الماديّ البحت نتيجة الجشع والطمع دفع كثيراً من المؤسسات إلى سلوك الأساليب الملتوية للحصول على الأموال وفق القاعدة الميكافيلية: «الغاية تبرر الوسيلة».

ومن هذا القبيل إنَّ مؤسسات صناعة الأسلحة تروّج للأسلحة الفتاكة كالأسلحة الجرثومية، والكيماوية وغيرها، وتسلّمها بأيدي طواغيت العصر الذين لا يتورّعون عن استعمالها لأيّ هدف كان، والأعجب من ذلك أنَّ بعض مؤسسات الأدوية اشترت ضمائر بعض الأطباء المشهورين؛ ليروّجوا مبيعات إنتاجها مع علمها بأنَّه يسبب تشويه الأجنّة في بطون الحوامل.

---

(١) المصدر السابق: ١٠٧.

(٢) كيف تكسب رئيسك وتحبّ عملك: ٢٣ ـ ٢٤، إعداد وتقديم: أخصائيّين في العلوم الإداريّة وعلم النفس.

وهناك أسلوب آخر لترويج المنتجات هو استغلال نجوم السينما من الممثّلين والممثّلات والمسرحيين، وتزويدهم بأهمّ المنتوجات، وإبراز ذلك على المسرح لدفع الناس إلى تقليدهم وشراء ما يقتنون من بضائعها، وهكذا لا يتركون وسيلة ممكنة إلا واستعملوها للحصول على الشهرة وزيادة الأرباح.

وتتشعّب العلاقات العامة في هذه المؤسسات إلى عدّة أقسام:

١ ـ العلاقة مع العاملين داخل المؤسسة.

٢ ـ العلاقة مع الموردين.

٣ ـ العلاقة مع المستهلكين.

٤ ـ العلاقة مع المشاركين من حملة الأسهم.

أما العلاقة مع العاملين داخل المؤسسة فتتركز على أسلوب المعاملة، وتقديم الخدمات الإضافية لهم، وتوفير وسائل الترفيه، وضمان مستقبلهم المعيشيّ، وكلّ ذلك وسائل هامّة عندهم؛ لتحسين الإنتاج، وزيادة المبيعات، ولكي يشيع العاملون الثقة في نفسيّة الجمهور حول جودة الإنتاج وأفضليته على غيره، فالشركات والمؤسسات الصناعية تعمل جاهدة على أن تجعل من كلّ عامل لساناً إعلاميّاً في المجتمع، ومن أجل هذا تحرص المؤسسات على تنمية الشعور عند العاملين بأنَّ مصالحهم ومصالح الشركات مشتركة، كما تنمي شعور الاعتزاز عند العامل بانتمائه إليها من خلال تزويدهم بالمعلومات والأنشطة الخاصّة بالمؤسسة أو الشركة التي يعملون بها، وترسّخ في أذهانهم أنَّها أصلح مكان للعمل؛ لتضمين تأجيرهم، كما توعيهم بالأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة المؤثّرة في عمل المؤسسة، وتشدّهم إليها بالإغراءات المادية التي تقدّمها إليهم كمِنَح، أو معونات، أو قروض طويلة الأمد، وتقيم لها أسواقاً خاصة بهم بأسعار مخفّضة[1].

---

(١) راجع مبادئ العلاقات العامة في الدول النامية.

وتتّبع بعض الشركات والمؤسسات أساليب أخرى؛ لتعميق علاقاتها مع جمهورها الداخلي إضافة إلى الإغراءات المادية: كإقامة المعارض، والنشاطات الرياضيّة، وتقديم جوائز خاصة، وبعض النشاطات الثقافيّة، والفنيّة، والاجتماعيّة، والخدمات العامّة كتوفير العلاجات الطبيّة، والمنح الماليّة في حالة الزواج والإنجاب، والوفاة، وغير ذلك، بل بالغت شركة النصر المصرية بأن خصَّصت رواتب لمن تشملهم الخدمة العسكرية[١].

كلّ هذه الأساليب التي تسلكها المؤسسات مع العاملين لتوثيق العلاقة معهم، وربط مصيرهم بمصيرها كي يكونوا عاملَ تأثير في زيادة الإنتاج والتوزيع، والدعاية المتواصلة لها، وهي تجني من وراء ذلك أرباحاً وفيرة.

وأما العلاقة مع الموردين سواء كانوا أشخاصاً من تجار الجملة أو شركات تجاريّة، أو صناعيّة، أو بنوكاً، أو بيوتاً مالية؛ فإنَّ المؤسسات الاقتصادية تحرص على تعميق العلاقة معهم، وكسب ثقتهم من خلال حسن المعاملة، ويسرها، والوفاء بالالتزامات التي تتعهّد بها كي تتوسّع دائرتها معهم، وكي ينشروا لها السمعة الطيبة في الأوساط الجماهيرية.

وأما أساليبها مع جمهور المستهلكين ـ وهم العامل الأهمّ والمباشر في توسيع دائرة التوزيع والاستهلاك ـ فيتركّز على جذب المستهلك بمختلف السبل لكسب رضاه وإقناعه بأفضلية السلعة المبيعة على غيرها من السلع الأخرى، ومن تلك السبل إشعاره بالاهتمام والإكرام، والاستحواذ عليه بالترحيب، وحسن الاستقبال، والعناية البالغة بملاحظاته واستفساراته.

ومن وسائل الجذب الأخرى توفير أسباب الصيانة لمدد معيّنة، وإعطاء ضمانات محدّدة لتلك السلع، ثمّ إنَّها تحرص على اختيار البائعين الجيّدين من

(١) المصدر السابق: ١١١ ـ ١١٥.

ذوي الخبرة الممتازة في التعامل الاجتماعيّ المباشر، وتلقينهم أصول المعاملة السليمة، ومحاسبتهم على المخالفة لتلك التعليمات.

ثم إنَّ تلك المؤسسات تقوم بدراسة اتجاهات المشترين لمراعاة الأذواق والأمزجة مستهدين بنظريات علم النفس والاجتماع، وأخذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة أيّ طارئ جديد.

ومع حَمَلَة الأسهم والمشاركين كذلك تعمل على كسب المزيد منهم لاستثمار أموالهم لديها، وإعطائهم أرباحاً أكثر من استثمارها في المصارف، فهي تقدّم لهم ضمانات ائتمان خاصة، وتسهيلات كبيرة في التعامل؛ ولتوسيع الشهرة بين المساهمين من ذوي رؤوس الأموال تتولّى نشر البيانات والتقارير الدوريّة السنويّة عن الأوضاع الماليّة الخاصّة بها، وفي خلال ذلك كلّه تدرس التوجّهات العامّة لهم؛ لتجد المنفذ الأوسع للدخول إلى نفوسهم، والاستحواذ على ما في حوزاتهم من أموال.

ومن خلال هذا العرض السريع لاتجاهات وأساليب المؤسسات الاقتصاديّة نرى أنَّ قطب الرّحى الذي تدور عليه جميع علاقاتها، هو توسيع دائرة الشهرة للحصول على الأرباح الأكثر، والسيطرة على رؤوس الأموال بأيّ وسيلة كانت، وليس في تلك العلاقات جنبة إنسانيّة خالصة فهي تدور حيثما تدرّ الأرباح، وما هذه الأساليب إلا أساليب خداع، ووسائل سيطرة على المشاعر والأذواق، فهي تبرز الوجه الإنسانيّ الجميل، وتخفي الجشع المادي القبيح، وأما الجنبة الأخلاقيّة فتكاد تكون معدومة تقريباً، فالمال عندهم هو الأول والآخر وهو فوق الإنسانية، وفوق الأخلاق، وفوق كلّ القيم، وكلّ الوعود والضمانات التي يَعِدون بها العاملين معهم يضربون بها عرض الحائط عندما تتناقض مع مصالحهم الذاتية، وهكذا (تتلاشى بصورة عامّة مشاعر البرّ، والخير، والإحسان، وتطغى مفاهيم الأنانية والجشع، وتسود في المجتمع روح الصراع في سبيل البقاء بدلاً

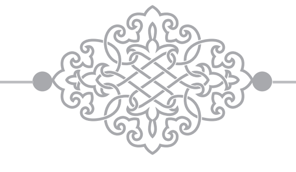
عن روح التعاون والتكافل)[1].

(وقد بلغ من هدر الكرامة الإنسانيّة، نتيجة لهذه الحريّة الرأسماليّة أن بات الإنسان نفسه سلعة خاضعة لقوانين العرض والطلب، وأصبحت الحياة الإنسانيّة رهن هذه القوانين، وبالتالي رهن القانون الحديدي للأجور، فإذا زادت القوى البشريّة العاملة، وزاد المعروض منها على مسرح الإنتاج الرأسمالي، انخفض سعرها؛ لأنَّ الرأسمالي سوف يعتبر ذلك فرصة حسنة لامتصاص سعادته من شقاء الآخرين، فيهبط بأجورهم إلى مستوى قد لا يحفظ لهم حياتهم، ولا يمكنهم حتى من إشباع بعض ضروراتهم، كما قد يقذف بعدد هائل منهم إلى الشارع يقاسون آلام الموت جوعاً، لا لشيء إلاّ لأنّه يتمتّع بحرية غير محدودة، ولا بأس على العمال من الدّمار والموت جوعاً)[2].

(١) السيد الشهيد محمد باقر الصدر، اقتصادنا: ٣٠١.

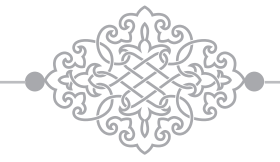
(٢) م. ن: ٣٠٠ـ ٣٠١.

الفَصلُ الثَّاني



العلاقات الاجتماعيّة في الإسلام

أهمّيّة العلاقات الاجتماعيّة في الإسلام



لقد أولى الإسلام العلاقات الاجتماعيّة أهميّة خاصّة، وجعل لها مواقع متقدّمة في تعاليمه الرساليّة، وحَمَّلَ جميع معتنقيه مسؤوليّة بنائها على أسس إيمانيّة وأخلاقيّة، ووصف العاجز عن بنائها، أو هادمها بأنَّه من أعجز الناس، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أعجز النّاس من عجز عن اكتساب الأخوان، وأعجز منه من ضيَّع من ظفر به منهم**»[1].

ونفى الخير عن كلّ شخص لا يألف الناس، ولا تألفه القلوب، أي يكون نافراً من المجتمع منفّراً له، ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ... خيرُ المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين، ولا خيرَ فيمن لا يألف ولا يؤلف**»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: المؤمن مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**»[3].

والروايات التي تحثّ على اكتساب الأخوان، والتآلف الاجتماعي أكثر من أن تحصى، وهذا دليلٌ على اهتمام الإسلام في بناء العلائق الاجتماعية بين الناس.

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ٨/ ٤٠٨ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي: ٢/ ١٠٢.

إنَّنا لو تتبعنا مفردات الأخلاق الإسلاميّة، والتي عدَّها الإسلام أثقل شيء في الميزان يوم القيامة، نجدها جميعاً ذات أبعاد اجتماعيّة مختلفة، ولها آثار هامّة في توثيق الروابط بين المؤمنين أنفسهم، أو بينهم وبين غيرهم، فالتوادّ، والمداراة، وخفض الجناح، والتآلف، والتآخي، والتواضع، والحلم، والعفو، والصفح، وكظم الغيظ، وحسن الظن، والعفة، والشكر، والرفق، والصدق، والكرم، والعدل، والتراحم، والتعاطف، والحياء كلّ هذه المفردات والتي صبغها الإسلام بصبغة أخلاقيّة لها أبعاد وآثار عظيمة في تمتين العلائق الاجتماعية مع الناس بصورة عامة، ومع المؤمنين بصورة خاصة.

كذلك هناك مفردات عمليّة أخرى لها مردودات اجتماعية مهمة أكَّد عليها الإسلام، كما في: برّ الوالدين، صلة الأرحام، إكرام الضيف، قضاء حاجات المؤمنين، حسن البِشر، السلام، ردّ التحية بأحسن منها، الهدية، أداء الأمانة، حسن الجوار، المخاطبة بأحبّ الأسماء أو الألقاب... الخ.

كلّ تلك المفردات عدَّها الإسلام من مكارم الأخلاق، ومن محاسن الأفعال، وهي مفردات يتعامل بها المؤمن مع الناس، وقد حثَّ القرآنُ والسُنّةُ الشريفةُ المؤمنين عليها، وأمرهم بالتَّخَلّق بها، ومعاملة الناس على أساسها؛ لأنَّها تجسّد أخلاق الإسلام، ومبادئه بشكل عملي، ولها تأثير كبير على النفس الإنسانية حيث إنَّها تفتح الطريق إلى القلوب، وتوثّق الروابط بين الناس، واهتمام الإسلام بها دليل على اهتمامه بالعلاقات الاجتماعية؛ ليكون المؤمنون قوّة جذب للآخرين، يَنْشَدّون إليهم، ويستأنسون بهم، وليكونوا دعاة إلى الله بسيرتهم قبل ألسنتهم.

وهذا أفضل أسلوب للتأثير في الناس، وهدايتهم إلى سبيل النجاة، وقد ثبت بالتجربة أنّ الناس يتأثّرون سلباً أو إيجاباً بالمواقف السلوكيّة أكثر مما يتأثّرون بعرض المبادئ المجرّدة، ومن هنا ينبغي للعامل في التغيير الاجتماعيّ أن يعرض مبادئه من خلال المواقف الرساليّة، أي أن يكون الموقف معبّراً عن المبدأ

السليم، وأدقّ تعبير لهذه الحقيقة ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ الوعظَ الذي لا يمجّه سمع، ولا يعدله نفع ما سكت عنه لسان القول، ونطق به لسان الفعل**»[١].

ومن ناحية أخرى نجد أنَّ الإسلام نهى عن ذمائم الأخلاق، وسوء الأفعال؛ لأنَّها تعطي صورة معكوسة عن مبادئه السليمة من خلال سلوك المتّصف بها، فنهى عن التكبّر، والحسد، والغيبة، والنميمة، والعُجْب، والبذاءة، والفخر، والمماراة، والقسوة، والمكر، والخديعة، والكذب، والهجران، وتتبّع العورات، والشماتة، والسباب، وسوء الظن، وقطيعة الرحم، كلّ هذه المفردات نهى الإسلام عنها، وحذّر منها بقوّة، وأوعد عليها سوء المآل، ووخامة العاقبة؛ لأنَّها تؤدّي إلى التمزّق الاجتماعي، وتُحدث تنافراً بين النفوس، وهذا دليلٌ آخر على حرص الإسلام على سلامة العلاقات الاجتماعيّة، وعلى بنائها على أسس إنسانيّة وأخلاقيّة.

ومن ناحية ثالثة فإنَّ الإسلام عمل على تذويب جميع الفوارق الاجتماعيّة، ونبذ التعصب القوميّ أو الإقليميّ، أو أيّ نوع يبعد الإنسان عن أخيه الإنسان، فوضع قانون الأخوة الإيمانيّة والإنسانيّة، وأرسى دعائم التضامن، والتكافل الاجتماعيّ، يقول السيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه: «فالأساس الأول للضمان الاجتماعي: هو التكافل العامّ، والتكافل العامّ هو المبدأ الذي يفرض فيه الإسلام على المسلمين كفاية كفالة بعضهم لبعض، ويجعل من هذه الكفالة فريضة على المسلم في حدود ظروفه وإمكاناته يجب عليه أن يؤدّيها على أيّ حال كما يؤدّي سائر فرائضه»[٢].

وبذلك حمّل مسؤولية الإصلاح الاجتماعيّ للجميع؛ فعن ابن عمر يقول: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته**»، الإمام

---

(١) الآمديّ، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢٥، ح/ ٤٥٦٠ .

(٢) اقتصادنا: ٧٧٤ .

راعٍ، ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله، وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيّتها، والخادم راعٍ في مال سيّده، ومسؤول عن رعيته، قال: «وحسبت أن قد قال: **والرجل راعٍ في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلّكم راعٍ ومسؤول عن رعيّته**»[١].

كما أنَّه وضع لكلّ علاقةٍ اجتماعيةٍ قانوناً أَطَّرَهُ بإطار أخلاقيّ وإنسانيّ بدءاً بالعائلة، فنظَّم العلاقة بين الزوجين، وحدّد لكلّ منهما ما له من الحقوق[٢]، وما عليه من الواجبات، وحدّد مسؤولية الأب عن أبنائه، وواجبات الأبناء إزاء آبائهم، ومروراً بعلاقة الجوار، والصداقة، والأخوّة... وانتهاءً بالعلاقات العامّة في المجتمع سواء كانت بين أفراد الرعيّة، أو بين الحاكم والمحكوم، وحتى بين المسلمين وغيرهم، وهكذا لم يترك جانباً من الجوانب الاجتماعيّة إلا ووضع له دستوراً ونظاماً حدّد فيه الحقوق والواجبات.

ولكلّ من الفرائض العباديّة التي فرضها الإسلام على معتنقيه أبعاد اجتماعيّة عظيمة في تمتين الروابط بين المسلمين؛ فالصلاة، والصيام، والحجّ، والزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مع كونها أعمالاً عباديةً يتقرّب بها العبد إلى بارئه فإنَّ لها آثاراً اجتماعيةً هامةً، فمثلاً صلاة الجماعة لها دورٌ فعّالٌ في تمتين الروابط بين المؤمنين، فعندما يقف المسلمون بصفوف متراصّة من دون فارق بين غنيٍّ وفقير، وحاكم ومحكوم، تزول كلّ الفوارق الاجتماعيّة في أسمى وأشرف موقف يقفه العبد في محضر القدس الأعظم، ورد في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام: «فَلِمَ جعل الجماعة؟ قيل: **لئلا يكون الإخلاص، والتوحيد، والإسلام، والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً؛ لأنَّ في إظهاره حجةً على أهل الشرق والغرب لله وحده عزّ وجلّ، وليكون المنافق والمستخف مؤدياً لما أقرّ به**

---

(١) صحيح البخاري: ١/ ٢١٥ .

(٢) ( ) راجع ما تقدّم في الفصل الأول.

بظاهر الإسلام والمراقبة، وليكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة مع ما فيه من المساعدة على البرّ والتقوى»[1].

وخلاصة القول: الصلاة في المساجد، وصلاة الجماعة مظهر اجتماعيٌّ أَوْلاه الإسلامُ أهميّة كبرى، فهو إضافة إلى كونه عملاً عبادياً فهو يعطي في نتائجه بعداً اجتماعيّاً، فعن الأصبغ أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «**من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آيةً محكمةً، أو يسمع كلمة تدلّ على هدى، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تردّه عن ردى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء**»[2].

وواضح أنَّ معظم هذه الثماني تتم عن طريق التفاعل الاجتماعيّ مع الآخرين.

والصوم ليس عملاً فرديّاً مجرّداً، وإنّما له دورٌ كبيرٌ في خلق الروابط القويّة بين المؤمنين حيث يواسي أحدهم الآخر، ويشعر الغنيّ بآلام الفقير، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إنما فرض الله الصّيام؛ ليستويَ به الغني والفقير، وذلك أنَّ الغنيّ لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير؛ لأنَّ الغنيّ كلما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله تعالى أن يسوّي بين خلقه، وأن يذيق الغني مسّ الجوع والألم؛ ليرقّ على الضعيف، ويرحم الجائع**»[3].

هذا مضافاً إلى ما فيه من المستحبّات المؤكّدة كتحسين الخلق، والرحمة للأيتام والفقراء.

والحجّ كذلك دورة تربوية اجتماعية يلتقي فيها المسلمون كلّ عام؛ ليتدارسوا شؤون دينهم ودنياهم، وبذلك تتوثّق الروابط بينهم في كلّ بقاع الأرض.

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ×: ٢/ ١١٦ .

(٢) وسائل الشيعة: ٣/ ٤٨٠ .

(٣) المصدر نفسه: ٧/ ٣ .

والزكاة كذلك مع كونها فريضةً ذات صبغة اقتصادية فإنَّها كذلك ذات بعد اجتماعيّ هام.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة إصلاحيّة اجتماعيّة حيث يتوجّه الآمر، أو النَّاهي إلى المجتمع ليُمَتِّنَ فيه روابط الخير والصلاح، يقول الإمام الخميني رضوان الله عليه: «ينبغي أن يكون الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر في أمره ونهيه ومراتب إنكاره كالطبيب المعالج المشفق، والأب الشفيق المراعي مصلحة المرتكب، وأن يكون إنكاره لطفاً ورحمة عليه خاصة، وعلى الأمّة عامة»[1].

فهنا في هذه الفتوى وصفٌ دقيقٌ في عمليّة الأمر والنّهي، وهي أن يكون الآمر طبيباً معالجاً لأمراض المجتمع بروح أبويّة تتّسم بالعطف، والرحمة، والشفقة على المأمور، وعلى جميع الأمّة.

فالعبادات المفروضة إذن مع روحها العباديّة لها آثار اجتماعيّة على الفرد والمجتمع، وخلاصة القول: إنّ الإسلام دين اجتماعيّ يأبى لحاملي رسالته العزلة والانحسار عن المجتمع، بل أوجب عليهم التحرّك فيه، والعمل على تغييره، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**أكثروا من الأصدقاء في الدنيا؛ فإنَّهم ينفعون في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فحوائج يقومون بها، وأما في الآخرة فإنَّ أهل جهنم قالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم**»[2].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أقربكم مني مجلساً في الجنّة، أحسنكم أخلاقاً في الدّنيا المُوطئون أكنافهم، الذين يألفون ويُؤلفون**»[3].

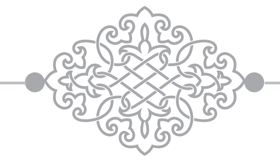
ولم يكن هذا الحثّ على الترابط والتواصل الاجتماعيّ لغايات ذاتيّة محدودة، بل اشترط الإسلام فيها النزاهة والترافّع عن المصالح الخاصّة، والالتزام بالمبدئيّة

(١) الإمام الخميني، تحرير الوسيلة: ١/ ٤٨١ .
(٢) وسائل الشيعة: ٨/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .
(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل: ٨/ ٤٥٠ .

الهادفة، (ومن هنا فإنَّ المعيار الذي يعتمده أهل الإيمان بشكل عام في طبيعة الروابط بينهم وبين الآخرين هي المتبنّيات الفكريّة... إنّ ما يميز الإنسان المؤمن في ارتباطاته وعلاقاته مع الآخرين هو ما تمليه عليه فكرته، وما تفرزه متبنّياته العقيديّة، فهي الأساس والمقياس في الحبّ والبغض، والقبول والرفض، والرضا والإعراض)[١].

(١) الأستاذ المجاهد عبد اللطيف الراضي، المنهج الحركي في القرآن الكريم: ١٤٦ ـ ١٤٧ .

أسس العلاقة الاجتماعيّة في الإسلام



لقد اهتمّ الإسلام اهتماماً كبيراً في بناء مجتمع وأمّة متعاونة متكافئة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(١).

ومن الواضح أنَّ تَكْوين الأمّة لا يتمّ إلا من خلال الاهتمام بالعلاقات التي تربط بين أبنائها المنضوين تحت لوائها، وبين الجماعات الأخرى التي تدعوهم إلى الخير، ولذا فإنَّ الإسلام في عقيدته، وشريعته يهدف إلى بناء المجتمع الإسلاميّ بصورة سليمة؛ لينال الإنسان فيها سعادته ورفاهيّته، فعلى المستوى العقائدي دعا إلى اجتماع الناس على توحيد الله تعالى، ولا شكَّ أنَّ الوحدة العقائديّة أعظم رابطة في توحيد الأمة، لا تفوقها رابطة أخرى، فإنَّ الوحدة العقائديّة تجمع قلوب الناس على مبدأ واحد، وتدفعها في اتجاه واحد، وتُذَوِّبُ جميع الفوارق الأخرى سواء كانت اقتصاديّة، أو قوميّة، أو وطنيّة، يقول تعالى: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾(٢).

فالأمّة هي جماعة من الناس ترتبط برباط عقائدي واحد، (يتخيَّرون العلم والعمل الصالح، يكونون أسوة لغيرهم)(٣).

---

(١) آل عمران: ١٠٤ .

(٢) المؤمنون: ٥٢ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩ .

يقول تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[1] فبالتوحيد العقائديّ يتحقّق التوحيد الاجتماعيّ كما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام في دعائه، وهو يرفع قواعد البيت العتيق: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾[2].

فالأساس الأول في العلاقات الاجتماعيّة هو الرابط العقائديّ السليم، وهو التوحيد الإلهيّ.

وأما الأساس الثاني فهو الولاية بين المؤمنين يقول عزّ وجلّ: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[3]، وهي بمعناها تشمل: النصرة، والتعاون على البرّ والتقوى، وهذه الرابطة هي فرع لرابطة التوحيد، فإنَّ المؤمن يتولّى المؤمن؛ لأنَّهما يرتبطان برباط التوحيد لا غير، فولاية المؤمن للمؤمن فرع ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وولاية الرسول فرع ولاية الله عزّ وجلّ؛ لأنَّ الولاية بالأصل لله تعالى، وغيرها تتفرّع منها وترجع إليها، وعلى هذا الأساس جُعِلَ المؤمنون في ترابطهم كمثل الجسد الواحد يحسّ كلّ عضو بآلام الأعضاء الأخرى، يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَثَلُ المؤمنين في توادّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمى**»[4].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا والله لا يكون المؤمن مؤمناً أبداً حتى يكون لأخيه مثل الجسد، إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه**»[5].

وقوام الولاية هو التحابب في الله، والتناصر في الله، والتباذل في الله، وتلك هي ثمرة رابطة الإيمان الاجتماعيّة، «**من أوثق عرى الإيمان أن تحبّ في الله،**

---

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) البقرة: ١٢٨.

(٣) التوبة: ٧١.

(٤) المتّقي الهندي، كنز العمال: ١/ ١٤٩، ح/ ٧٣٧.

(٥) الشيخ هادي النجفي، ألف حديث في المؤمن: ٧٥.

وتبغض في الله»[1]، ومن هنا وصل المتوالون في الله إلى أسمى منازل القرب من الله، فهم «**جيران الله في دار رحمته**»[2]، وهو تعبيرٌ دقيقٌ عن المنزلة الرّفيعة الّتي منحها الله لأوليائه.

وقد ورد عن الثّمالي، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**... ثم ينادي منادٍ من الله عزَّ وجلّ يُسْمِعُ آخرَهم كما يُسْمِعُ أوَّلَهم، فيقول: أين جيران الله جلّ جلاله في داره؟ فيقوم عنقٌ من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون لهم: ما [ذا] كان عملكم في دار الدنيا فصرتم به اليوم جيران الله في داره؟ فيقولون: كنّا نتحابُّ في الله عزَّ وجلّ، ونتباذل في الله، ونتزاور في الله**[3]. **فينادي منادٍ من عند الله: صدق عبادي خلّوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله في الجنّة بغير حساب. قال: فينطلقون إلى الجنّة بغير حساب**»، ثُمَّ قال أبو جعفر عليه السلام: «**فهؤلاء جيران الله في داره، يخاف النّاس ولا يخافون، ويحاسَب النّاس ولا يحاسَبون**»[4].

والأساس الثالث الذي تبتني عليه الروابط الاجتماعيّة في الإسلام هو الرابطة الإنسانيّة، فالبشر أبناء طينة واحدة، مصدرهم واحد، ومآلهم واحد، منه يصدرون، وإليه يرجعون، أبناء أب واحد وأم واحدة، «**كلّكم لآدم وآدم من تراب**»[5]، هكذا أقرّ الإسلام الرابطة النَسَبيّة بين أبناء البشر بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[6].

فالشّعوب والقبائل تتعارف على أساس الإنسانية؛ ولهذا حرّمت الشريعة الإسلامية المقدّسة على المسلم أن يظلم، أو يغدر، أو يخدع، أو يقتل إنساناً

(١) الأصول من الكافي: ٢/ ١٢٥ .
(٢) الشيخ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار: ٢/ ١٢٩ .
(٣) ورد في بعض النسخ: (نتوازر في الله) .
(٤) الشيخ الطوسي، كتاب الأمالي: ١٦٧ـ١٦٨ .
(٥) ابن شعبة الحراني، تحف العقول: ٣٤ .
(٦) الحجرات: ١٣ .

مهما كان بلا حقّ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لمالك الأشتر: «**وأشعرْ قلبك الرحمة للرَّعيّة، والمحبّة لهم، واللُّطف بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سَبُعاً ضارياً تغتنم أَكْلَهُم؛ فإنَّهم صنفان: إما أخٌ لك في الدّين، وإمّا نظير لك في الخلق**»[1].

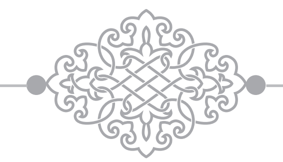
ومن هذا المنطق سبق الإسلام جميع الحضارات، (وأعطى الإنسان قيمته الحضاريّة، ودوره الرّيادي، وكان التّأكيد على حقوقه واضحاً جليّاً، جسّده دستور الإسلام الخالد القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة)[2].

---

(١) نهج البلاغة: ٤٥٠، كتاب: ٥٣.

(٢) العلامة التسخيري، حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي: ٧.

العوامل المؤثّرة في بناء العلاقات الاجتماعيّة



كما أنَّ للإنسان جنبةً عقلائية، فإنَّ له جنبةً عاطفيةً، ولا شكّ أنَّ العواطف النبيلة لها دور كبير في التقارب بين الناس، فهي تفتح القلوب، وتشرح الصّدور أمام الإنسان، وبالعكس فإنَّ التعامل الجافّ له مردودات سلبية على تلك الروابط.

ويمكننا تقسيم العوامل في بناء العلاقات الاجتماعية على قسمين: قسم منها له تأثير إيجابي، والآخر له تأثير سلبي.

أما القسم الأوّل: فهو الذي يجذب إليه مشاعر الإنسان، ويثير إحساس الخير في الآخرين، ولهذا على العامل في تغيير المجتمع أن يعمل على خلق دوافع الخير في الآخرين، ونقصد بدوافع الخير: يقظة الروح، واندفاعها إلى كلّ عمل يعود عليها وعلى المجتمع بالفائدة مع التجرّد عن الدوافع الماديّة، ولا شكّ أنَّه متى وجد دافع الخير عند الإنسان تشوّق إلى فعله، وتحرّك نحو إيجاده، وإذا أردنا أن نوجد ذلك في نفوس الناس فلا بدّ أن نوجده أولاً في نفوسنا، لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**احصد الشرَّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك**»[1].

وهذا هو المنطلق الأساس في التغيير الاجتماعيّ؛ فإنَّ الإنسان مهما بلغ من قوّة في وعظه وإرشاده إذا لم يزكِّ ذاته من جميع الخبائث لا يمكن أن يؤثّر

(١) نهج البلاغة: ٥١٦، الكلمات القصار: ١٦٨.

في الآخرين أو يكون تأثيره محدوداً، ثمّ يأتي بعد ذلك دور الأسلوب الأمثل والطريق الأسلم لزراعة الخير في نفوس النّاس، ولا بدّ أن تعرف أنّ الإنسان لا يندفع إلى فعل شيء، ويبدع فيه إلا إذا كان ذلك الشيء يعود عليه بفائدة مادية أو معنوية؛ فإنَّه ﴿**لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾[1].

وبعبارة أخرى: إنَّ كل شيء لا يحقّق للإنسان إشباع ذاته، وتحقيق أناه لا يندفع إليه إلا مكرهاً، وحينئذٍ لا يمكن أن يبدع فيه، ويعطي نتيجة مرضيّة، فلا (يمكن تكليف الإنسان أن يتحمّل مختاراً مرارة الألم دون شيء من اللّذّة في سبيل أن يلتذّ الآخرون، ويتنعّموا، إلا إذا سلبت منه إنسانيّته، وأعطي طبيعة جديدة لا تتعشّق اللّذة، ولا تكره الألم.

وحتى الألوان الرائعة من الإيثار التي نشاهدها في الإنسان ونسمع بها عن تأريخه، تخضع في الحقيقة ـ أيضاً ـ لتلك القوة المحرِّكة الرئيسية: (غزيرة حبّ الذات). فالإنسان قد يُؤْثِر ولده أو صديقه على نفسه، وقد يضحّي في سبيل بعض المثل والقيم، ولكنّه لن يقدم على شيء من هذه البطولات ما لم يحسّ فيها بلذّة خاصّة، ومنفعة تفوق الخسارة التي تنجم عن إيثار لولده وصديقه، أو تضحيته في سبيل مثل من المثل التي يؤمن بها)[2].

وقد عالج الإسلام هذه المسألة حيث فسّر الحياة الدنيا تفسيراً واقعياً، وإنَّها (كمقدّمة تمهيديّة إلى حياة أخرويّة، يكسب الإنسان فيها من السعادة على مقدار ما يسعى في حياته المحدودة هذه)[3].

وقد استعمل القرآن الكريم الترغيب كوسيلة دفع إلى فعل الخير، وعدَّه ضماناً لمستقبله الأخرويّ، وبذلك حقَّق للإنسان إشباع دوافعه الذاتية من خلال تطمينه

(١) العاديات: ٨ .

(٢) السيد الشهيد الصدر، فلسفتنا: ٤٦ .

(٣) المصدر نفسه: ٥٥ .

بعودة كلِّ ما يفعله من خيرٍ إليه، واستعمل أسلوب الترهيب كوسيلة زجر عن كلّ فعل يتنافى مع المصالح الإنسانيّة، وقيمها الأخلاقيّة والاجتماعيّة.

وبذلك (يوسّع من ميدان الإنسان، ويفرض عليه نظرة أعمق إلى مصالحه ومنافعه، ويجعل من الخسارة العاجلة ربحاً حقيقيّاً في هذه النظرة العميقة، ومن الأرباح العاجلة خسارة حقيقيّة في نهاية المطاف)[١].

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[٢].

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٣].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[٤].

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٦].

وبهذا التأكيد على عودة كلّ ما يقدّمه الإنسان إليه **﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾**[٧] استطاع أن يخلق الدافع في نفس الإنسان لفعل الخير.

والسرّ في هذا التأكيد أنَّ النفس الإنسانيّة شحيحة؛ فلا تعطي حتى تأخذ، وبذلك حلّ التعارض بين المصلحة الشخصية والمصلحة العامة، وسخّر

---

(١) المصدر السابق: ٤٧ .
(٢) الأنفال: ٦٠ .
(٣) سبأ: ٣٩ .
(٤) فصلت: ٤٦ .
(٥) غافر: ٤٠ .
(٦) الزلزلة: ٦ ـ ٨ .
(٧) الإسراء: ٧ .

المصلحة الشخصيّة لأجل المصلحة العامة من خلال ربط العقيدة بالنظام، وبها عالج أعظم المشاكل الاجتماعيّة.

ولا بدّ أن نشير إلى أنَّ الذي يحرّك الإنسان لفعل الخير ليس الدوافع الماديّة فقط كما ذهبت إليه المذاهب الماديّة، وإنّما الذي يحرّكه أيضاً الدوافع المعنويّة، فهي أكثر قوّة، وأبقى أثراً في النفس من الدوافع الماديّة؛ ولهذا فهناك كثيرٌ من الجوانب المعنويّة تخلق دوافع الخير في نفوس الناس.

وبعد هذا يمكننا أن نذكر أهمّ العوامل المؤثّرة في تقوية الروابط الاجتماعيّة، والتي تدفع الآخرين إلى الخير والإحسان، وهي:

أ ـ شكر الآخرين على أعمالهم ومواقفهم

إنَّ الإنسان بطبعه يحبّ أن يكون لعمله قيمةٌ واعتبارٌ وأثرٌ طيّبٌ في نفوس الآخرين حتّى لو لم يعد عليه بنفع ماديّ، فعندما يحسّ بامتنان الناس ورضاهم عن أعماله؛ فإنَّ ذلك يدفعه إلى مواصلة عمله والإبداع فيه، وهذا أثرٌ هامٌّ من آثار الشّكر في نفوس الآخرين، أما عندما يحدث العكس فإنَّه سيكون عامل تثبيط للعزائم، وتعطيل للهمم، فـ(إنَّ روحية عدم الشّكر من الآخرين يورث الإنسان خسارة لا تعوّض، ذلك أنَّ الإنسان إن كان يبخل عن شكر خدمات الآخرين، وتودّدهم، وعجز عن الثناء عليهم، والتمجيد بهم حتى مع علمه بأهميّة أعمالهم وأتعابهم التي تحمّلوها، لم يُبدِ أولئك للمرّة الأخرى أيّة رغبة في خدمته وحلّ مشكلته)[١].

(إنَّ الإنسان إذا لم يسمع كلمة شكر على ما يتحمَّله من جهد وتعب أصبحت الحياة عليه صعبة جدّاً)[٢].

---

(١) السيد مجتبى اللاري، رسالة للأخلاق: ١٩٩ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٠ .

ومن هذا المنطلق وردت روايات كثيرة توحي بوجوب شكر المحسن على إحسانه، وربطت بين شكر الخالق وشكر المخلوقين؛ فعن الإمام الرضا عليه السلام: «**من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزَّ وجلّ**»[1].

وعن عمّار الدهني قال: «سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: **إنَّ الله يحبُّ كلّ قلب حزين، ويحبُّ كلّ عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتُك يا ربّ، فيقول: لِمَ تشكرني إذ لم تشكره، ثم قال: أَشْكَرُكم لله أَشْكَرُكم للنّاس**»[2].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من لم يشكر الإنعامَ فليُعَدَّ من الأنعام**»[3].

إنَّ شكر المحسن على إحسانه اعتراف له بالجميل على أعماله، وهذا دافع هامٌّ من الدوافع التي تدفع الإنسان إلى عمل المزيد من الإحسان، وأساس هامٌّ من أسس تقوية العلاقات الاجتماعيّة بين الناس؛ لأنَّ الشكر يشدّ الإنسان إلى أخيه ويربط بين قلبيهما.

ب ـ المشاركة الوجدانيّة

قلنا: إنَّ الجنبة العاطفية في الإنسان واسعةٌ جدّاً، وتمتدّ إلى مختلف المجالات، ولذا فإنَّ مشاركة الآخرين بأفراحهم وأتراحهم يشعرهم بمكانتهم عند المشارك لهم، ومن هنا فإنَّ من العوامل المؤثرة في التجاذب الاجتماعيّ أن نشارك الآخرين في مشاعرهم، ونشعرهم بالروح الأخويّة التي تربطنا بهم، وقد مثَّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التآلف والتناغم في المشاعر بين المؤمنين بالجسد الواحد الذي إذا تألّم منه عضو تألّمت سائر الأعضاء، وهذا من أدقّ وأعظم الأوصاف في الترابط الروحيّ بين المؤمنين، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم، وتراحمِهم، وتعاطفِهم مثل**

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٧.
(٢) الأصول من الكافي: ٢/ ٩٩.
(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٨٠، ح/ ٦٢٠٦.

الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**المؤمنون في تبارِّهم، وتراحمِهم، وتعاطفِهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائرُهُ بالسَّهر والحُمَّى**»[2].

إنَّ مشاركة الآخرين بآلامهم يخفّف من وطأة الألم عندهم، ومشاركتهم في أفراحهم يوسّع من دائرة السرور، ويجعله عامّاً، ولعلَّه من هذا المنطلق أكَّد الإسلام على استحباب إدخال السرور على قلوب المؤمنين، وجعله من أحبّ الأعمال إلى الله، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من سرَّ مؤمناً فقد سرَّني، ومن سرَّني فقد سرَّ الله**»[3].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنّه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**»[4].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**أحبُّ الأعمال إلى الله سرور [الذي] تدخله على المؤمن، تطرد عنه جوعته، أو تكشف عنه كربته**»[5].

وهكذا مشاركتهم في آلامهم وأحزانهم وتفريج الشدائد عنهم له الدور نفسه، وهذه المشاركة قد تتحقّق بكلمة أو موقف، أو معونة، أو دمعة، كلّ ذلك له دور كبير في تخفيف حدّة اللوعة والألم؛ لأنَّ المُصاب عندما يجد من يشاركه في مصابه تخفّ مصيبته.

والمشاركة الوجدانيّة حالة إنسانيّة يتجاوز فيها المرء ذاته، ويعبر إلى المحيط الاجتماعيّ الرَّحب، فَيُذَوِّبُ (الأنا) ويبرز ضمير (نحن)، يقول العلايلي: «فهذا

(١) كنز العمال: ١/ ١٤٩، ح/ ٧٣٧ .
(٢) ألف حديث في المؤمن: ٧٦، ح/ ١٨٩ .
(٣) الأصول من الكافي: ٢/ ١٨٨ .
(٤) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٩ .
(٥) المصدر نفسه: ١٩١ .

الشعور في حدوده تستوي عليه الإنسانيّة في حدودها. فإنّه لولا المشاركة الوجدانيّة التي تخفّف من حدّة أنانيّته الجارفة، لكان الإنسان أسوأ أثراً من أيّ حيوان، وهو بين الأنانيّة والغيريّة في متجاذب شديد من الشرّ والخير، والباطل والحقّ، إذا انتصر أحد الشعورين تبعه لازمه بدون تخلّف أو انفكاك. ولن تجد رجلاً فاضلاً أو مدلاً بخليفة إلا وعنده أوفى قسط من هذا الشّعور السّامي.

وأنا لا أفهم فرقاً بين الإنسانيّة والغيريّة ـ مشاركة النّاس في شعورهم ـ ولعلّ الإسلام هو الدّين الوحيد الذي أقام كلّ تعاليمه الروحيّة والزمنيّة على أساس من هذا الشّعور، وزاد مبالغة في اعتداده أنّه جعله قاعدة الإيمان»(١).

إذن فالمشاركة الوجدانيّة تقارب النفوس، وتمازج القلوب، وبها تتناغم الأرواح من خلال الشعور المشترك بين الإنسان والإنسان، فهي إذن عامل هامٌّ ووسيلة فعّالة في توثيق العلاقات الاجتماعيّة.

ج ـ الاهتمام بالنّاس

الاهتمام بالنّاس كلمة جامعة لكلّ أنواع الرعاية الإنسانيّة تشمل: الاحترام والتقدير، والعون، والتعاون، وقضاء الحاجات، وهذا العامل من أهم العوامل التي تجذب القلوب، وتسحر النفوس، يقول ديل كارنيجي: «وقد وجدت بالتّجربة أن في وسع المرء أن يفوز باهتمام أرفع النّاس قدراً، وأعظمهم درجة لو أنّه أبدى بهم اهتماماً»(٢).

وليس الاهتمام بالمرء عامل جذب له وحسب، وإنّما هو عامل دفع كبير لتقديم الخدمات الاجتماعيّة بطيب نفس وارتياح، يقول الكاتب الإسلامي السيّد مجتبى اللاري: «وإنَّ للتقدير من الأثر والفعّاليّة العجيبة ما يمكنه أن يمنح

---

(١) عبد الله العلايلي، الإمام الحسين: ١٢٧ .

(٢) ديل كارنيجي، كيف تختار الأصدقاء وتؤثر في النّاس: ٥٦ .

المجتمع الذي يغطّ في سبات: حياةً جديدةً، وأن يحرّك عجلاته لنشاطات حيويّة حديثة أخرى، مع أنّ التقدير يعدّ أبسط دواء لأدواء الفرد والمجتمع»[١].

وأفضل دليل على أهميّة هذا العامل هو أخلاق الرسالة الإسلاميّة التي برزت بشكل واضح لجميع الناس في سيرة رسول الله ﷺ؛ فقد كان يبدي الاحترام والتقدير لكلّ من يجالسه ويلتقيه، فقد روى لنا التأريخ أنَّه ﷺ كان «إذا استقبله الرجل، فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الّذي ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرّجل هو الّذي يصرفه»[٢].

وهذه الأخلاقيّة العظيمة كانت على حدّ سواء مع كلّ الناس: الفقير، والغنيّ، والقويّ، والضعيف، والشريف، والوضيع، ومن هنا كانت قريش تُحَذِّر من الالتقاء به خوفاً من تأثيره، وأما في مجالسه فقد كان يقسّم لحظاته بين جلسائه حتى لا يحسب أحدٌ أنَّ أحداً أكرم منه عليه.

تلك هي أخلاق الرسالة في الاهتمام بالنّاس؛ ذلك لأنَّ الاهتمام بهم يفتح قلوبهم إلى من يهتم بهم، ومن حقائق الطبيعة البشريّة السليمة أنَّ الإنسان دائماً يفتّش عمَّن يجد نفسه في قلبه ووجدانه.

بقي علينا أن نشير أنَّ الاهتمام المؤثّر بالنّاس هو ما كان مجرّداً عن المصالح الذاتيّة، والمطالب الشخصيّة، فالخدمة التي تقدّمها، والاحترام الذي تبديه، والخلق الفاضل الّذي تتعامل به لا يكون مؤثّراً إذا كان يخفي وراءه مصلحة، أو مطلباً ذاتياً، وإنّما المؤثر ما كان نابعاً عن صدق، وإخلاص، وسلامة طوية، مجرّداً لله وفي سبيل الله تعالى، وما أجمل ما يقوله الخبير الاجتماعيّ دل كارنيجي: «إذا نحن أردنا أن نكتسب أصدقاء، فلنضع أنفسنا في خدمة غيرنا من النّاس، ولنمدّ لهم يداً مخلصة نافعة، مجرّدة عن الأنانيّة والمصلحة الذاتيّة»[٣].

---

(١) رسالة الأخلاق: ١٨٦.

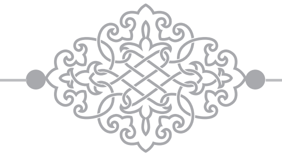
(٢) ابن منظور، مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر: ٢/ ٢٢٠ .

(٣) كيف تختار الأصدقاء وتؤثر في النّاس: ٥٨ .

والخلاصة: إنّ من اهتمّ بالناس كسب محبّتهم، ومن احترمهم احترموه، ومن أكرمهم أكرموه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من استهانَ بالرجال قَلَّ**»[1] و«**من اهتمَّ بكَ فهو صديقُكَ**»[2].

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٦، ح/ ٩٩٩٦ .
(٢) المصدر نفسه: ٤١٥، ح/ ٩٤٨٨ .

الآداب الإسلاميّة في العلاقات الاجتماعيّة



إنَّ التعامل مع الإنسان يختلف اختلافاً كبيراً عن التعامل مع الأشياء؛ فالنفس الإنسانية خزين واسع من الإدراكات، والعواطف، والأحاسيس، والمشاعر، والأمزجة... إضافة إلى ما اعتادت عليه من العقائد، والأفكار والعادات، والتقاليد، والأعراف... فلكلّ واحدة من هذه المفردات تأثير على التعامل؛ ولذا فإنَّ الروابط الاجتماعيّة بين فردين، أو جماعتين تتأثّر تأثّراً سلبيّاً أو إيجابيّاً بمستوى القرب، أو البعد عن تلك المفردات، وبعبارة أخرى: إنَّ تكوين العلاقات يتأثّر بمدى المساس والاستهانة بها، أو بمدى المداراة والرعاية لها؛ لأنَّ كلّ إنسان يريد المحافظة والاحترام لأفكاره، وعقائده، وعاداته، وتقاليده، وهذا ما تفتقر إليه العلاقة مع الأشياء؛ ولهذا فمن الحكمة إذا أراد الإنسان أن يبنيَ علاقاته مع الآخرين فعليه أن يراعيَ تلك الأمور، ويتحاشى المساس بها، وحتى عملية التغيير للفاسد منها يجب أن يتمّ وفق برنامج تدريجيّ مدروس؛ لئلا يصطدم بها بصورة مفاجئة، ويغلق القلوب بوجهه لأوّل وهلة.

وقد نبّه إلى ذلك الإمام السجاد عليه السلام في حديثه مع الزهري بقوله: «**وإياك أن تتكلّم بما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فليس كلّ من تُسمعه شراً يمكنك أن توسعه عذراً**»[١].

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج: ٢/ ٥٢ .

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**خالطوا الناس بما يعرفون، ودعوهم مما ينكرون، ولا تُحمِّلوهم على أنفسكم وعلينا؛ فإنّ أمرنا صعب مستصعب**»(١).

ويقول الإمام الرضا عليه السلام ليونس بن عبد الرحمن: «**يا يونس، حدّث الناس بما يعرفون، واتركهم ممّا لا يعرفون**»(٢).

وليس معنى هذا أن يسكت الإنسان عن كلّ أمر قبيح يخالف الدين والعقل، والمنطق لأجل أن تكون علاقته طيّبة مع المرتكب لها، ولكن المقصود من ذلك: إنَّ أسلوب التغيير ينبغي أن يكون حكيماً وسليماً؛ ليقع موقع القبول، ولهذا ينبغي أن لا يتسرّع الإنسان بطرح مفاهيم تصطدم بما اعتاد الناس عليه، فتواجه إعراضاً وصدوداً ومقاومة، ومن أجل ذلك وجدنا أنَّ سيرَ الحركة الرساليّة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت تتبّع الأسلوب التدريجيّ والمرحليّ في تغيير العادات، والمفاهيم، والعقائد، فلم تُحرّم الخمر للوهلة الأولى، وإنما مرَّ التحريم بمراحل جعلت الحكم مقبولاً.

إنَّ الطبيعة البشريّة لا تقبل التغيير حتى تقتنع بجدواه؛ ولذلك لا بدَّ أن يتجنّب المُغَيِّر الرسالي أسلوب التحدّي والإكراه، وفرض الرأي على الآخرين بالقوّة، فإنَّ التحدي والإكراه، يغلق القلوب، ويخلق الأعداء، ولتحاشي ذلك فقد وضع الإسلام آداباً وسنناً، ورسم لها طرقاً أو أساليب توافق الفطرة، وتجذب الإنسان، راعى فيها جميع الجوانب العاطفيّة، والفكريّة، والسلوكيّة، كما راعى فيها مداراة النّاس بدقّة؛ لتكون خطوات تمهيديّة لعمليّة التغيير الاجتماعيّ.

ومن هذه الآداب والسنن:

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٧ ، ح/ ١٠٠٢٦ .

(٢) بحار الأنوار: ٢/ ٦٦ .

أ ـ الإحسان

قال الراغب الأصفهاني: «الحُسْنُ عبارةٌ عن كلّ مُبْهِجٍ مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ. والحسنة يُعَبَّرُ بها عن كلّ ما يسرُّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه، وبدنه، وأحواله، والسّيئة تضادُّها»[1].

إحدى المعالم الإسلاميّة في بناء العلاقات الاجتماعية هو مَعْلَم الإحسان؛ لأن الإحسان مطلوب لنفسه، ومحبوب لذاته، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**جُبِلَت القلوبُ على حبِّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها**»[2].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

ـ «**بالإحسانِ تُمْلَكُ القلوبُ**».

ـ «**بالإحسانِ يُمْلَكُ الأحرارُ**».

ـ «**عنوانُ النّبل الإحسانُ إلى النّاس**».

ـ «**سبب المحبّة الإحسان**».

ـ «**من كثر إحسانه أحبَّه إخوانُهُ**»[3].

ـ «**من حسن كلامه كان النُّجْحُ أمامَهُ**»[4].

والإحسان معنى جامع لجميع معالم الخير، فلا ينحصر في جانب واحد من العطاء الماديّ أو المعنويّ، وإنّما كلّ ما يدخل السّرور إلى القلب من

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ١٦٦ ـ ١٦٧ .

(٢) تحف العقول: ٣٧ .

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٨٤ ـ ٣٨٦، ح/ ٨٧٨٢ ـ ٨٧٨٣ ـ ٨٧٥٢ ـ ٨٨١٠ ـ ٨٨١٢ .

(٤) المصدر نفسه: ٢١٠، ح/ ٤٠٥٨ .

أفعال الخير فهو إحسان، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**كُلُّ مَعروفٍ إحْسانٌ**»[1] كلمة طيّبة، ابتسامة هادئة صادقة، معونة كريمة، ربتةٌ على الكتف حانية، إرشاد ونصيحة شفيقة، كلّ ذلك إحسان لا يستهان به، وهو طريق الإنسان إلى القلوب، فالإسلام أراد لأتباعه أن يكونوا محسنين في القول، والفعل، ولا يحقّ لمسلم أن يتجاوز هذا المَعْلم حتى في الهجران الذي يوحي بالقطيعة، فحتّى فعل المقاطعة للآخرين وهجرانهم ينبغي أن يكون جميلاً: ﴿**وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً**﴾[2].

إذن الإسلام دين الإحسان؛ لأنَّه دين الفطرة، ولأنَّ القلوب تحبّ المحسنين، وتُقبل عليهم كما تقدّم في الأحاديث السابقة، وإضافة إلى ما تقدّم من أحاديث فقد وردت أحاديث أخرى تؤكّد ما تقدّم، وتحثّ على بذل الإحسان إلى كلّ الناس؛ لأنَّه أدعى وآكد على ترابط القلوب وتآلفها: يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**وأحسن إلى جميع الناس كما تحب أن يُحْسَنَ إليك**»[3].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**وأحسن فإنّي لم أرَ شيئاً أشدّ طلباً، ولا أسرع دركاً من حسنة لذنب قديم، إنّ الله عزَّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِين﴾**[4]»[5].

وأصرح من ذلك كلّه الأمر الصريح في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾[6].

وقد فسّر أمير المؤمنين عليه السلام الإحسان بالتفضّل، والإحسان الاجتماعي فرع الإحسان مع الله تبارك وتعالى، فمن حَسَّن علاقته مع الله، وأصلحها، حَسَّنَ

(١) المصدر السابق: ٣٨٣، ح/ ٨٧١٨ .
(٢) المزمل: ١٠ .
(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٨٧ .
(٤) هود: ١١٤ .
(٥) الشيخ المفيد، الاختصاص: ٢٣١ .
(٦) النحل: ٩٠ .

اللهُ علاقتَه مع الناس، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس**»[١]، و«**من أصلح ما بينَه وبينَ الله أصلح الله ما بينَه وبينَ النّاس**»[٢].

وتحسين العلاقة مع الله أو إصلاحها يعني الالتزام الجدّي الصادق بأوامره، والانتهاء عن نواهيه، ومعلوم أنَّ الإنسان عندما يكون مطبّقاً لأحكام الله، وممتثلاً لأوامره فإنَّ ذلك سيقوده لا محال إلى حسن العلاقة مع النّاس، وبذلك تكون نفسه شفافةً رقيقةً تتلقّى النور وتشعّه، وتلك هي سمات المحسنين من عباد الله تعالى، والتي هي من خلائق الله؛ فإنَّ الله عزّ وجلّ من عادته الإحسان إلى جميع الخلق المحسن والمسيء.

وهكذا فلتكن أخلاق دعاة الله تعالى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أخبركم بخبر خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمّن ظلمك، وأن تصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك**»[٣].

إنّ الإقبال والانفتاح على الله يفتح قلوب الآخرين، ويجعلها منقادة للدّاعي إليه تعالى، وهذه سُنّة الله في خلقه، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً**﴾[٤].

نعم يجعل للصّادقين مع الله: الودّ، والرّحمة في قلوب عباد الله الصّالحين؛ لأنَّهم يجسّدون الأخلاق الرساليّة في أقوالهم وأفعالهم، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**تفرَّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فإنَّه من أقبل على الله تعالى بقلبه جعل الله قلوب العباد منقادة إليه بالودّ والرحمة، وكان الله إليه بكلّ خير أسرع**»[٥].

---

(١) نهج البلاغة: ٥٥٦، الكلمات القصار: ٤١١.

(٢) المصدر نفسه: ٤٩٩، الكلمات القصار: ٨٤.

(٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل: ٩/ ٩.

(٤) مريم: ٦٩.

(٥) بحار الأنوار: ٧٧/ ١٦٦.

ثمّ إنَّ الإحسان سبيل عظيم من سبل الإصلاح الاجتماعيّ في جميع مجالاته؛ مع الموافق والمخالف، ومع الصديق والعدوّ، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إنّي لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردَّهم فيستغنوا عنّي**»(١).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَصْلِحِ المسيء بحُسْنِ فعالك، ودُلَّ على الخير بجميل مقالك**»(٢).

«**أشعر قلبَكَ الرحمة لجميع النّاس، والإحسان إليهم، ولا تُنِلْهُم حَيْفاً، ولا تكن عليهم سيفاً**»(٣).

ومن العجيب أنَّ الإحسان له تأثيرٌ كبيرٌ في نفوس الأعداء فضلاً عن الأخلّاء؛ فإنَّه يقلب العداء محبّة ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(٤).

هكذا يدخل الإحسان عامل جذب وتغيير نفسيّ، وقوّة مواجهة للأحداث الصعبة، والمواقف الحرجة، (وتصدق هذه القاعدة في الغالبيّة الغالبة من الحالات، وينقلب الهياج إلى وداعة، والغضب إلى سكينة، والتبجّح إلى حياء؛ على كلمة طيّبة، ونبرة هادئة، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب، متبجّح مفلوت الزمام!)(٥).

وما أروع وأجمل ما يصوّره أمير البلاغة والحكمة الإمام عليّ عليه السلام حيث يقول: «**الاستصلاحُ للأعداء بحُسْنِ المقال، وجميل الأفعال أهون من ملاقاتهم ومغالبتهم بمضيض القتال**»(٦).

(١) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء: ٣/ ٣٢١.
(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٥٥، ح/ ٥٣٧١.
(٣) المصدر نفسه: ٦٧، ح/ ٨٩٦.
(٤) فصّلت: ٣٤.
(٥) في ظلال القرآن: ٧/ ٢٤١.
(٦) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٣٤، ح/ ٧٦٨١.

إنَّ المؤمن لا يعادي لينتقم، ولا يتمادى في الخصومة، وإنّما هدفه وديدنه العمل على إصلاح الآخرين، بل حتّى عدوه، وهذا هو أدب الإسلام كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما سمع أهل العراق يسبّون أهل الشام: «**إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنَّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: اللّهُمَّ احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهْدِهم من ضلالتهم، حتّى يعرِفَ الحقَّ من جَهِلَه، ويرعويَ عن الغيِّ والعدوان من لَهِجَ به**»[1].

وبما أنَّ العلاقات الاجتماعية في بعض الأحيان يصيبها الكدر، والخلل، والفتور، ويتبع ذلك العتاب والحساب هنا يأتي دور الإحسان؛ ليكون عامل ربط بعد قطيعة، وعامل تصفية بعد كدورة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**عاتب أخاك بالإحسان إليه، وارْدُدْ شرّه بالإنعام عليه**»[2].

وبهذا السّلوك كان أهل بيت العصمة عليهم السلام يقلبون عداوة المناوئين محبّة لهم، فقد حدَّثنا المؤرخون أنَّ رجلاً من أهل الشام قال: «دخلتُ المدينة، فرأيتُ رجلاً راكباً على بغلة لم أرَ أَحْسَنَ وجهاً، ولا ثوباً، ولا سمتاً، ولا دابّة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه، فقيل: هذا الحسن بن عليّ، فامتلأ قلبي له بغضاً، وحسدتُ علياً أن يكون له ابن مثله، فصرتُ إليه، وقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال: **أنا ابن ابنه**، قلت: فبِكَ وبأبيك! فلما انقضى كلامي قال: **أَحْسَبُكَ غريباً**؟ قلت: أجل، قال: **فَمِلْ بنا، فإن احتجتَ إلى منزل أنزلناك، أو إلى مالٍ واسيناك، أو إلى حاجة عاونّاك**. فانصرفتُ عنه وما على الأرض أحدٌ أحبُّ إليَّ منه»[3].

إنّ السّلوك المتسامي على الصّغائر وسفاسف الأمور لا بدّ له من قلب طافح بالإيمان، وأُفقٍ واسع ينظر الأمور من جميع جوانبها، ويحسب لكلّ كلمة، أو

(١) نهج البلاغة: ٣٥١، الخطب: ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه: ٥١٤، الكلمات القصار: ١٤٨.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٣٧٨.

خطوة، أو موقف ألف حساب، متوكّلاً على الله، طالباً رضاه لا غير، (وهذه الدرجة، درجة دفع السيّئة بالحسنة، والسماحة التي تستعلي على دفعات الغيظ والغضب، والتوازن الذي يعرف متى تكون السماحة، ومتى يكون الدفع بالحسنى.. درجة عظيمة لا يلقّاها كلّ إنسان، فهي في حاجة إلى الصّبر، وهي كذلك حظٌّ موهوب يتفضّلُ به الله على عباده الذين يحاولون فيستحقّون: ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[1]..)[2].

ولعظمة هذه الصفة ترى الإمام السجاد عليه السلام يتضرّع إلى الله أن يعينه على اكتسابها، ويتوسّل إليه تعالى بكلمات تفيض صدقاً، وخشوعاً، وضراعةً، فيقول: «**اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْني لأن أعارض من غشَّني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبرّ، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصّلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيّئة**»[3].

إذن رَدُّ السّيّئة بالحسنة تحتاج إلى توفيق، وتسديد من الله تعالى، ثم إنَّ للإحسان آثاراً طيّبة في القلوب الطاهرة والفطر السليمة كأثر الماء في الأرض الخصبة حيث يخرج الأزهار والورود، ويعطي الأرض رونقاً جميلاً تسرّ النّاظرين، وهكذا الإحسان يترك أثراً طيباً في وجدان الإنسان لا يمحى ولا يزول، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**خالطوا النّاسَ مخالطة إن متّم معها بكوا عليكم، وإن غبتم حنّوا إليكم**»[4].

ومن الإحسان الكلمة الطيّبة، وهي التي تؤدّى بصدق، ودفء، وإخلاص، ومرونة، وبلاغة تهزّ المشاعر، وتثير العواطف النّبيلة، وتجذب القلوب، وتؤلّف بينها؛ ولهذا أمر الله تعالى عباده ألا يقولوا إلا الحسن؛ ولا يتلفّظوا إلا بالطيب

(١) فصّلت: ٣٥.

(٢) في ظلال القرآن: ٧/ ٢٤١.

(٣) الصحيفة السجادية: دعاء ٢٠، دعاء مكارم الأخلاق.

(٤) وسائل الشيعة: ٨/ ٤٠٤.

من القول: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1] (على وجه الإطلاق وفي كلّ مجال. فيختاروا أحسن ما يقال؛ ليقولوه.. بذلك يتّقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودّة. فالشّيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرّدّ السيّئ يتلوها، فإذا جوّ الودّ، والمحبّة، والوفاق مشوب بالخلاف، ثمّ بالجفوة، ثمّ بالعداء. والكلمة الطيّبة تأسو جراح القلوب، وتندّي جفافها، وتجمعها على الودّ الكريم)[2].

والميزان في القول الحسن هو ميزان الفطرة السليمة فالإنسان بفطرته يحبّ أن يسمع الكلمة الحسنة الجميلة، من هذا المنطلق يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولا تقلْ ما لا تُحِبّ أنْ يُقال لك**»[3].

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «**قولوا للنّاس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنَّ الله عزَّ وجلّ يبغض اللّعّان السّبّاب الطّعّان على المؤمنين الفاحش المتفحّش، السائل المُلْحِف، ويحبّ الحَييَّ الحليم، العفيف المتعفّف**»[4].

إنَّ الكلمة الطيّبة دواء القلوب، ومفتاح مغاليقها، ولذلك على من أراد أن يبني علاقاته مع الناس أن يتأمّل في كلّ كلمة يريد أن يقولها، ويختار كلماته بعناية ودقّة مراعياً فيها المقام، والمشاعر، والأمزجة؛ لتكون موضع قبول، وأجمل وأحكم ما قيل في هذا الجانب ما قاله الإمام السجاد عليه السلام للزهري: «**احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك**»[5].

وهكذا تبقى الكلمة الطيّبة ﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾[6].

---

(١) الإسراء: ٥٣ .

(٢) في ظلال القرآن: ٥/ ٣٣٦.

(٣) نهج البلاغة: ٤٢٢ ، كتاب: ٣١ .

(٤) الشيخ الصدوق، الأمالي: ٣٢٦ .

(٥) الاحتجاج: ٢/ ٥٢ .

(٦) إبراهيم: ٢٤ـ ٢٥ .

ولا يعني ذلك أنَّ المحسن يكتفي بالكلمة الطيّبة كشعار مجرّد، وإنّما الكلمة المؤثّرة هي التي تسيل من فيض القلوب نبعاً صافياً، فمهما كانت الكلمة بليغة وليّنة لا تؤدّي دورها إذا لم تكن نابعة من قلب صادق حنون. وأخيراً الإحسان ليس شعاراً تلوكه الألسن إنّما يشمل جلب المنافع ودفع المضارّ، والإعانة بالنفس والمال، بل بكلّ شيء قدر إمكان المحسن، يقول المحدّث الشيخ حسين النوري: «إنَّ الإحسان إلى المؤمن إما بسوق نفع إليه، أو بدفع ضرر عنه، وكلّ واحد منهما إما أن يتعلق بدينه، أو بعقله، أو بجسده، أو بعرضه، أو بماله، ولإصلاح هذه الخمسة بُعثت الرُّسل، وشُرِّع الدين، وقُرّرت الحدود والموازين»[1].

ب ـ التودّد إلى النّاس

إنَّ أفضل رابط يؤلّف بين القلوب، ويجمعها على أمر واحد، ويحرّكها نحو هدف واحد هو (الحبّ)، وهو حالة نفسيّة، وروحيّة، ووجدانيّة، تمزج نفسين في قالب واحد، وتصهرهما حتى تعودا، وكأنَّهما كيان واحد.

وعلاقات القلوب هي أقوى وأمتن العلاقات الإنسانيّة، فالجماعة المؤتلفة قلوبها على حبّ الله تعالى لا يمكن أن تختلف أو تتفرّق، أو يقع بينهما التنافر على مصالح معيّنة، بل كلّ المصالح تذوب عندما يكون الحبّ صادقاً، وتزول كلّ الفوارق العرقيّة، أو الوطنيّة، أو الاقتصاديّة، وتلك هي سمة الجماعة المؤمنة المعتصمة بحبل الله المجتمعة على حبّ الله تعالى، ومن هنا رأينا أنَّ هذا الحبَّ هو الذي أزال كلّ الأحقاد والفوارق في عصر انبثاق الرّسالة، وألّف بين أبناء أمّة كانت تتقاذفها أعاصير الجاهلية: فوارق طبقيّة، وعرقيّة، وعشائريّة، وفكريّة، فصهرها الحبُّ الإلهيُّ، وأخرج منها خير أمّة عرفها التأريخ البشريّ جمعت بين بلال الحبشيّ، وصهيب الروميّ، وسلمان الفارسيّ، وعلي بن أبي طالب

(١) الميرزا حسين النوري الطبرسي، دار السّلام: ٣/ ٣٣٨ .

القرشيّ، وبهذا مَنَّ الله على تلك الأمّة التي وصفها بأنّها على شفير الهاوية **﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾**[1].

وهنا إشارة إلى (ما كان عليه المؤمنون في عصر التّنزيل من أخوة الإيمان التي بها قاسم الأنصارُ المهاجرينَ أموالهم وديارهم، وبها كانوا يؤثِرون بعضهم بعضاً بالشّيء على أنفسهم، وهو في خصاصة وحاجة شديدة إلى ذلك الشّيء بعد ما كان بينهم في الجاهليّة من العداوة والبغضاء وتسافك الدماء ما هو معروف في جملته للجماهير، وفي تفاصيله الغريبة للمطّلعين على أخبارهم المرويّة والمدوّنة)[2].

ويمكننا أن نتعرّف على قيمة الحبّ والودّ إذا عرفنا أنَّ الله تعالى وصف نفسه به، فسمّى نفسه بـ(الودود) فهو اسم من أسمائه الحسنى، ولكلّ منها دلالة كبيرة، وبعد اجتماعيّ رساليّ، يقول تعالى:

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[3].

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[4].

(فالله تعالى مَوْدودٌ: أي محبوب في قلوب أوليائه، أو هو فَعُول بمعنى فاعل: أي إنَّه يحبّ عباده الصّالحين، بمعنى أنَّه يرضى عنهم)[5].

فإذا كان لفظ (الودود) من أسمائه تعالى، ومن صفاته، والله يتودّد إلى عباده بالنّعم والإحسان، ويغفر زلّاتهم، ويتوب عليهم، ويتجاوز عن معاصيهم، ويحبّ طاعتهم، وهو غنيٌّ عنهم كما ورد في دعاء أبي حمزة عن السجّاد عليه السلام:

(١) آل عمران: ١٠٣ .

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار: ٤/ ٢١ ـ ٢٢ .

(٣) هود: ٩٠ .

(٤) البروج: ١٣ـ ١٤ .

(٥) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ١٦٥ .

«والحمدُ لله الذي تحبَّبَ إليَّ، وهو غنيٌّ عنّي، والحمدُ لله الذي يحلم عنّي حتّى كأنّي لا ذنب لي»[1].

إنَّ التحبّب والتودّد مع القدرة على البطش والتعذيب بل الإهلاك من أخلاق الله تعالى وسماته، وهذا له دلالة رساليّة عظيمة تدلّ على أنَّ الله تعالى عندما يتحبّب إلى عباده بالنّعم والإحسان والغفران مع أنَّه غنيٌّ عن طاعتهم، وآمنٌ من شرور معاصيهم، يريد بذلك إصلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ ولذلك يشير تعالى أنَّه يحب: التوّابين، والمتطهّرين، والصّابرين، والشّاكرين والمحسنين... الخ، وكلّ ذلك دفع وتشويق للناس؛ لتحصيل هذه الملكات؛ لأنَّها تنقّي القلب، وتجعله شفّافاً لطيفاً يتقبّل النّور ويشعّه، فحينئذٍ يصبح مصباحاً منيراً يمزّق ظلام النّفوس، ويفتح مغاليق القلوب، ويُعَبِّدُ الطّريق إلى الله أمام الخلق ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربّهم.

وكما أنَّ الحبّ يربط العبد بربّه، ويقربّه إليه ـ بل هو أسمى حالات القرب ـ كذلك يربط بين أبناء المجتمع، ويشدّ بعضهم لبعضهم الآخر بأقوى وأسمى الروابط، ومن هنا جعل الحبّ في بعض الروايات هو الإيمان أو الدين؛ فعن الفضيل بن يسار قال: «سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الحبّ والبغض، أَمِنَ الإيمان هو؟ فقال: **وهل الإيمان إلا الحبّ والبغض؟** ثمّ تلا هذه الآية ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾[2]»[3].

وفي رواية أخرى بأنَّه أعظم شعب الإيمان، وأوثق عُراه؛ فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: أيُّ عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله**

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ٥٨٢ .
(٢) الحجرات: ٧ .
(٣) الأصول من الكافي: ٢/ ١٢٥ .

ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصّلاة، وقال بعضهم: الزّكاة، وقال بعضهم: الصّيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله ﷺ: لكلّ ما قلتم فضل، وليس به، ولكن أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله، والبغض في الله، وتوالي أولياء الله، والتبرّي من أعداء الله»[1].

تلك قيمة الحبّ الصادق، ومِمّا لا ريب فيه: لا يكون الحبّ صادقاً بين أيّ جماعة أو أفراد ما لم يكن مجرّداً عن المصالح الذاتيّة، وهذا معنى كونه لله تعالى، فعندما يكون الحبُّ مجرّداً عن أيّ هدف ماديّ أو معنويّ ذاتيّ فإنَّه سيكون لله تعالى.

إنَّ المؤمن عندما يتحبّب إلى النّاس، لا يعني أن ينطلق من جنبة ضعف، أو هوان، أو مَلَقٍ لأجل التقرّب لنيل مطلب نفسيّ دنيويّ، وإنما ينطلق من روح إلهيّة تهدف إصلاح الناس لأجل سعادتهم ونجاتهم.

إذن التودّد إلى الناس هو سبيل من سبل التغيير والإصلاح الاجتماعيّ، وهو حركة واعية وهادفة لمدّ الجسور النفسيّة مع الناس، وفتح قنوات الاتّصال النفسيّة والفكريّة معهم لغرض تثقيفهم وتوعيتهم بتوجيه أنظارهم إلى أسرار الكون والحياة؛ لتغيير أوضاعهم النفسيّة، والفكريّة، والأخلاقيّة، ويعتمد ذلك على الانفتاح النفسيّ والفكريّ على النّاس بصورة عامة مع مراعاة الأولويّات الأهمّ ثم الهامّ، وهذا هدف إسلاميٌّ هامٌّ، وما لم يصل الإنسان إلى القلب، ويهزّ أوتاره لا يمكن أن يحدث فيه تغييراً أبداً، وما لم توجد الروابط القلبيّة لا يمكن أن تتماسك الجماعة تماسكاً صحيحاً؛ فإنَّ الأفكار لا تزرع في قلوب قاحلة من الحبّ والوداد.

ومن أجل هذا الهدف السّامي نجد أنَّ أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام تؤكّد

(١) المصدر السابق: ١٢٥ ـ ١٢٦.

على التودّد إلى النّاس، وعدَّته نصف العقل، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**التودّد إلى النّاس نصف العقل**»[1].

وعن أحد الصّادقين عليهما السلام قال: «**إنَّ أعرابياً من بني تميم أتى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أوصِني، فكان ممّا أوصاه: تحبَّب إلى الناس يحبّوك**»[2].

وعن الإمام الحسن عليه السلام: «**القريب من قرّبته المودّة وإن بَعُدَ نسبه، والبعيد من بعّدته المودّة وإن قَرُبَ نسبه**»[3].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**المودّة قرابة مستفادة**»[4].

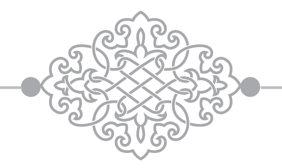
(١) الأصول من الكافي: ٢/ ٦٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٦٤٢.

(٣) وسائل الشيعة: ٨/ ٤٣٣.

(٤) نهج البلاغة: ٥٢١، قصار الحكم: ٢٠١.

مثبّتات المودّة



للحبّ درجات متفاوتة قد ترتفع وقد تنخفض حسب المؤثرات الخارجيّة، أو المشاعر الداخليّة، وقد يثبت الحبّ في القلب ويرسخ، فحينئذٍ لا تزعزعه العواصف مهما عتت، وقد يكون متزلزلاً يزول بأدنى مؤثّر، وهنا نريد أن نتحدّث عمّا يُثَبِّتُ المودّة، ويرسّخ أواصرها بين الأفراد أو بين الجماعات؛ لتكون الروابط متينة قويّة، وتكون الجماعة متآلفة، متراحمة، ومتعاطفة حتى تعود وكأنَّها جسد واحد.

فما هي تلك العوامل والمؤثّرات التي تؤدّي إلى ترسيخ شجرة المودّة في العلاقات الاجتماعيّة؟

والجواب عن ذلك: إنَّنا عندما نستقرئ الروايات والأحاديث الشريفة نجد أنَّها أوضحت أهمّ المؤثرات والعوامل في ذلك كما أنَّ الدراسات النفسيّة والاجتماعيّة أيضاً توصّلت بعد دراسات تجريبيّة كثيرة إلى بعض ما بَيَّنَهُ أعظم خبراء النفس الإنسانيّة، وهم أهل بيت العصمة عليهم السلام، ومن تلك العوامل:

أ ـ اللقاء الطيّب الجميل

اللقاء الأوّل مع أيّ شخص له دور كبير في تمتين العلاقة معه، فقد تلتقي إنساناً يهتمّ بك، ويحترمك، ويفيض عليك من مشاعر الودّ والعطف بدون تكلّف

ولا تصنّع ما تعجز عن وصفه، وقد تلتقي آخر على العكس من ذلك، فبالوجدان ندرك الفرق الشاسع بين اللقاءين، فكم يترك الأوّل من أثر إيجابيّ طيّب في قلبك قد لا تنساه مدى العمر، وتأكيداً لهذه الحقيقة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**حُسْنُ اللّقاء يزيد في تأكُّدِ الإخاء**»[1].

وأما اللّقاء الآخر المتّسم بالجفاف والإهمال فمعلوم كم يترك من أثرٍ سيّئ في النفس يقبضها، ويكدر صفوها، ومن هنا يحدّثنا التأريخ عن القادة الرساليّين أنَّهم كانوا يلاقون النّاس بالبِشر، والرعاية، والاهتمام حتى أصبح هذا السلوك منهجاً ثابتاً في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، (إنَّ هذا السّلوك المفضّل كان من أهمّ عوامل تقدّمه ونجاحه، كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يهتمّ بجميع الدّقائق النّفسيّة للنّاس في سبيل احترامهم، ولم يكن ليتخلّى عن أبسط الوظائف)[2].

وهكذا كانت سيرة أبنائه المعصومين عليهم السلام، وبهذا أوصوا شيعتهم، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاث يصفين ودّ المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحبّ الأسماء إليه**»[3].

وهذه الأمور كلّها تتمّ في اللّقاء، وكلّها توحي بالاحترام، والتقدير والاعتبار عند أغلب الناس، كان أرسطو يرى (أنَّ التصرّف بطريقة ودّيّة أمر ضروريٌّ لتحقيق الاتّصال الجيّد بين النّاس، كما كان يرى أنَّ الناس لا يستطيعون أن يتعايشوا معاً إلا إذا احترم كلٌّ منهم مصالح الآخر)[4]، والأصحّ من ذلك لا يمكن أن يتعايشوا إلا إذا احترم كلّ منهم مشاعر الآخر.

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٣٥، ح/ ٩٩٥٥ .

(٢) محمد تقي الفلسفي، الطفل بين الوراثة والتربية: ٢/ ٥٤ .

(٣) وسائل الشيعة: ٨/ ٤٣٤ .

(٤) الدكتور محمد عبد القادر حاتم، الإعلام والدعاية: ٣٥ .

ب ـ الإخبار عن الحبّ

عندما يخبرك شخص بصدق أنَّه يحبّك فهو ينبئ عن حقيقة نفسه ويكشف مكنوناتها، وهذا الأمر من دواعي زيادة المودّة وتثبيتها.

فقد (مرَّ رجل في المسجد وأبو جعفر عليه السلام جالس وأبو عبد الله عليه السلام ، فقال له بعض جلسائه: والله إنّي لأحبّ هذا الرجل، قال له أبو جعفر عليه السلام : **ألا فأَعْلِمه فإنَّه أبقى للمودة وخير في الأُلفة**)[1].

وقال الصادق عليه السلام : «**إذا أحببت رجلاً فأخبره**»[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا أحبّ أحدكم أخاه فليُعلِمه فإنَّه أصلح لذات البين**»[3].

يقول الفيض الكاشاني: «وإنما أُمِرَ بالأخبار؛ لأنَّ ذلك يوجب زيادة حبّ، فإن عرف أنَّك تحبّه أحبّك بالطّبع لا محالة، فإذا عرفت أنَّه أيضاً يحبّك زاد حبّك لا محالة، فلا يزال الحبّ يتزايد من الجانبين ويتضاعف، والتحابُّ بين المؤمنين مطلوب في الشّرع، ومحبوب في الدّين»[4].

وهذه حقيقة نفسيّة؛ فإنَّ النفوس تتناغم فيما بينها، فإذا أحسّ بوجوده في قلب صاحبه دخل هو في قلبه، وهذه القاعدة غير مطّردة في كلّ الحالات، فقد ترى شخصاً، وتميل إليه، وتحبّه من دون معرفة به، وهذا من خصائص الأرواح؛ فإنَّها جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف كما ورد في الحديث، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**إنَّ المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن قلب الظمآن إلى الماء البارد**»[5].

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤/ ١٨١ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه: ٧٤/ ١٨٢ .

(٤) المحجة البيضاء: ٣/ ٣٣١ .

(٥) بحار الأنوار: ٧٤/ ٢٨٠ .

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ سرعة ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا، وإن لم يظهروا التودّد بألسنتهم، كسرعة اختلاط ماء السماء بماء الأنهار، وإنَّ بُعْدَ ائتلاف قلوب الفجار إذا التقوا، وإن أظهروا التودّد بألسنتهم، كبُعْد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها على مِذْوَدٍ واحد**»[١].

ج ـ التفاهم المتبادل

كلّ إنسان يحاول أن يَفْهم الناس، ويحبّ أن تفهمه الناس فهماً إيجابيّاً؛ ولهذا من الأمور التي تثبت المودّة، وتنقّي الأجواء، وتشدّ بعضهم لبعضهم الآخر أن تشعر المقابل أنَّك تفهمه على حقيقته، ولا تسيء الظنّ به؛ لأنَّه (إذا لم يكن هناك تفاهم متبادل، ومشاركة في المعاناة لن تقوم موّدة، وإخلاص، وثقة متبادلة بين أفراد هذه المجموعات)[٢].

من هنا فإنَّ الإنسان بفطرته إذا شعر أنَّ الناس تفهم تصرّفاته على أحسن وجه، وتحسن الظّنَّ به؛ فإنَّ انشداده وتآلفه إليهم سيزداد، وإبداعه في خدمتهم سيتوسّع فَلنُبْدِ للنّاس حسن الظّنَّ بهم؛ فإنَّ ذلك داعية لدفعهم إلى الإصلاح والخير، يقول هنري فورد: «إذا كان هناك سرٌّ واحدٌ للنّجاح، فذلك هو المقدرة على إدراك وجهة نظر الشخص الآخر، والنظر إلى الأشياء بالمنظار الذي ينظر به إليها»[٣].

ولفهم وجهة نظر الشخص فوائده الجمّة منها: أنَّها تكشف عن مكامن نفسه ومقاصدها، ومعلوم إذا فهم الإنسان مكامن نفس صاحبه عرف من أين يدخل إليه؛ فمن فهم المقصد فقد قطع نصف الطريق، فإنَّ الطبيب لا يستطيع أن يعطيَ الدواء إذا لم يشخّص الدّاء، إذن من الضروريّ جداً أنَّنا يجب أن نفهم وجهة نظر الشخص بالاستماع والإصغاء الجيّد إليه قبل أن نحكم عليه أو نبدي وجهة نظر إليه؛ لنعرف كيف نضعه على جادة الحقّ والصواب.

---

(١) المصدر السابق: ٧٨/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

(٢) في عالم المراهق لعدد من المؤلفين: ٢٦٠ .

(٣) كيف تختار الأصدقاء وتؤثّر في النّاس: ٣٩ .

د ـ الاستغناء عمّا في أيدي النّاس

الإنسان بطبيعته الأوليّة يحبّ ما في يديه من مال أو عقار أو أشياء، ولا يحبّ أن يزاحمه فيها أحد أو يشاركه فيها مشارك فهو ﴿**لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾[1]، ويحبّ المال حبّاً جمّاً، وعلى كلّ حال فالنفس الإنسانيّة شحيحة بما تملك، وأبغض شيء إليها سلب تلك الملكيّة منها بلا عوض ماديّ ولا معنويّ إلا نفوس زكت وتعالت عن عالم الماديّات، وأصبحت متعلّقة بعالم القدس والرضوان لا تبغي عنه بدلاً، وهؤلاء أندر من الكبريت الأحمر.

وبناء على تلك الطبيعة على من أراد أن يبنيَ علاقات سليمة مع الناس، ويكون مرغوباً فيه أن يترفّع عن مدّ عينيه إلى ما يملكون فضلاً من مدّ يديه إليها، وقد ورد النّهي صريحاً في القرآن الكريم عن مدّ العين إلى ما في حوزة الناس من مال، أو أزواج، أو أشياء، يقول تعالى: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾[2].

ومن الحقائق النفسيّة الثابتة أنَّ التطلع إلى ما في أيدي الناس لا يزيد المتطلّع إلا همّاً، وحسرة، ويعكّر صفوة حياته، يقول رسول الله ﷺ: «**من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطّعت نفسه حسرات على الدنيا، ومن أتبع بصره ما في أيدي النّاس كثر همّه، ولم يشفِ غيظه، ومن لم يرَ لله عزّ وجلّ عليه نعمة إلاّ في مطعم أو مشرب، أو ملبس فقد قصر عمله، ودنا عذابه**»[3].

إذن التطلّع إلى ما في أيدي الناس ضرر نفسيّ على الإنسان؛ لأنَّه يزيد من همومه وقلقه، ويجعله في غضب دائم على النّاس بلا ذنب جَنَوْهُ تجاهه، وهذا يزيد من عزلته النفسيّة عن الناس، وأما عندما يزهد ويترفّع عن النظر إلى ما في

---

(١) العاديات: ٨ .

(٢) طه: ١٣١ .

(٣) الأصول من الكافي: ٢/ ٣١٥ـ ٣١٦ .

أيدي الناس من حطام، أو ينظر إليهم بعين الرضا والغبطة والارتياح فإنَّ ذلك يكون سبباً إلى هدوئه النفسيّ، هذا من جانب ومن جانب آخر يكون له في قلوب الناس ودٌّ، وأروع لوحة رسمها أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الحقيقة قوله: «**الحُظوة عند الخالق بالرّغبة فيما لديه، [و] الحظوة عند المخلوق بالرّغبة عمّا في يديه**»(١).

فالعلاقات الاجتماعيّة تكون سليمة، وناجحة بمقدار ما تكون مجرّدة عن المصالح الذاتيّة، ومتّسمة بالنّزاهة، والعفّة، والتسامي عن طلب الأغراض الماديّة، وهذا هو منتهى العزّة والشرف للإنسان عند الله، وعند الناس، أما عند الله فإنَّ الله يحبّ من يدعوه، ويتوسّل إليه بضراعة طمعاً بما عنده من الخيرات، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أوّلُ الإخلاصِ اليأسُ ممّا في أيدي الناس**»(٢).

وأمّا عند النّاس فإنَّهم يحبّون من يستغني عنهم، ولا يمدّ يده إليهم، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**واعلم أنّ أكرم النّاس على النّاس من كان خيره فائضاً عليهم، وكان عنهم مستغنياً متعفّفاً، وأكرم النّاس بعده عليهم من كان عنهم متعفّفاً، وإن كان إليهم محتاجاً، فإنّما أهل الدّنيا يعشقون الأموال، فمن لم يزاحمهم فيما يعشقونه كرم عليهم، ومن لم يزاحمهم فيها، ومكّنهم منها، أو من بعضها كان أعزّ وأكرم**»(٣).

والإسلام يأبى للمؤمن أن يذلّ نفسه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**طلب الحوائج إلى النّاس استلاب للعزّ، ومذهبة للحياء، واليأس ممّا في أيدي الناس عزٌّ للمؤمن في دينه، والطمع هو الفقر الحاضر**»(٤).

ولا يعني الاستغناء هو الاستعلاء، وإنّما المقصود به كما فسّرته الأحاديث باليأس عمّا في أيدي النّاس، وهو أدقّ تعبير عن الاستغناء، وفسّرته رواية

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٩٣، ح/ ٣٧٧٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٩٨، ح/ ٣٩١٨.
(٣) بحار الأنوار: ٧١/ ٢٣٠.
(٤) الأصول من الكافي: ٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩.

أخرى بقطع الطمع الكليّ عن ممتلكات النّاس، إذن معنى الاستغناء هو العفّة، والنّزاهة، والعزّة النفسيّة، والحفاظ على الكرامة الإيمانيّة مع التواضع واللّين في العلاقات معهم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ليجتمع في قلبك الافتقار إلى النّاس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك، وحسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك، وبقاء عزّك**»[1].

هـ ـ حسن البشر وطلاقة الوجه

الابتسامة الصّادقة، الهادئة الدافئة تسرّ القلب، وتشرح الصدور، ولا تكلّف الإنسان شيئاً، بل تربحه خيراً كثيراً حيث تدخله تحت شغاف القلوب بلا جواز مرور، بل هي أجمل هديّة يقدّمها الأخ لأخيه، وهي صدقة عظيمة لا يستهان بها عند ذوي القلوب السليمة، يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**تَبَسُّمك في وجه أخيك صدقة**»[2]؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إذا حدّث بحديث تبسّم في حديثه»[3]؛ ليفتح قلب السامع لحديثه، فكم من فرق واسع بين البشر وبين العبوس، فإنَّ الأوّل يقرّب الإنسان إلى الله وإلى الناس، والثاني لا يزيده إلا مقتاً، ومن هنا جعلت الابتسامة في ميزان الإسلام، صدقة حسنة، وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكّد على ذلك وبيّنت عطاءها الاجتماعيّ الثرّ، وبمختلف التعابير منها: «حبالة المودة»، و«قربة من الله»، و«موقع القبول»، و«مطفئة لنار المعاندة»، و«دلالة كرم النفس»، و«أوّل العطاء»، و«أفضل السّخاء»، و«شيمة كلّ حرّ»، وهي علامة من «علائم النّجاح»، و«مذهبة للسّخيمة»[4]، و«أحد البشارتين»[5].

فكلّ هذه الأوصاف معبّرة عن قيمة نفسيّة كبيرة للبشاشة وطلاقة الوجه وما

---

(١) المصدر نفسه: ١٤٩.

(٢) كنز العمال: ٦/ ٤١٠، ح/ ١٦٣٠٥ .

(٣) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق: ٢١ .

(٤) السخيمة: الحقد .

(٥) يراجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي: ٤٣٤ .

تتركه من أثر طيّب في نفس الإنسان الذي تلقاه، ولما كان الإسلام يؤكّد على توسيع دائرة المسلم الاجتماعيّة من خلال فتح قنوات الاتّصال بين الأفراد والجماعات، فقد أكّد عليها أهل بيت العصمة عليهم السلام، وعدّوها أساساً من أسس النجاح الاجتماعيّ، وأحد الآداب الاجتماعيّة المهمّة.

بل روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ الابتسامة كانت لا تفارقه أبداً، وحتى في حالة طرح مفاهيم السّماء كما تقدّم الحديث، والسرُّ في ذلك أنَّ التبسّم كما أسلفنا يدخل السّرور إلى القلب، وإذا كان القلب منشرحاً فسيكون مهيّأً لتلقّي المفاهيم.

وخلاصة القول: إنَّ الابتشار دعامة من دعائم تكوين العلائق الاجتماعيّة، ومثبتة لمودّة الأخ في قلب أخيه، ورد في كتاب فقه الرضا عليه السلام: «**واجتهد أن لا تلقى أخاً من إخوانك، إلا تبسّمت في وجهه، وضحكت معه في مرضاة الله، فإنَّه نروي عن أبي عبد الله عليه السلام، أنَّه قال: (من ضحك في وجه أخيه المؤمن، تواضعاً لله عزّ وجلّ، أدخله الجنة)**»[1].

وفي هذا المعنى وردت أحاديث كثيرة نذكر منها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا بني عبد المطلب، إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه، وحسن البِشر**»[2].

وعن الفضيل فيما يرويه عن الباقر أو الصادق عليهما السلام: «**صنائع المعروف، وحسن البِشر يكسبان المحبّة، ويدخلان الجنّة، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النّار**»[3].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «**البشر الحسن، وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة، وقربة**

(١) علي بن بابويه، فقه الرضا: ٣٩٨ .
(٢) الأصول من الكافي: ٢/ ١٠٣ .
(٣) المصدر نفسه.

من الله عزَّ وجلّ، وعبوس الوجه، وسوء البشر مكسبة للمقت، وبُعْدٌ من الله»[1].

وعنه عليه السلام: «**أتى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلٌ، فقال: يا رسول الله، أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: اِلْقَ أخاك بوجه منبسط**»[2].

ونؤكّد مرّة أخرى أنَّ الابتسامة المؤثّرة هي النابعة من قلب طاهر، ونفس زكيّة، بعيدة عن التكلّف، والتصنّع، والتملّق، طبيعيّة هادئة، وإلا ستكون ابتسامة ذئب.

وهناك كثيرٌ من مثبتات المودّة الأخرى نذكرها على سبيل الإشارة بإيجاز:

أوّلاً: التزاور: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من زار أخاه في بيته قال الله عزَّ وجلّ له: أنتَ ضيفي وزائري، عليَّ قراك، وقد أوجبت لك الجنّة بحبّك إياه**»[3].

ثانياً: المصافحة: عن أبي عبد الله عليه السلام: «**تصافحوا فإنَّها تذهب بالسّخيمة**»[4]، وعنه عليه السلام قال: «**ما صافح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً قطّ، فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده منه**»[5].

ثالثاً: التهادي أي تقديم الهديّة إلى الأخ: ورد في الأحاديث الشريفة: «**تهادوا فإنَّ الهديّة تذهب وحر الصدر**»[6].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الهديّة تورث المودّة، وتجدّد الأخوة، وتذهب الضغينة**»، «**تهادوا تحابوا**»، «**نعم الشيء الهديّة أمام الحاجة**»[7].

---

(١) مستدرك الوسائل: ٨/ ٤٥٣ .
(٢) الأصول من الكافي: ٢/ ١٠٣ .
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ١٧٧ .
(٤) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٣ .
(٥) المصدر نفسه: ٢/ ١٨٢ .
(٦) جلال الدين السيوطي، تنوير الحوالك: ٦٥٦ .
(٧) ابن أبي جمهور الإحسائي، عوالي اللئالي: ١/ ٢٩٤ ، ح/ ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ .

«تهادوا؛ فإنَّ الهديّة تسلّ السخائم[1]، وتجلي ضغائن العداوة والأحقاد»[2].

«تهادوا تزدادوا حباً»[3].

«تهادوا؛ فإنّ الهديّة تذهب السّخيمة»[4].

رابعاً: السعي في قضاء الحاجة للأخ: قال أبو عبد الله عليه السلام: **«لأن أمشي في حاجة أخ لي مسلم أحبُّ إليَّ من أن أعتق ألف نسمة وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة»[5].**

خامساً: تصديق الأخوان، وقبول الاعتذار: قال الإمام الصادق عليه السلام: **«إذا بلغك عن أخيك شيء فقال: لم أقلْه، فاقبل منه؛ فإنَّ ذلك توبة له»[6].**

وعن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: **«قلت له: جُعِلْتُ فداك، الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأسأله عن ذلك فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال لي: يا محمد، كَذِّبْ سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسّامة، وقال لك قولاً فصدِّقْه وكذِّبْهم، ولا تذيعـنَّ عليه شيئـاً تشينـه به، وتهدم به مروءته فتكون من الّذين قال الله في كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[7]»[8].**

سادساً: ترك المعاتبة: يقول الإمام الهاديّ عليه السلام: **«العتاب مفتاح الثقال، والعتاب خير من الحقد»[9].**

---

(١) السخيمة: الحقد في النفس.
(٢) الفروع من الكافي: ٥/ ١٤٣ .
(٣) جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير: ١/ ٥١٨، ح/ ٣٣٧٥ .
(٤) ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق: ١١٠ .
(٥) الأصول من الكافي: ٢/ ١٩٧.
(٦) الشيخ الصدوق، مصادقة الأخوان: ٨٢ .
(٧) النور: ١٩ .
(٨) الروضة من الكافي: ٨/ ١٤٧ .
(٩) بحار الأنوار: ٧٨/ ٣٦٩ .

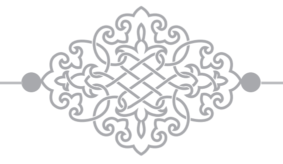
ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**احمل أخاك على ما فيه، ولا تكثر العتاب؛ فإنَّه يورث الضغينة، ويجرّ إلى البغيضة**»[1].

وإذا أراد الإنسان أن يعاتب، فليجعل عتابه إحساناً، فهو أفضل أنواع العتاب، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شرّه بالإنعام عليه**»[2].

(١) الزرنديّ الحنفيّ، نظم درر السمطين: ١٦٨ .

(٢) المصدر نفسه: ٥١٤ ، الكلمات القصار: ١٤٨ .

القدرة على الإصغاء



قيل: إنَّ الله خلق للإنسان لساناً واحداً وأذنين؛ ليسمع أكثر مما يتكلّم، وكما يقول الشاعر صفيّ الدّين الحليّ[1]: [من الكامل]

اسمع مخاطبة الجليس، ولا تَكُنْ ... عَجِلاً بنطقك قبلما تتفهَّمُ

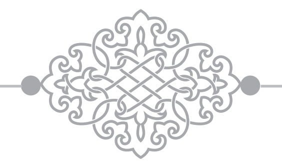
لم تُعْطَ مَعْ أُذُنَيك نطقاً واحداً ... إلاّ لِتَسْمَعَ ضِعْفَ ما تتكلَّمُ

من الآداب الاجتماعيّة المهمّة حسن الاستماع، وهي خصلة حميدة محبوبة عند جميع العقلاء، ونعني بحسن الإصغاء: التوجّه الإيجابيّ إلى ما يُلقى على المرء من كلام دون مقاطعة، أو تعليق، أو التفات، وإمهال المتكلّم حتّى ينتهيَ من كلامه من دون إظهار تعجّب، ولا طلب إعادة إلا في مواضعهما.

والسرُّ في محبوبيّة هذه السّمة هو: أنَّ كلّ إنسان يمتلك عواطفَ، وأفكاراً، ومشاكل، وأخباراً، وأهدافاً... يحبّ أن يجد من يستمع إليها، ويشاركه فيها، ويساعده على حلّ مشاكله، وتحقيق أهدافه فإذا ما وجد من يستمع إليه بتوجّه سليم ارتاحت نفسه، وانشرح صدره، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إنَّ حسن الإصغاء يدلّ على أخلاق عالية، وأدب رفيع، وهذا أمر جميل، والجمال محبوب لذاته عند جميع النّاس إلا من سَقُمَ ذوقُهُ.

(١) ديوان صفيّ الدّين الحليّ: ٦٥٥ .

فوائد حسن الاستماع



لهذه الصفة الحميدة فوائد نفسيّة، وفكريّة، واجتماعيّة...

أما الفوائد النفسيّة، فإنَّ المتحدّث عندما يجد من يصغي له بجدّ، ويشاركه في أفكاره، أو مشاكله فإنَّ ذلك يحقّق له راحة نفسيّة كبيرة، وأمّا بالنسبة للمستمع فإنَّه يُكفى مؤونة الكلام.

وأمّا الفوائد الفكريّة، فإنَّ المستمع الجيّد يضيف إلى علمه علماً جديداً، وأفكاراً جديدة قد يحصل عليها ممن هو أقلُّ منه فضلاً عمّن هو أفضل منه علماً ومعرفة.

وأما الفوائد الاجتماعيّة، فإنَّ المستمع الواعي يستطيع أن يكتشف شخصيّة المتحدّث من خلال حديثه، وقسمات وجهه وحركاته، وما في تلك الشخصية من قوّة، أو ضعف، وما تحمل من أفكار وعقائد، وما تضمر في داخلها من أهداف، وبذلك يجد مفاتيح الدخول إليها، فكلام الإنسان يفصح عن باطنه، وهو كاشف عن مكنونات نفسه، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانِهِ، وصفحات وجهِهِ**»[1].

وقيل: «**العين والوجه واللّسان أصحاب أخبار على القلب**»[2].

(١) نهج البلاغة: ٤٩٠، قصار الحكم: ٢٢ .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ١٨/ ١٣٧ .

وأبلغ كلمة قيلت في هذا الباب، ونالت إعجاب العلماء، والأدباء، والحكماء، حتّى قال فيها ابن أبي الحديد: «هذه إحدى كلماته عليه السلام التي لا قيمة لها، ولا يقدّر قدرها»[(١)]، ما قاله سيّد البلغاء وإمام الحكماء عليّ عليه السلام: «**تكلَّموا تُعْرَفوا، فإنَّ المرءَ مخبوءٌ تحت لسانه**»[(٢)].

ويقول عليه السلام: «**المرءُ يوزَنُ بقوله، ويُقَوَّمُ بفعله، فَقُلْ ما تَرَجَّحَ زِنَتُهُ (زينته)، وافعل ما تَجِلُّ قيمتُهُ**»[(٣)].

فإذن يمكن للمستمع أن يفهم المتحدّث، وما تنطوي عليه نفسه من أفكار، وأهداف، ومفاهيم، وفي فهم الشخص المقابل فوائد جمّة لا تعدّ ولا تحصى.

يقول العلامة الطباطبائي: «فالكلام من غير جهة الدّلالة اللّفظيّة الوضعيّة حامل لطبيعة نفس المتكلم من إيمان أو كفر أو غير ذلك»[(٤)].

ومن الفوائد الاجتماعيّة أنَّ المصغي الجيّد يكتسب احتراماً وتقديراً لدى المتكلّم، وبذلك يترك في نفسه أثراً طيباً، وهذه من أهمّ معطيات حسن الإصغاء.

---

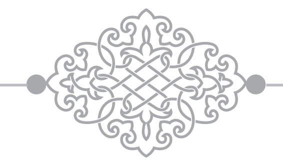
(١) المصدر السابق: ١٩/ ٣٤٠.

(٢) نهج البلاغة: ٥٥١ و ٥١٢، قصار الحكم: ٣٨١ و ١٣٨.

(٣) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٠٩، ح/ ٤٠٢٣.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٦٠.

أُذُنُ خيرٍ لكم



برزت هذه الصفة في شخصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل عُرِفَ عند جميع الناس؛ فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم (لا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام)[1]، وكان ينهى عن مقاطعة المتحدّث، ويقول: «**من عرض لأخيه المسلم [المتكلّم] في حديثه فكأنّما خدش وجهه**»[2].

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**من المروءة أن ينصت الأخ لأخيه إذا حدثه**»[3].

ولأهميّة هذه الخلّة المباركة وخطورتها على المشركين حاولوا أن يجعلوها مَثْلَبة يعيبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى وصفوه بأنّه كلّه أذن؛ لأنّه كان يقبل على محدّثه بكلّه ـ لخوفهم من تأثيره العظيم على محدثه، يقول تعالى: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ**﴾[4].

وهكذا كانت أخلاق أهل بيته عليهم السلام وتعاليمهم لشيعتهم في الحثّ على الاتّصاف بتلك الصفة الحميدة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا جلستَ إلى العالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلّم حسن الاستماع كما**

(١) العلامة الطباطبائي، سنن النبي: ١٨.
(٢) الأصول من الكافي: ٢/ ٦٦٠.
(٣) كنز العمال: ٣/ ٤٠٨، ح/ ٧١٧٧.
(٤) التوبة: ٦١.

تعلّم حسن القول، ولا تقطع على حديثه»[1].

كما أنَّهم عليهم السلام جعلوا الاتّصاف بتلك الخليقة دلالة على رجاحة العقل، وسموّ الأدب، وصحّة الرّأي كما شَخَّصَ ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[2].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ثلاثة يستدلّ بها على إصابة الرأي: حسن اللّقاء، وحسن الاستماع، وحسن الجواب**»[3].

وقد تنبَّه لهذه الخصلة الحميدة علماء النفس والسياسة والاجتماع، وقاموا بدراسات تدريبيّة لأتباعهم، ووضعوا لها أسساً، وتعاليم، يقول ديل كارنيجي:

«صرّح «إيزاك ماركسون» بطل العالم في مقابلة مشاهير الناس أنَّ: «معظم النّاس يفشلون في طبع أثر طيّب في نفس من يقابلونهم لأول مرة؛ لأنّهم يهملون الإصغاء باهتمام! إنّهم يحصرون همّهم في الكلام الذي سيقولونه، ومن ثم يصمون آذانهم عن الاستماع.. وقد قال لي عظماء النّاس: إنّهم يفضّلون المستمعين الطّيّبين على المتكلّمين الطّيّبين، ولكن يبدو أنّ المقدرة على الاستماع أندر من أيِّ صفة طيّبة أخرى!»[4].

---

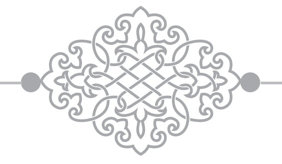
(١) بحار الأنوار: ٢/ ٤٣ .

(٢) الزّمر: ١٧ ـ ١٨ .

(٣) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٣٧ .

(٤) كيف تختار الأصدقاء وتؤثّر في النّاس: ٩٥ .

كيف تطرد النّاس من حولك



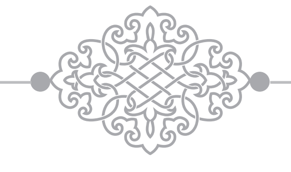
يعطي كارنيجي «وصفة» يسخر بها من الشّخص المهذار الذي يتكلّم بلا رويّة، ولا تقدير لأحاسيس الناس، ومشاعرهم، يقول: «إذا كنت تريد أن ينفضّ النّاس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك، فهاك «الوصفة»: «لا تعطِ أحداً فرصة الحديث... تكلّم بغير انقطاع عن نفسك، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدّث فلا تنتظر حتّى يتمّ حديثه: إنّه ليس ذكيّاً مثلك، ولا أريباً، فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف؟! اقتحم عليه الحديث، واعترضه في منتصف كلامه!»[1].

وروي عن النبيّ ﷺ: «**إنَّ موسى عليه السلام لقي الخضر عليه السلام، فقال: أوصِني، فقال الخضر: يا طالب العلم، إنَّ القائلَ أقلُّ ملالةً من المستمع، فلا تُمِلَّ جلساءك إذا حدَّثْتَهم**»[2].

(١) كيف تختار الأصدقاء وتؤثّر في النّاس: ٩٧ .

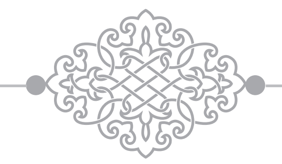
(٢) الشهيد الثّاني، منية المريد: ١٤٠ .

الفَصلُ الثَّالِثُ



العلاقات الجماهيريّة

خصائص الجمهور وسماته



العلاقة مع الجمهور العامّ تختلف من حيث الشكل والمضمون عن العلاقة الفرديّة، فالعلاقة مع الجمهور تحتاج إلى جهود مكثّفة؛ لتجميعهم ومخاطبتهم، وإلى لغة خطابيّة تثير العواطف، وتستميل النّفوس، وتتعامل مع السّلوك الجمعيّ، وتفاعل العواطف مع الأفكار والمفاهيم، كما يحتاج إلى شجاعة أدبيّة، وسرعة بديهيّة، وكفاءة نفسيّة وبدنيّة، ومعرفة بطبيعة الجمهور.

إنَّ معرفة الجمهور ضرورة ملحّة، وحاجة ماسّة لكلّ عامل رساليّ، وقائد جماهيريّ يحمل أهدافاً رساليّة معيّنة يريد تحقيقها، وأفكاراً ومفاهيم يريد تبليغها، ومشاريع يروم تنجيزها؛ ولذا من العبث العمل مع جمهور لم يُدْرَس دراسة وافية، ومن هنا ينبغي لدعاة الإسلام أن يكونوا مراقبين لجمهورهم، دارسين كلّ ظاهرة من ظواهره، محلّلين لتلك الظواهر بدقّة ورويّة، كيف نشأت؟ ما هي أسبابها وعواملها؟ ماذا تخفي وراءها؟ كيف نواجهها؟ وكيف نوجّهها؟ وهذا لا يتحقّق ما لم نعرف نفسيّة الجمهور، ومتطلّباته، وأهدافه، وخصائصه، وسماته.

وقد حدَّد بعض علماء النّفس والاجتماع سمات الجمهور بما يأتي:

١ ـ إنَّ الجمهور سهل الإقناع والرضا، أو الانسياق نحو الرفض، أو الاستجابة إذا أُحسِنَ توجيهه، والتعامل مع عواطفه، وميوله، ومصالحه، وللعلاقات العامة

دورٌ هامٌّ في كسب رضاه خصوصاً في تعريفه بالشخصيّات القياديّة، فالشّخصيّة المعروفة بالتّقوى، والورع، والعفّة، والنّزاهة، واستقامة السّلوك، والترفّع عن المطالب الذاتيّة، وحبّ الظهور تكسب ثقة الجمهور، ويكون لها دورٌ فعال في إقناعه وقيادته، وتستطيع أن تتحكّم في عواطفه، وتوجّهه الوجهة السليمة، وقد حَثَّ الأئمةُ الأطهارُ عليهم السلام أتباعَهم على تحصيل السمعة الطيّبة، والشهرة الصالحة الجميلة؛ ليكونوا قدوة حسنة للآخرين. عن محمد بن حمزة العلويّ قال: «**أخبرني عبيد الله بن عليّ، عن أبي الحسن الأول** عليه السلام**، قال: كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدَّث المخدَّرات بورعه في خدورهنَّ، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم [من] خلق [ا] لله أورع منه**»(١).

ودخل عيسى بن عبد الله القميّ على الإمام الصادق عليه السلام فقال له بعد أن رَحَّبَ به وقَرَّبَهُ من مجلسه: «**يا عيسى بن عبد الله، ليس منّا** ـ ولا كرامة ـ **من كان في مصر فيه مائة ألف، أو يزيدون، وكان في ذلك المصر أحد أورع منه**»(٢).

وهكذا تحصل العلاقة مع الجمهور، وتأتلف أرواحهم مع الدعاة الورعين الزاهدين قبل ارتباطاتهم الظاهريّة، وحينئذٍ يصبح الهداة الإسلاميّون قدوةً صالحةً، ومثالاً يُحتذى به، يتلقّف الجمهور كلماتهم، وتعمل فيهم عمل السّحر، ثمّ لا بدّ أن يكون الطرح سليماً قريباً لميول وعواطف ورغبات الجمهور بحيث

(١) الأصول من الكافي: ٢/ ٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٧٨، عَلَّقَ الإمام الخميني رضوان الله عليه على هذا الحديث، فقال: «ولا بد من معرفة أنَّ المقياس في كمال الورع على ضوء الرّوايات الشّريفة هو الاجتناب عن محرّمات الله، وأنَّ كلّ من يبتعد عن المحرمات الإلهيّة أكثر يُعَدُّ من أورع الناس طراً. فينبغي أن لا يستغلّ الشّيطان هذا الموضوع ـ **ليس منّا وفي مصر مائة ألف يوجد أحد أورع منه** ـ ويعظمه، ويلقي اليأس في القلب؛ لأنَّ من طبيعة هذا الملعون دفع الإنسان إلى الشّقاء الأبديّ من خلال اليأس، بأن يقول له في المقام مثلاً: كيف يمكن أن يكون أورع إنسان في بلد يحتضن مائة ألف أو يزيدون من النّاس؟ فإنَّ هذا من أساليب كيد هذا اللّعين ووساوس النّفس الأمّارة. وجوابه هو أنّ من ابتعد عن المحرّمات الإلهيّة يندرج في هذه الروايات، حسب ما يستفاد من الأحاديث المباركة، ويعتبر من أورع الناس» الأربعون حديثاً: ٤٢٧.

توجّه تلك العواطف والميول الوجهة الإيجابيّة من دون أن يصطدم بها؛ يشرح المواقف، ويطرح المفاهيم، ويعالج المشاكل، ويوضّح الأهداف بعبارات يسيرة، وحماسة صادقة تناغم عواطف الجمهور، فهو كالماء إذا أحسن توجيهه بِوَضع النواظم، وإقامة السدود، وفتح القنوات، فإنَّه يحوّلُ الأرضَ إلى جنان وارفة بالأزهار والأثمار، وبالعكس لو أهمل فإنَّه ينحدر حيثما وجد المنخفض، وحينئذٍ يحوّل الأرضَ إلى مستنقعات وأوحال، أو يخرّب الديارَ، كذلك الجمهور إذا أحسن توجيهه؛ فإنَّه يتحوّل إلى ثورة تقلع جذور الطغاة، كما حقّق الله ذلك على يد القائد الرساليّ الإمام الخميني رضوان الله عليه في ثورته المباركة التي اقتلعت أعتى طاغوت عرفته إيران، كلّ ذلك تحقّق على يده حين رزقه الله حبّ المؤمنين، وكسب ثقة الجمهور بالصدق مع الله أولاً، ومع الناس ثانياً حتى أصبح قدوةً حسنةً، ومناراً لكلّ السّائرين في طريق الله تعالى؛ ولذا رأينا كيف كان لكلمات الإمام وقعٌ سحريٌّ في نفوس الشعب الإيرانيّ، بل في معظم نفوس المؤمنين، بل في نفوس كلّ أحرار العالم من مختلف الملل والنِّحَل رغم بساطة الطرح، ويسر التعبير، إلا أنَّ الصدق والإخلاص والحماس الرساليّ استقطب المشاعر، وفجّر الطاقات، وأحدث معجزة ما كان أحد يحلم بها.

لقد عرف الإمام رضوان الله عليه ما يريد الجمهور، فوضع الدواء على الجرح بحكمة، ورويّة، وعالج مرضاً كان مستحكماً، وبذلك فتح الله على يديه كلّ خيرٍ، وبركةٍ، ورحمة لعباده الصالحين، حتى جعله الله إماماً وقدوةً للمتّقين.

٢ ـ إنَّ الجمهور يتأثّر بالإيحاء، وفي أغلب الأحيان يسيطر على الإنسان السلوك الجمعيّ، فيجد نفسه منساقاً مع التيار العامّ، ويقوم بأعمال لا يمكن أن يقوم بها لو كان وحده، ويندمج اندماجاً يفقده ذاته؛ ولهذا يمكن الاستفادة من هذه الخاصيّة بأن يوحي إليه بتحقيق مصالحه من خلال وضعه على الجادّة الشرعيّة، وتطبيق المنهج الإلهيّ شريطة أن يُجذب إلى تلك الفكرة بأسلوب

مشوّق يثير مشاعره وتفكيره بما يساعد على تحقيق تلك الأهداف، وعلى القائد الجماهيريّ أن يعكس الصورة الحيّة لمبادئه في سلوكه الشخصيّ، وسيرته العمليّة بصدق وإخلاص، ومن دون تكلّف، وقد تمثّل هذا في أدقّ صورة عرفها التأريخ الرساليّ في موقف الرسول الأعظمﷺ حينما دخل مكة فاتحاً منتصراً وقف مخاطباً المكيّين ـ الذين آذوه كما لم يؤذَ نبيّ قبله، وأخرجوه ظلماً من مسقط رأسه، وحاربوه بكلّ ما أوتوا من حول وطول إلا أنّه رغم ذلك كلّه لم تطغَ عليه روح السيطرة والانتقام، بل طفحت روح العفو، والصفح، والرحمة، والهداية، والعطف على أشدّ الخصوم له ـ : «**ما تروني صانعاً بكم؟**» فقالوا: «أخ كريم وابن أخ كريم»، فقال: «**أقول لكم كما قال أخي يوسف لإخوته: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، اذهبوا فأنتم الطّلقاء**»[1].

وبهذه الروح الطافحة بالرحمة واجه أعداءه وخصومه من دون ضعف، ولا تهاون، ولا غرور، وإنما طمع بإصلاحهم وهدايتهم، وبذلك أعطى أنقى صورة إنسانيّة عرفها التأريخ في التعامل مع الأعداء، وبهذه الحكمة الإلهيّة دخل النّاس في الإسلام أفواجاً أفواجاً، وهذا ما كان يصبو إليهﷺ، وهذه هي غايته القصوى بعد نيل رضا الله تعالى.

٣ـ ومن سمات الجمهور أنّه يميل إلى المبالغة في الحماس والانطلاق في حالة البهجة والسرور، وفي حالة الغمّ والحزن، وغالباً ما يندفع الإنسان مع الجمهور دون أن يقدّر العواقب مهما بلغت خطورتها، وعلى هذا الأساس يستطيع القائد الجماهيريّ أن يستقطب مشاعر الجمهور، ويوجّهه الوجهة السليمة من خلال إثارة عواطفه نحو ما يهدف تحقيقه من مشاريع، وما يقدّم من أفكار ومفاهيم.

٤ ـ لكلّ جمهور عادات وأعراف وتقاليد ورثها من أسلافه، فأَلِفَهَا، واعتاد عليها، وربّما أصبحت مقدّسةً لديه، ومن هنا ينبغي دراسة تلك الأمور بدقّة،

(١) المحقق الكركي، الخراجيات: ٦٢ ، وتذكرة الفقهاء للعلامة الحلي: ٩/ ١٨٨ .

وتحليل سليم، وفرز واعٍ، فما كان منها موافقاً للعقل والشّرع يمكن ترشيده، وتعديله، ثم تثبيته، وإقراره، وما كان مخالفاً، فلا يجوز الاصطدام به لأوّل وهلة، وإنما يجب التدرّج في تغييره بطرح البديل الأسلم بهدوء، وحكمة، وتجنباً للإثارة، والاستفزاز، والاندفاع، والحماس؛ فإنَّ ذلك يثير حفيظة الجمهور، ويدفعه للوقوف بوجه المشروع الجديد، وهذا يتطلّب دقّة في العرض، وتدرّجاً في الطرح، وأفقاً واسعاً يستوعب المعارضة، ويمتصّ النّقمة، ومثال ذلك أنَّ بعض الجماهير الحسينيّة اعتادت إقامة مراسيم عاشوراء وفق صيغة معيّنة مألوفة عندهم منذ عشرات السنين، وأصبحت عند بعضهم ديناً يدان به، فعندما يريد الداعية المُغَيِّر أن يصحّح أو يوجّه تلك الشعائر نحو الصيغة الإسلامية المثلى، فلا ينبغي أن يلغي ويصادر كلّ ما ألفه الجمهور دفعة واحدة، وإنّما يطرح البديل الأمثل في الساحة بأسلوب جذّاب مشوّق، بعد أن يسبق البديل عملية تغيير فكريّ واعٍ متدرج، وحينئذٍ يُوجِد تيّاراً عامّاً في وسط الجمهور يجعله قابلاً للتغيير، مستقبلاً للبديل برضا وشوق، وتجربة مواكب الطلبة في جامعة بغداد عام ١٩٦٥م، وانطلاقها في كربلاء يوم أربعين الإمام الحسين عليه السلام خير تجربة، وشاهد على ما نقول، وقد نجحت نجاحاً باهراً لولا وقوف الطغاة بوجهها، ومنعها عند الانطلاق بالحديد والنار.

٥ ـ ثمّ إنَّ اندفاع الجمهور وتجاوبه يتوقّف على أمله في تحقيق مصالحه وصيانتها؛ ولهذا ينبغي لمن يريد أن يوثّق علاقته بالجمهور أن يوعد بصدق وإخلاص؛ لكي يقوّي مشاعر الثقة في نفوس الناس، ولكن ينبغي أن يتجنّب نشر الشعور بالتفاؤل غير الحقيقي نحو تحقيق أهداف سريعة وسهلة إزاء مشكلة معيّنة، وإنما يجب مساعدة الجمهور على الرؤية الواضحة الطبيعيّة لمشاكلهم، وطرح الخطط اللازمة للمواجهة، وبيان طريقة التنفيذ بالقدر المستطاع، ومع ذلك كلّه ينبغي تجنّب الشعارات الوهمية؛ لئلا ينقاد الجمهور وراء أحلام وهميّة، وبعبارة

أخرى: على القائد الجماهيريّ أن يبتعد عن الوعود المعسولة، والشعارات الزائفة التي لا يستطيع تحقيقها، ويتجنّب الخداع، والمراوغة، والأماني الكاذبة؛ فإنَّ ذلك يفقده ثقة الجمهور، ويسقطه من عينيه، كما ينبغي أن يكون واقعيّاً في كلّ ما يَعِدُ به، دقيقاً في تعبيره، صادقاً في نواياه، لا يضمر في نفسه تحقيق مصالح ذاتيّة، وإنما هدفه الأسمى خدمة الجمهور بتجرّد، وإخلاص، وحبّ، لا يبغي من وراء ذلك سوى أداء الواجب الشرعيّ الملقى على عاتقه، استجابة لأمر الله، ونيل رضاه، فإذا شعر الجمهور منه ذلك تفانى في الولاء إليه.

ولعلَّ هذا السر هو الذي جعل من الإمام الخميني رضوان الله عليه أنموذجاً رساليّاً يحرّك الجمهور حيثما يريد بكلمة أو إشارة، ويدفع به في أتون الثورة، ويواجه المدافع والدبّابات، ويتحدّى كلّ طواغيت العالم بأيدٍ مجرّدة من السلاح سوى الإيمان، وَحَريٌّ بكلّ داعية رساليّ أن يدرس هذه الظاهرة الفريدة من نوعها في تأريخ الثورات بدقّة، ووعي، وتفصيل، ويستوعب ما فيها من دروس، وعبر، وعطاء إلهيّ عظيم، ويجعلها أنموذجاً وقدوةً في حياته الرساليّة في الكدح إلى الله تعالى. يقول مالك بن نبيّ: «فالعلاقة الروحيّة بين الله وبين الإنسان، هي التي تلد العلاقة الاجتماعيّة، وهذه بدورها تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان... فعلى هذا يمكن أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معاً من الوجهة التاريخية على أنَّهما حدث، ومن الوجهة الكونيّة على أنَّهما عنوان على حركة تطوّر اجتماعيّ واحد»[١].

لقد فَرَّغ الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه قلبه لله، وأصلح ما بينه وبين الله، وتَجَرَّدَ عن كلّ مصلحة ذاتيّة، فَرَزَقَهُ الله حبَّ النّاس، وأسكنه في قلوبهم يوم استقبلوه عائداً من هجرته، ويوم وَدَّعُوهُ إلى مثواه الأخير ملاقياً ربَّه بعين قريرة، وقلب مطمئن، وتلك عبرة من أعظم العبر لا يعيها إلا أولوا الألباب.

(١) مالك بن نبي، ميلاد مجتمع: ٥٢ .

ولا بدّ أن نشير هنا إلى أنَّ محاولة البروز والظهور الاجتماعيّ على حساب الآخرين يثير حفيظة كثير من الجماعات، ويعزل الإنسان نفسيّاً عنهم؛ لأنَّ الناس بفطرتهم يكرهون المتميّز عنهم، ولا سيّما إذا كان هذا التمييز على حسابهم، وإنَّ إشعارهم بالتفوّق عليهم معناه حَطٌّ لكرامتهم، وليس هناك عاقل يقبل أن يحطّ أحدٌ من كرامته.

كما ينبغي تجنّب إثارة المشاعر العدوانيّة في الآخرين بل يجب أن يكون الداعية من الدقّة والمهارة بحيث يستطيع أن يحوّل المشاعر العدوانيّة إلى مشاعر إيجابيّة، ويبحث عن نقاط الوفاق معهم، وهذا ما أَكَّدَهُ القرآن الكريم بقوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**[1].

فالآية ترسم منهجاً متكاملاً للحوار، وتوضّح الأسلوب الهادئ الرزين لإيقاف الناس على الحقيقة، وتسدُّ الأبواب أمام اللّعب بالألفاظ الخدّاعة الّتي توهم البسطاء، فهي (تطرح مع أهل الكتاب فكرة اللّقاء على قاعدة مشتركة)[2] بدون تشنّج، ولا انفعال، ولا تحدٍّ لأجل الإسقاط والإفحام، وتعطي المؤمن قوّة ثبات أمام الحالات السلبيّة، وتجنّبه مواضع الخلاف معهم أولاً، وكأنَّها (تركّز قاعدة الانطلاق لغزو القلوب)، ثم تبدأ عملية التطهير الداخليّ؛ لتغرس فيها بذور الفكر السليم، ثم إنَّ الآية الكريمة تأمر الرسول الكريم ﷺ أن يخاطبهم بـ «أهل الكتاب»، وهو أحبّ الألفاظ إلى نفوسهم، وهذا الاسم من أحسن وأكمل الألقاب حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله، وهذا من باب الإشعار بالاهتمام والتّقدير، وتلك خطوة مهمّة لمن يريد أن يشدّ الآخرين إلى مبدئه وعقيدته حيث

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) السيد محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن: ٦/ ٧٨.

يشعرهم بأنَّ لهم مكاناً وأهمّيّةً في قلبه، وأنَّه معهم سواء في السّراء أو الضّراء، أو في الحقوق والواجبات، وهذا ما يلوح من قوله تعالى: ﴿**تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾، وهذا منتهى العدل، والإنصاف، والحريّة الفكريّة، وحينئذٍ يطلق ما في النفوس من طاقات خيّرة، ويتركها تبحث عن الحقيقة أينما كانت، وعند من كانت، يقول أحد علماء الاجتماع:

«والمنظّم الاجتماعي لا يجب عليه فقط الاستفادة من القوى الإيجابيّة الموجودة في مجتمعه والقيادات الممثّلة لها، واستثمار قدرتها، ومن التعاون الموجود، ولكن عليه أيضاً تحديد هذه القوى وإطلاق سراحها من أيّة ضغوط قد تحول بينها وبين قيامها بالتّأثير المطلوب منها في مجال تنمية وتنظيم المجتمع، وهو يقوم عن طريق تشجيع التّعبير عن أنفسهم، وعن مشاكل مجتمعهم... وبالصّبر، وحسن الإنصات، والاستفسار اللّبق، وعن طريق السّعي ـ تدريجيّاً ـ إلى توجيه الانتباه، وتركيز التّفكير على مشاكل المجتمع الّتي تحتاج إلى مساهمة الجميع، واشتراكهم في مواجهتها وحلّها»[١].

ومعلوم بالتّجربة أنَّ أكثر الناس لا يريدون أن يحسّوا أنَّ المتحدّث يحاول إرشادهم وتعليمهم؛ ولذا ينبغي للرائد الجماهيريّ أن لا يشعر المستمع له أنَّه يريد إرشاده وهدايته، وإنما ينبغي أن يكون متحدّثاً كمستفهم، ويترك له الفرصة؛ لكي يعبر عن مشاعره وآرائه، وأن يستمع له بدقّة، وأدب، وتحليل، يقول عباس محمود العقاد: «حَسْبُ الرجل الذّكيّ أن يفتح أذنيه، ويفقه ما يسمع؛ ليجتمع له من المعارف العامّة، والحجج المتقابلة، والدّعايات المتناقضة ما يكفي لسلوك الطريق في حركات الجماهير»[٢].

فلكي يستميل الدّاعيةُ المغيّرُ الجمهورَ، يحتاج إلى عاطفة تساجل عواطف

(١) تنظيم المجتمع: ٢٣٩.
(٢) عباس محمود العقاد، المجموعة الكاملة: ١٤/ ٢٥٨، كتاب (هتلر في الميزان).

الآخرين، وفكر يقابل أفكارهم، وأن يسمع أكثر ممّا يتكلم، وإذا تكلّم تكلّم معهم، ولم يتكلّم لهم، ولا يشعرهم أنَّه واعظ أو معلم، بل يوحي بالفكرة التي يهدف طرحها، ويشرح المفهوم بلغة بسيطة يسيرة، ويطرح الدليل العقليّ والمنطقيّ، ويشعر المخاطب بالثّقة، ولا يثير حفيظته.

وقد ثبت بالتجربة أنَّ الناس يتأثّرون سلباً أو إيجاباً بالمواقف أكثر مما يتأثّرون بعرض المبادئ والأفكار المجرّدة؛ ولهذا ينبغي لكلّ مؤمن فاعل أن يجسّد المبادئ التي يدعو إليها من خلال السلوك العمليّ له، أي أن يكون السلوك معبّراً عن عقيدته وأفكاره، وأدقّ تعبير عن هذه الحقيقة ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ الوعظ الذي لا يمجُّهُ سمعٌ، ولا يعدله نفع ما سكت عنه لسان القول، ونطق به لسان الفعل**»[(١)].

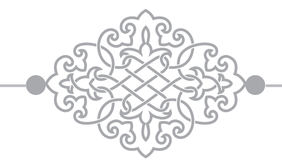
يقول مالك بن نبيّ: «فالفرد لكي يدخل في شبكة علاقات اجتماعيّة معيّنة، ينبغي أن يجسّد في ذاته واقعاً نفسيّاً معيّناً، وهذا الواقع الذي يعدّ شرطاً لإقرار الفرد وقبوله داخل الحياة الاجتماعيّة يمدّ هو أيضاً جذوره في أعماق غيب ميتافيزيقيّ»[(٢)].

---

(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٢٥، ح/ ٤٥٦٠ .

(٢) ميلاد مجتمع: ٦٢ .

العلاقات المصلحيّة والعلاقات المبدئيّة



العلاقات الاجتماعيّة بصورة عامّة يمكن تقسيمها على نمطين:

الأول: العلاقات الهادفة: ويتشعّب هذا النمط إلى شُعَبٍ كثيرة حسب طبيعة الهدف الذي يسعى إليه الإنسان، وتتناسب طبيعة العلاقات تناسباً طرديّاً مع نوعيّة الأهداف، فإذا كان الهدف إنسانيّاً طاهراً يروم صاحبه تقدّم المجتمع وازدهاره فالعلاقة تكون هادئة ودّية تتّسم بالصّدق، والإخاء، والإخلاص، والصراحة بلا لفّ ولا دوران، وبهذا أمر الإسلام، وعبّرت عنه الأحاديث الشريفة بـ «حسن العشرة»، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**يا شيعة آل محمّد، اعلموا أنَّه ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومُخالقة من خالقه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، وممالحة من مالحه، يا شيعة آل محمّد، اتّقوا الله ما استطعتم، ولا حول ولا قوّة إلا بالله**»[1].

وكما تتّسم بالصّدق والإخلاص ينبغي أن تتّسم بالإفضال، والإحسان، «**من خالطت فإن استطعت أن تكون يدك العليا عليهم فافعل**»[2]، وهذا من أبلغ التعابير الكنائيّة عن الإحسان، والخدمة، ونفع الآخرين.

وأما إذا كانت الأهداف ذات مصلحة ذاتيّة سواء على المستوى الفرديّ أو

---

(١) الأصول من الكافي: ٢/ ٦٣٧ .

(٢) المصدر نفسه .

على المستوى الجماعيّ فإنَّ العلاقة تتّسم بالتملّق، والخداع، والمكر؛ لأجل الصعود على الأكتاف كأكثر العلاقات السائدة اليوم في دنيا السياسة، وفحوى مبدئهم السياسيّ أنَّه لا توجد روابط أخلاقيّة، وإنما توجد مصالح سياسيّة.

فالمصلحة الذاتيّة هي الغالبة على أغلب العلاقات السياسيّة اليوم سواء بين الأحزاب، أو بين الدول؛ ولذا نراها تتلوّن تلوّن الحرباء، فبينما هم اليوم أصدقاء يكيل أحدهم للآخر المدح والثناء بلا حدود تراهم بين ليلة وضحاها ينقلبون إلى أعداء يكشف أحدهم عورة الآخر، تلك هي علاقة المصالح التي تبتني على المكر والخديعة التي وعد الله سالكها النار؛ فقد روي عن قيس بن سعد بن عبادة أنَّه قال: «لولا أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المكر والخديعة في النار**» لكنت من أمكر هذه الأمة»[١].

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**يا أيها النّاس، لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس، ألا إنَّ لكلّ غدرة فجرة، ولكلّ فجرة كفرة، ألا وإنَّ الغدر، والفجور، والخيانة في النّار**»[٢].

الثاني: العلاقات غير الهادفة: ونقصد بها العلاقات التي لا تبتني على مبدأ فكريّ، ولا هدف واضح، وإنّما هي مجرّد مجاملات قد لا تعود على الإنسان بنفع في دنياه، ولا في آخرته؛ لأنَّها تَضْيِيْع للعمر بلا طائل، بل عبث، ولغو، وضياع، وهذا شأن العلاقة مع من لا يعرف دوره في الحياة، ورغم ذلك فإنَّ الشخص الواعي لرسالته يستطيع أن يُحَوِّلَ تلك العلاقات إلى علاقات هادفة من خلال توعية الطرف الثاني، وإرشاده، ونصحه بالحكمة والموعظة الحسنة، فالإنسان صاحب الأهداف السليمة يعمل على توجيه طاقات الأفراد الذين يتّصل بهم نحو العمل الجادّ المثمر، فهو لا يعمل على استغلال طاقات الآخرين

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/ ١٠٩ ، وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ٨/ ٤٥٢ .

(٢) الأصول من الكافي: ٢/ ٣٣٨ .

لمصالحه بل لإصلاح المجتمع باتّجاه تقدّمه ورقيّه، ونحن إذا استقرأنا سيرة القادة الجماهيريّين الذين يعملون على توثيق علاقاتهم بالجمهور نجدهم يتباينون تبايناً كبيراً في الأهداف والوسائل، فتجّار السياسة يبذلون كلّ جهدهم كي يحصلوا على شهرة عظيمة في أوساط الناس، ويبرزون أنفسهم كمحرِّرين، ومنقذين، ومصلحين للشعوب، ويخفون وراء ذلك أهدافاً غير منظورة ينوون تحقيقها بعد صعودهم على أكتاف الجمهور، ثم يتنكّرون له، وينقضون وعودهم وخططهم التي طرحوها في مرحلة بناء الروابط معه، وربّما يقلبون له ظَهْرَ المِجَنّ.

أما القادة المبدئيّون فإنَّهم لا يبنون علاقاتهم على أساس المصالح الذاتيّة، وإنما على أساس المبادئ التي يدعون إليها، ويعملون على تحكيمها، وأما مصالح الجمهور فإنَّها تبرز من خلال طرح المبادئ، واعتناق الناس لها، والتضحية من أجلها، وخير مثال على ذلك ما جاء في سيرة الرسول ﷺ حين أُمِرَ أن يصدع برسالته، أراد أن يثبت الحجّة عليهم بشهرته عندهم بالصدق والأمانة، فخاطبهم من على الصفا قائلاً: «**أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل، أكنتم تصدّقونني؟**» فقالوا: «نعم، أنت عندنا غير متّهم، وما جرّبنا عليك كذباً قط»، فقال ﷺ: «**فإنّي نذير لكم بين يديّ عذاب شديد**»[1].

وفي رواية أخرى أنَّه ﷺ قام على الحجر الأسود فقال: «**يا معشر قريش، يا معشر العرب، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله، وآمركم بخلع الأنداد والأصنام، فأجيبوني تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكاً في الجنة**»[2].

فهنا نرى أنّ رسول الله ﷺ يدعوهم إلى إصلاح واقعهم بإصلاح عقائدهم

(١) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى: ١/ ٢٠٠ .

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار: ١٨/ ١٨٠، وهذا الحديث والذي قبله رواه المفسّرون والمؤرّخون بطرق مختلفة في حديثهم عن آية الإنذار مع اختلاف طفيف في الألفاظ .

وتغييرها، (وقد مارس النبيّ ﷺ الاتّصال بين النّاس والعلاقات العامة بأكمل صورها، فقد كان دائم الاتّصال بالنّاس يجتمع بهم في المسجد بعد الصّلاة، فيسمع أخبارهم وشكاواهم، ويتعرّف على مطالبهم وآرائهم، وفي سيرته ﷺ قدّم صيغة مثلى لما يمكن القيام به للتعرّف على مشاكل المسلمين، ومطالبهم، وكيفية حلّها، فقد كان على اتّصال مباشر، ووثيق بكلّ المؤمنين، بعيدهم وقريبهم، صغيرهم وكبيرهم، نسائهم ورجالهم، وقد استطاع ﷺ في اتّصاله هذا نشر الدّين الإسلامي، وإقناع الناس به، وتوحيد الأمّة، وتحقيق النصر لها)[1].

واقتدى بالسّيرة النبويّة العطرة الإمامُ الخمينيّ رضوان الله عليه في ثورته الجماهيريّة المباركة بنداءاته الصادقة مع الله ومع الجمهور، وأثبت لهم في حالتي الثورة والدولة أنَّه هو هو لم يتغيّر، ولم يختلف في مواقفه، وفي سلوكه الشخصيّ؛ ولذلك ملك القلوب والأرواح، فكان يوم وداعه وهو يرتفع إلى الرفيق الأعلى أشدّ من يوم استقباله عائداً من هجرته.

وأما العلاقات الجماهيريّة عند طلاب المناصب العالية الطامحين إلى العلوّ والسيطرة على الآخرين فلها طريق آخر، هو طريق الوعود المعسولة، والاعتماد الدائم على الأحابيل السياسيّة، والالتفاف من الخلف والصعود على الأكتاف، نُقِلَ عن خبير العلاقات الأميركيّة السيد مولاني ما مضمونه: «إنّ أحد أسباب اللّجوء إلى العلاقات العامّة هو محاولة استمالة الناس للاستمرار في فرض النّظام الاجتماعي القائم، وباكتشاف هذا الطريق، فقد كان على رجال الأعمال التّخلّص وإلى غير رجعة من كلّ القوى المعارضة له، وكذلك البحث عمّن يستطيع إرشادهم إلى أفضل أساليب ووسائل استمالة النّاس، هذه هي المهمة التي انبرى لتنفيذها **إيفي لي**»[2].

---

(١) محمد ناجي الجوهر، دور العلاقات العامّة في التنمية: ٣٤ .

(٢) المصدر نفسه: ٤٣.

يقول المبدأ الصهيوني: «لا بدّ لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرّياء، فإنَّ الشّمائل الإنسانيّة العظيمة من الإخلاص، والأمانة تصير رذائل في السياسة، وأنَّها تبلغ في زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألدّ الخصوم»[١].

فإذن العلاقات العامّة عند هؤلاء وسيلة لاستغلال الظروف المناسبة؛ لتحقيق المصالح الشخصيّة، وتحصيل الشهرة العالية، ولو أدّت إلى سحق وتدمير المعارضين، وبهذه الطريقة استطاعوا أن يحقّقوا مطامحهم وأطماعهم، ويحتلّوا أعلى المناصب، ومثال ذلك الرئيس الأميركي الأسبق روزفلت فقد كان (أحد المبرّزين في استخدام العلاقات العامّة حتى قيل: إنَّه حكم الولايات المتّحدة الأميركيّة من خلال الصفحات الأولى بالصحف، فقد كانت له قدرة عجيبة على احتلال الصفحات الأولى للصحف، وهي قدرة استخدمها في عرض وجهات نظره الجديدة والمثيرة بشكل مسرحيّ محقّقاً نجاحات باهرة على خصومه)[٢].

ولتحقيق هذه الأغراض سخّرت كلّ الوسائل الإعلامية: الكلمة المطبوعة، والإذاعة المسموعة والمنظورة، والملصقات، واللّوحات، وكلّ وسيلة ممكنة للوصول إلى الناس في كلّ مكان.

واستعملوا وسائل أخرى؛ للاستحواذ على الناس؛ لأجل خداعهم وهي الظهور بمظهر التواضع، والتنازل إلى مستويات الناس، وقد استخدم نابليون هذه الطريقة للسيطرة على خصومه الذين يتوقّع منهم أن يقوموا بمظاهرات معاكسة لحكمه، (فعند عودته إلى فرنسا ارتدى ثياباً بسيطة، وزار صغار الموظفين الذين كان يتوقّع منهم أن يقوموا بالمظاهرات، واطمأنَّ إلى أنَّ تواضع سلوكه سيكون مادة تنشر في الصحيفة الرسميّة)[٣].

(١) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون): ١٠٦، البروتوكول الأول .
(٢) دور العلاقات العامّة في التّنمية: ٤٥ .
(٣) د.محمد عبد القادر حاتم، الإعلام والدعاية: ٤٦ .

ومن خلال هذه الشواهد نستنتج أنَّ العلاقات العامة تختلف باختلاف الأهداف، فمن يستعملها كوسيلة لنشر مبدأ أو عقيدة لا كمصلحة ذاتيّة يتّسم بالصّدق، والإخلاص، والواقعية، وعدم المراوغة والخداع، أما من يستعملها كوسيلة للوصول إلى أهداف شخصيّة سلطويّة، أو اقتصاديّة فإنَّه يبرز بوجه ويخفي وجهاً آخر وفق المبدأ الميكافيلي: «الغاية تبرّر الوسيلة».

وفي التأريخ الإسلامي برزت هذه الظاهرة في حقبة الحكم الأمويّ والعباسيّ بشكل سافر خُدِعَ بها كثيرون، وركب فيه الطامحون الموج، واستطاعوا أن يحققوا أهدافاً شخصيّة سلطويّة، وقميص عثمان خير شاهدٍ على ذلك الذي برز كوثيقة على مظلوميّة الخليفة الثالث، واتّخاذ معاوية ذلك ذريعة للثورة على خلافة الإمام عليّ عليه السلام، وعلى هذا المنوال كانت دعوة بني العباس حين رفعوا شعار الرضا من آل محمّد، وواصلوا الدعوة إلى أهل البيت، وهم يخفون في أنفسهم المطامع والمطامح، وقد خدعوا المسلمين بذلك رغم تحذير الأئمة الأطهار عليهم السلام منهم، وحين حقّقوا أهدافهم قلبوا لهم ظَهْرَ المِجَنّ، وواصلوا قتل الطالبيّين تحت كلّ حجر ومدر، وهذا ديدن تجّار السّياسة، وكلّ ذلك مرفوض شكلاً ومضموناً في الشريعة الإسلامية؛ لأنَّ العلاقة التي أرادها الإسلام، وحَثَّ عليها لا بدّ أن يكون طابعها الصدق، والنّزاهة، والترفّع عن كلّ وسيلة مخالفة للشرع، فشرعيّة الوسيلة وقدسيّتها لا بدّ أن تكون مستمدّة من قدسيّة الهدف وشرعيّته، ولا يمكن التوصّل إلى أهداف شرعيّة بوسائل غير شرعية؛ لأنَّ الغاية لا تبرّر الوسيلة في الإسلام، وقدسيّة أيّ عمل بمقدار نزاهة الدافع إليه، فأيّ عمل إذا لم يكن خالصاً لله لا قيمة له في الإسلام مهما بلغت أهميّته ونتائجه.

جاء في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام: «**حسن المعاشرة مع خلق الله تعالى في غير معصية من مزيد فضل الله تعالى عند عبده، ومن كان خاضعاً لله في السرّ كان حسن المعاشرة في العلانيّة، فعاشر الخلق لله تعالى،**

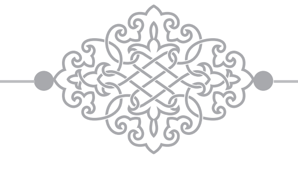
ولا تعاشرهم لنصيبك لأمر الدنيا، ولطلب الجاه والرّياء والسّمعة، ولا تقطن[1] بسببها عن حدود الشّريعة من باب المماثلة والشهرة، فإنَّهم لا يغنون عنك شيئاً، وتفوتك الأخيرة بلا فائدة»[2].

---

(١) تقطن: تخرج.

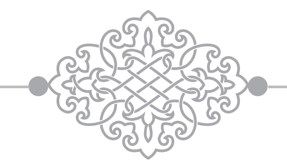
(٢) مصباح الشريعة: ١٤٧.

الفصل الرابع



تأثير الإعلام في العلاقات العامّة

تمهيد



يحتلّ الإعلام موقعاً متقدّماً في أيّة مسيرة حضاريّة، وعلى مختلف الأصعدة السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والثقافيّة... فهو الذي يعدّ الرأي العامّ، ويوجّهه بصورة مباشرة، أو غير مباشرة؛ ولذا فهو (أداة من أدوات العلاقات العامّة)، وتبرز أهميّته بأنَّه أقوى الوسائل ـ إن لم نقل: هو الوحيد ـ في إيصال الحقائق، والمعارف، والأخبار، والآراء، والأفكار إلى جماهير الأمّة بكل فئاتها بمختلف الأساليب.

وفي عصرنا الحاضر قد تعدّدت الوسائل الإعلاميّة، وتطوّرت تطوّراً كبيراً بشكل لم يسبق له نظير في الأزمنة الماضية، فقد أصبح للإعلام اليوم مدارس، ومؤسسات، ونظريّات، وخبراء متخصّصون في فنونه يستثمرون كلّ الوسائل المؤثّرة في الناس سواء الإذاعات المسموعة، أو المنظورة، والمطبوعات المنشورة من صحف، ومجلات، ودوريّات، وتقارير، وكتب حتى أصبحت في متناول كلّ يد تقريباً ولو في أقاصي الأرض، ومن وسائل الإعلام: الملصقات الجداريّة، والإعلانات الكبيرة والصغيرة، والمجسّمات الرمزيّة، والتمثيليّات، والمسرحيّات، والأفلام، والتجارب العلميّة، والمعارض، والرحلات السياحيّة، والرسوم البيانيّة، والخرائط، والمطبوعات الأخرى، (والكاريكاتير)، والمناظرات، والمحاضرات... كلُّها وسائل مستعملة، ومنتشرة في الأوساط

العالميّة والمحليّة، وقد أُنفقت أموال طائلة، وبذلت طاقات جبّارة في هذا السبيل لأجل إيصال الأخبار والمعلومات المؤثّرة في الجماهير، وبأهداف مختلفة حسب توجّه المؤسسة الإعلاميّة، وكلّ له تأثير كبير على النّاس سلباً، أو إيجاباً في رسم العلاقات العامّة على الأصعدة المحليّة، أو الإقليميّة، أو الدوليّة، وعلى الأفراد، والجماعات في الأوساط الشعبيّة.

فالإعلام إذن له الدور الفعّال والمؤثّر في العلاقات العامّة، وهو كما يقال: «سلاح ذو حدّين» إذا استُعمل في الوجهة الإيجابيّة يمكن أن يكون وسيلة خير، وبركة، ورحمة للناس، ينقل لهم: العلوم، والتجارب، والأخبار، والأفكار، ويكسبهم خبرة واسعة، ويحيطهم بمجريات الأحداث، ويربط بين المجتمعات يلاقح الأفكار، ويقارب بين النفوس، هذا إذا ارتفع رجل الإعلام إلى المستوى الإنسانيّ الرفيع، وصار همُّهُ خدمةَ الإنسانيّة في إقرار سعادتها ورفاهها في الأمن والإيمان، ولا يكون كذلك إلا إذا اعتنق العقيدة السليمة نحو الكون، والحياة، وتمتع بالاستقلال الفكري، والنظرة الشموليّة للإنسانيّة، وتحرّر من التبعيّة السياسيّة، وتطهّر من أوضار التعصّب العنصريّ، والإقليميّ، بل والدينيّ؛ فإذا كان الإعلامي كذلك فسيكون مصدر خير، وسلام، ومحبّة، ووئام بين النّاس.

وأما إذا اتُّخِذَ الإعلامُ وسيلةً لتحقيق الأغراض السياسيّة الخبيثة، أو تَركَّز على الأرباح الماديّة فإنَّه يتحوّل إلى أداة خطيرة تنشر الفساد الفكريّ، والاجتماعيّ، والتحلّل الأخلاقيّ بترويج المجون، والخلاعة، ونشر الأكاذيب، وإثارة النزعات العنصريّة، وإبراز الأحقاد، وإيقاد نيران الفتنة كما هو ديدن الإعلام الاستخباريّ الاستعماريّ اليوم الذي صار وسيلة لاستغلال خيرات الشعوب يتلاعب في أفكارها وعقائدها، يهدم من جانب، ويبني من جانب آخر بعمليّة مسخ وسلخ لكلّ ما يتناقض مع مصالحه السياسيّة أو الاقتصاديّة، وعلى سبيل المثال الإعلام الغربيّ الذي سخّرت له إمكانيّات ضخمة بشريّة وماليّة فوق مستوى التصوّر،

هذه القدرة الجبّارة لعبت دوراً فعّالاً في زعزعة العلاقات بين الأمم والشّعوب بل بين أبناء الشعب الواحد والعائلة الواحدة لأجل السيطرة السياسيّة، والاستغلال الاقتصاديّ، فزعزعت العقائد السليمة في نفوس أصحابها، وطعنت بالأحكام العادلة، وروَّجت الخرافات، والعقائد الهدّامة، ونشرت كلّ ما يخدم مقاصدها الاستعماريّة وفق خطط منهجيّة مدروسة بعيدة المدى، فباسم الحرّية نشرت الرذيلة، والتحلّل الأخلاقي، وباسم العلم والمعرفة نشرت الأفكار الهدّامة، وركزت دعائم الإلحاد، وباسم القومية أثارت النعرات الطائفيّة والعنصريّة، وباسم الوطنيّة زرعت الحدود والحواجز النفسية بين أبناء الأمّة الواحدة، وباسم السّلام والمحافظة على أمن الشعوب أبادت شعوباً، ومزَّقت أمماً كبيرة، وبحُجّة الدفاع الوطني بَنَتْ (ترساناتٍ من الأسلحة الذريّة والجرثوميّة) حتى أصبحت اليوم تهدّد مصير البشريّة، وتُنذِر بالإبادة العامّة لها، ورغم هذا كلّه راحوا يصوّرون حضارة الدمار، والتحلّل الأخلاقيّ بأنّها قمّة التقدّم والازدهار، وبأنَّ التبعية الغربية هي رمز التحضّر، ومنتهى السعادة، وبذلك خلقوا روح التبعيّة الفكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة لها.

ومن خلال الضرب على الأوتار الحسّاسة، وبالكلمات المعسولة، والشعارات البرّاقة سيطروا على مشاعر كثير من الجماهير؛ فالإنسانيّة، والعدالة، والسعادة، والأمن، والسلام، والتحرّر، والاستقلال، والتقدّم، والإعمار، والازدهار، والعلم، والثقافة، والتحضّر، والتمدّن، والحداثة، والعصرنة... الخ، كلّها ألفاظ جميلة جذّابة، تثير الاهتمام، وتستحوذ على المشاعر، وتجلب الانتباه؛ لأنَّها محبوبة بالفطرة لكلّ إنسان؛ فراحوا يضربون على أوتارها الحسّاسة، ويعزفون أنغامها بألحان مخدّرة، تموّه الحقائق، وتستغلّ النّفوس، وتخدّر العقول؛ لأجل السيطرة والاستغلال من خلال دسّ السّمّ في العسل؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يعملون بجدّ لإسقاط أيّ قوّة تقف حائلاً بوجه تحقيق أهدافهم بإثارة

الدعايات المغرضة، ونشر الشّائعات المسمومة، وتحريف الحقائق الواضحة، والمبالغة في الحدث الصغير، والتغافل عن الجرائم الفظيعة؛ ولأجل ذلك كلّه وضعوا نظاماً للإرسال، والتلقّي، ومخاطبة الجمهور.

يعتمد هذا النّظام على إبراز الوجه الجميل الجذّاب في الوقت الّذي يخفي المقاصد والأهداف التي يرفضها الجمهور؛ ولذلك تراهم يراعون في الخطاب والإرسال مستوى عقليّة المخاطبين ومستواهم الثقافيّ، واجتناب ما يثير حساسيّتهم، ويختارون الوقت المناسب للطرح الجماهيريّ، ويستثمرون المناسبات، والأحداث كمادّة إعلاميّة يتوصّلون بها إلى تحقيق مقاصدهم، وبلغة يسيرة، وبنبرة رخيمة كي يوصلوها إلى النّاس مع تكرار ما يهدفون نشره بصيغ مختلفة، ويتغلّبون على الرّغبة بالاهتمام، فإذا وجدوا أحد مبادئهم أو مشاريعهم لم يلقَ قبولاً واهتماماً راحوا يدرسون الأسباب، ويبحثون الأسرار في خفايا النفوس من خلال قياس الرّأي العام؛ ليطرحوا العلاج المناسب لعدم الرّواج والقبول، مثال ذلك: (عندما أنشئت هيئة الأمم المتّحدة لوحظ اهتمام شديد بها من جانب الدّول النّامية المتطلّعة إلى الحريّة، بينما في الولايات المتّحدة قامت الصّحف والمجلات، ومجلات الإذاعة بحملة كبيرة لتفهيم الشّعب الأميركي بهيئة الأمم وأعمالها في نيويورك، ولكنّ كثيراً من جماهير الشّعب الأميركي في بعض الولايات انصرفوا انصرافاً تامّاً عن إبداء أيّ نوع من الاهتمام لهذا الخبر، وقد بحث خبراء الإعلام والعلاقات العامّة السّبب في عدم الاكتراث فتبيّن أنّ الأميركي العادي يهتمّ اهتماماً مباشراً بنفسه وبداخله وحياته، وأنّه لا يولي أهميّة خاصّة لحكومته المركزيّة في واشنطن، فكيف به يهتم بالأمم المتّحدة؟ وما كان من خبراء العلاقات العامّة إلا أن أشاروا بإدخال تعديل على المجلّة الإذاعيّة، وتوضيح أثر هيئة الأمم المتحدة على المواطن الأميركي الفرد عن طريق أهميّة هذه الهيئة في إرساء قواعد ثابتة للسّلام والرّخاء العالمي الّذي سيعود حتماً على

كلّ مواطن، وعلى الفرص التي ستتاح للولايات المتّحدة من اشتراكها في الهيئة مثل احترام المجتمع الأميركي في العالم كلّه، وقد نجحت مثل هذه الحملة، وحقّقت كثيراً من أهدافها)[1].

وعلى كلّ حال فإنَّهم يحاولون التوصّل إلى مآربهم بكلّ وسيلة مهما أضرَّت بالمجتمع البشريّ ما دامت تخدم مصالحهم السياسيّة والاقتصاديّة، وأدقّ وصف لما يجري في هذا الميدان ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أهل النّفاق بأنَّهم:

«الضّالّون المضِلّون، والزّالّون المزِلّون، يَتَلَوَّنُونَ ألواناً، وَيَفْتَنُّونَ افتناناً، ويعمدونكم بكلّ عماد، ويرصدونكم بكلّ مرصاد.

قلوبهم دَوِيَّةٌ، وصفاحهم نَقِيَّة، يمشون الخفاء، ويدبّون الضّراء. وصْفُهم دواء، وقوْلُهم شفاء، وفعْلُهم الدَّاء الْعَيَاء، حَسَدَةُ الرّخاء، ومؤكّدو البلاء، ومقنطو الرّجاء.

لهم بكلّ طريقٍ صريعٌ، وإلى كلّ قلبٍ شفيعٌ، ولكلِّ شجوٍ دموعٌ، يتقارضون الثّناء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا ألحفوا، وإن عذلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا. قد أعَدُّوا لكلّ حقٍّ باطلاً، ولكلّ قائم مائلاً، ولكلّ حيّ قاتلاً، ولكلّ بابٍ مفتاحاً، ولكلّ ليلٍ مصباحاً، يتوصَّلون إلى الطَّمَعِ باليأس؛ ليقيموا به أسواقهم، وينفّقوا به أعلاقهم. يقولون فَيُشَبِّهون، ويصفون فيُمَوِّهُون، قد هَيَّأوا الطّريق، وأضلعوا المضيق[2]، فهم لُمَةُ الشيطان، وحُمَةُ النيران: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾»[3].

هذه اللوحة الرّائعة هي أدقّ وأوضح صورة لما يسمّى اليوم برجال الإعلام،

(١) د.أحمد كمال أحمد، العلاقات العامّة: ١١٤.

(٢) أضلعوا المضيق: أمالوه وجعلوه ضلعاً، أي معوجّاً.

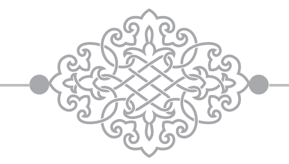
(٣) نهج البلاغة: ٣٣٥ ـ ٣٣٦، خطبة: ١٩٤.

وخبرائه من تجّار السياسة، وأذناب الكفر العالمي، تكشف خفايا تلك النّفوس الدّنسة التي لا ترى غير مصالحها، ولا تفكّر بغير عروشها وكروشها، ولو تأمّلنا جيّداً في فقرات هذه اللّوحة، ودقّقنا النّظر فيما يجري اليوم باسم العلم والسّياسة لوجدنا تطابقاً تاماً بين هذا الوصف، وبين ما يدور في الدّهاليز السّياسية التي تدير حلبة الصّراع السّياسيّ، و(إدارة الصّراع بمعنى عمليّة تطويع المتغيّرات، والقوى في نطاق التّعامل الدولي قديمة، ولكنَّها كانت تنبع من النبوغ في الممارسة والحساسيّة، والقدرة على تلمّس نواحي النّقص في الخصم بالكرّ والفرّ، وبهذا المعنى تعوّدنا الحديث عمّا يسمّى بالقائد الدبلوماسيّ: قائدٌ يمتاز بالمرونة، سعادته في أن يتلاعب بالأفراد والمواقف، مظهره لا يعكس باطنه، ولغته لا تعبّر عن أفكاره، بعيد النظر واقعي وعملي لا يتردد في أن يتعامل مع عدوّ الأمس، وأن يضحّي بصديق اليوم)[1].

وهذا هو شأن من تحكمه المصالح الماديّة لا المبادئ الرساليّة، ولو قارن القارئ الكريم بين ما قاله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في صفات أهل النفاق، وما تقدّم في وصف ما يسمى بالقائد الدبلوماسيّ لوجد تطابقاً دقيقاً رغم بُعْدِ المدّة الزمنيّة الفاصلة بين النّصّين.

(١) د.حامد ربيع، الحرب النفسيّة في الوطن العربيّ: ٣١٥ .

كيف واجه الإسلام
الحملات الإعلاميّة المضادّة؟



لقد واجهت الحركة الإسلاميّة على طول خطّ التأريخ الرساليّ حملات إعلاميّة مضادّة كانت تحاول إيقاف التيار الإسلامي بخلق تيار معاكس له، فمن محاولة التشويه، والتشنيع، والإسقاط إلى محاولة الدسّ، والتشكيك، وإثارة الشّبهات، وتدبير المناورات، لتمزيق الجماعة المسلمة، وخلق الحواجز النفسيّة بينهم وبين الجمهور بذلوا كلّ ما في وسعهم من مكر، وخداع، وتضليل؛ ليشوّهوا حقيقة دين الله، ويَذُرُّوا الرّماد في عيون الناس، وفي الحوار العنيف الذي دار بين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفرعون صورة حيّة تتكرّر في كلّ زمان ومكان، فحينما يدعوه موسى إلى الإيمان بالله وبرسالاته، ويثبت له بالبرهان القاطع والحُجّة الدّامغة بآيات باهرة، يقف فرعون موقف المتعنّت المستكبر والخصم العنيد يواجه موسى بالشبهات والافتراءات، ويضرب على الوتر الحساس الذي يخلق الحواجز النفسيّة بين النّاس وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيتّهمه بأنَّه جاء ليُخرج النّاس من أرضهم، ويسيطر عليهم، وهذا ما يثير الناس ضدّ الدّعوة الإلهيّة، فيقول لموسى: ﴿**أَجِئْتَنَا لِتُخرِجَنَا مِن أَرضِنَا بِسِحرِكَ يَا مُوسَى**﴾[1].

ثمّ يتحرّك بسرعة في وسط الناس؛ ليشيع أنَّ موسى جاء ليهدّد مصائر النّاس

(١) طه: ٥٧ .

يخرجهم من أرضهم، أو يسترقّ رقابهم، ويمزّق وحدتهم، هكذا يشيع بين النّاس بتدبير محكم، وكيد خبيث، وسعي حثيث؛ ليجمع المناوئين، ويحارب بهم موسى: ﴿فَتَوَلَّى فِرعَونُ فَجَمَعَ كَيدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾[١].

ويجمع فرعون مستشاريه وأصحاب الرأي عنده، ويدور البحث في كيفيّة المقاومة ﴿فَتَنَازَعُواْ أَمرَهُم بَينَهُم وَأَسَرُّواْ النَّجوَى * قَالُواْ إِن هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخرِجَاكُم مِّن أَرضِكُم بِسِحرِهِمَا وَيَذهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثلَى * فَأَجمِعُواْ كَيدَكُم ثُمَّ ائتُواْ صَفّاً وَقَد أَفلَحَ اليَومَ مَنِ استَعلَى﴾[٢].

وهكذا جمع فوجاً من سحرته، وقد كان السَّحرة في ذلك الزّمان بمثابة رجال الإعلام، وخبراء السّياسة اليوم؛ ليدبّروا المكائد والحيل، ويرسموا الخطط ليطفئوا النور الإلهي، ويصرفوا وجوه النّاس إليهم، ويحجبوها عن سماع كلمة الحقّ، (وهكذا يفهم الطّغاة أنَّ دعوى أصحاب العقائد إنما تخفي وراءها هدفاً من أهداف هذه الأرض؛ وأنَّها ليست سوى ستار للملك والحكم).. ثم هم يرون مع أصحاب الدّعوات آيات، إما خارقة كآيات موسى، وإما مؤثّرة في الناس تأخذ طريقها إلى قلوبهم، وإن لم تكن من الخوارق، فإذا الطّغاة يقابلونها بما يماثلها ظاهريّاً.. سحر نأتي بسحر مثله! كلام نأتي بكلام من نوعه! صلاح نتظاهر بالصّلاح! عمل طيّب نرائي بعمل طيّب! ولا يدركون أنَّ للعقائد رصيداً من الإيمان، ورصيداً من عون الله؛ فهي تغلب بهذا وبذاك، لا بالظواهر والأشكال![٣].

وهكذا جميع رسل السّماء قد واجهوا الكثير من أمثال ما واجه موسى عليه السلام، ولكنَّ أشدّ هذه الحملات وأعتاها ما لاقاه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين، والمنافقين، واليهود، والنصارى... فقد رموه بالكذب، والجنون

---

(١) طه: ٦٠.

(٢) طه: ٦٢ ـ ٦٤.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٥/ ٤٨٠.

والكهانة، والشِّعر، والسّحر... وما إلى ذلك مما أوحاه إليهم الشيطان، وما أوحته إليهم مصالحهم، فراح طغاة قريش حين أحسّوا بالخطر على مقامهم ومصالحهم يحرّكون المؤامرات، ويشيعون الافتراءات؛ ليعزلوا النّاس عن حركة الرّسالة ويعرقلوا مسيرة الرسول ﷺ عن الامتداد إلى أعماق الجزيرة العربية من خلال تشويه سمعته، وإسقاط شخصيّته بالسخريّة تارةً، وبالدعايات المضلّلة أخرى، وكانوا يرسلون رسلهم يستقبلون قوافل الحجيج؛ ليحذّروهم من اللقاء به ﷺ، والسّماع منه أو الإصغاء إليه، بعد ما أعيتهم المفاوضات مع أبي طالب؛ ليمنع رسول الله ﷺ عن مواصلة الدّعوة، أو يسلمه إليهم راحوا يسلكون المسلك الإعلامي المسموم، يقول المؤرّخون:

«ثم إنَّ الوليد بن المُغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش، إنّه قد حضر هذا الموسمُ، وإنَّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذّب بعضُكم بعضاً، وَيَرُدَّ قولَكم بعضه بعضاً، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس، فقُلْ وأقِمْ لنا رأياً نقول به؛ قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان فما هو بزَمْزمة[1] الكاهن ولا سجعه؛ قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته؛ قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشّعر كلّه رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشّعر؛ قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السُّحّار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم؛ قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إنَّ لقوله لحلاوةً، وإنَّ أصله لعَذْق[2]، وإنَّ فرعه لَجَناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنَّه باطل، وإنَّ أقرب القول فيه لأنْ تقولوا ساحر، جاء بقولٍ هو سحرٌ يفرِّقُ

(١) الزمزمة: الكلام الخفيّ الذي لا يسمع.
(٢) العذق (بالفتح): النّخلة، يشبّهه بالنَّخلة التي ثبت أصلها، وقوي، وطاب فرعها إذا جنى.

به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبُلِ النّاس حين قدموا الموسَم، لا يمرّ بهم أحدٌ إلا حذَّروه إيّاه، وذكروا لهم أمره»[1].

وهكذا راحوا يتحرّون الافتراءات واحدة واحدة؛ ليقرّروا أيّة فِرْيّة تقبل عند النّاس ليرموا بها رسول اللهﷺ، ولكنَّ الله للظالمين بالمرصاد فأنزل في الوليد بن المغيرة: ﴿**ذَرنِي وَمَن خَلَقتُ وَحِيداً * وَجَعَلتُ لَهُ مَالاً مَّمدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمهِيداً * ثُمَّ يَطمَعُ أَن أَزِيدَ * كَلا إِنَّهُ كَانَ لأَيَاتِنَا عَنِيداً * سَأُرهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّه فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدبَرَ وَاستَكبَرَ * فَقَالَ إِن هَذَا إِلا سِحرٌ يُؤثَرُ * إِن هَذَا إِلا قَولُ البَشَرِ**﴾[2].

هكذا كانوا يفكّرون، ويقدّرون الفِرْية الأقوى، ويدبّرون الخطّة الأحكم لعلَّهم يصلون إلى مرادهم في إغواء الناس، ولكنَّ نصرة الله، وحكمة رسول اللهﷺ، وثبات المؤمنين، وقوّة حجّتهم، وحسن خلقهم أفشل خطّة قريش، وقلب مجرى الأحداث، فانتشر صيت رسول اللهﷺ في جميع قبائل العرب، فعندما بعثت قريش رسلها؛ ليحذّروا وفود الحجاج، وليقولوا ما أشار عليهم الوليد انتشر خبر رسول اللهﷺ إلى كلّ أصقاع الجزيرة العربية، وطار ذكره إلى كلّ بيت، يقول ابن إسحاق: (فجعل أولئك النّفر يقولون ذلك في رسول اللهﷺ لمن لقوا من النّاس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلّها»[3].

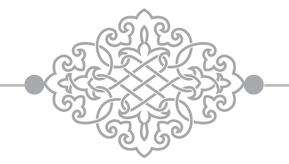
---

(١) ابن هشام، السّيرة النّبويّة: ١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩، والسّيرة النّبويّة لابن كثير: ١/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠ .

(٢) المدثر: ١١ ـ ٢٥ .

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/ ٢٩١.

كيف واجه رسول الله ﷺ إعلام قريش وتحدّياتها؟



لقد واجه رسول الله ﷺ تلك التحدّيات بدقّة، وحكمة إلهيّة استطاع من خلالها أن يتجاوز تلك الحملات بجدارة وقوّة، وينشر رسالة الله في أغلب مناطق الجزيرة العربيّة، ثم غزا قريشاً في عقر دارها حتى ظهر أمر الله، وعلت كلمته.

وقد كان القرآن الكريم ينزل في كلّ حادثة، وفرية تطلق يَرُدُّها بقوّة ويُثَبِّتُ المؤمنين، ويدفع افتراءات المبطلين التي كانت تروّج بين الجمهور؛ لتخلق الحواجز النفسيّة بينه وبين الرّسالة بأنواع الطروحات التعجيزيّة، والطلبات المستحيلة المخالفة للعقل والمنطق طرحوها بتعنّت وعنجهيّة، **﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤمِنَ لَكَ حَتَّى تَفجُرَ لَنَا مَنَ الأَرضِ يَنبُوعاً * أَو تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا تَفجِيراً * أَو تُسقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمتَ عَلَينَا كِسَفاً أَو تَأتِيَ بِاللهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَو يَكُونَ لَكَ بَيتٌ مِّن زُخرُفٍ أَو تَرقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَينَا كِتَاباً نَّقرَؤُهُ قُل سُبحَانَ رَبِّي هَل كُنتُ إِلا بَشَراً رَّسُولاً﴾**(1).

بتلك الطّروحات التعجيزيّة حاولوا أن يُفحموا الرسول ﷺ، ويوقفوا حركة الرسالة في المجتمع، ولم يكتفوا بهذا بعد أن دمغهم القرآن بالحجج القاطعة، بل

(1) الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

راحوا يعرضون على الرسول ﷺ مرّة أخرى مختلف الإغراءات الماديّة كالمال، والملك، والسّيادة، والنّساء... الخ.

ولما عجزوا عن ذلك كلّه جاؤوا إليه ﷺ ليقولوا: «يا محمّد، فإن كنتَ غير قابل منّا ما عرضنا عليك فقد علمت أنَّه ليس أحد من النّاس أضيق بلاداً، ولا أقلّ مالاً، ولا أشدّ عيشاً منّا، فسل لنا ربَّك الذي بعثك بما بعثك به فليسيِّر عنّا هذه الجبال التي ضيَّقت علينا، وليبسط لنا بلادَنا، وليُجْرِ فيها أنهاراً كأنهار الشّام والعراق، وليبعث لنا مَنْ مضى من آبائنا، وليكن فيما يبعث لنا منهم قصيّ بن كلاب، فإنَّه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول: أحقٌّ هو أم باطل؟ فإن فعلت ما سألناك وصدَّقوك، صدَّقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنَّه بعثك رسولاً كما تقول».

فقال لهم رسول الله ﷺ: **«ما بهذا بعثتُ، إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به، فقد بلَّغتكم ما أُرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظُّكم في الدّنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»**[1].

إنَّها لم تكن مجرّد طلبات، وإنّما هي حرب نفسيّة عنيفة؛ لمواجهة حركة الرسالة، وقطع علائقها بنفوس النّاس، إلا أنَّها بتسديد الله وتأييده، وصبر الرّسول والمؤمنين، وحكمته في الإعداد، والتربية، والمواصلة الإيجابيّة في الدعوة إلى الله باءت كلّ تلك المحاولات بالفشل والخسران.

كما كان القرآن الكريم يعمّق الوعي في نفوس المؤمنين؛ ليواجهوا كلّ خبر، وكلّ حادث بيقظة، وفطنة، وترقّب، وحكمة، وتَثّبُّت في الأقوال، والأفعال، والتوثّق من أيّ شائعة أو خبر قبل ترتيب أيّ أثر عليها، وإرجاع ذلك كلّه إلى الله ورسوله، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهَالَةٍ فَتصبِحُوا عَلَى مَا فَعَلتُم نَادِمِينَ**﴾[2].

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية: ١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

(٢) الحجرات: ٦ .

وهكذا يربّي الإسلامُ الأمّةَ على النَّفَس الطويل، والجهد البصير يقوّيهم ويثبّتهم، ويفتح بصائرهم على الأحداث؛ لتكون مواجهة كلّ حدث عملاً تربويّاً يصقل شخصيّاتهم، ويهذّب طبائعهم، ويرقّق مشاعرهم، ويجعلهم على بيّنة من أمرهم في كلّ خطوة يخطونها، وفي كلّ خبر يتلقّونه.

وتتوالى آيات الرحمن تتنزّل على رسول الله ﷺ لتزيد من صبر المؤمنين، وتربطهم بخطّ الرسالة الصاعد إلى آدم أبي البشر، وتوعّيهم أنباء الرّسل؛ لتوقفهم على سنّة الله في الخلق، وأنّ الصّراع بين الهدى والضّلال، وبين الحقّ والباطل سنّة طبيعيّة لا مفرّ منها أبداً جارية إلى يوم القيامة كما جرت في حياة الرسل عليهم السلام.

﴿فَاصبِر كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَستَعجِل لَّهُم﴾[1].

﴿اصبِر عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأذكُر عَبدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[2].

﴿فَاصبِر إِنَّ وَعدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَستَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾[3].

ثم إنَّ التكذيب الذي تعرّض له رسول الله ﷺ لم يكن جديداً في مسيرة الأنبياء، وإنما هي سنّة جارية، فلماذا يضيق المؤمنون ذرعاً بذلك، يقول تعالى: **﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَد كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَومُ إِبرَاهِيمَ وَقَومُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَديَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَملَيتُ لِلكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذتُهُم فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ﴾**[4].

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[5].

---

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) ص: ١٧.

(٣) الروم: ٦٠.

(٤) الحج: ٤٢ ـ ٤٤.

(٥) آل عمران: ١٨٤.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾(١).

فالصّراع الذي يتعرّض له المؤمنون إذن سنّة إلهيّة جارية لا تتوقف أبداً، ووعي هذه الحقيقة يجعل المؤمن مطمئن البال، فهو ليس وحده الذي عانى أو يعاني، وإنما هو حلقة من الرّتل الرساليّ الصّاعد إلى يوم القيامة.

وقد واجه رسول الله ﷺ تلك الحملات الغاشمة بقوّة لا تقهر، وطاقة لا تقاوم، ولا تصمد أمامها أيّة قوّة أخرى مهما كانت، تلك القوّة هي الارتباط بالله بصدق، وإخلاص، وتجرّد، وتوكّل عليه، ومواصلة ذكره، واستمداد العون منه، هذه الحقائق التي كان القرآن الكريم يربّي الجماعة المسلمة عليها؛ لتواجه الأحداث، والإشاعات المغرضة، والدّعايات الظالمة، باللّجوء الخالص إلى الله أوّلاً وأخيراً، يقول تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾(٢).

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾(٣).

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ﴾(٤).

ولكي يزيد المؤمنين إيماناً، ويصعّد طاقاتهم، ويرفع معنوياتهم في تحمّل ما يعانون من كيد الكافرين أكّد لهم، بأنَّ فوق كيدهم كيداً، وفوق مكرهم مكراً، وتدبير الله الذي لا يفلت منه كائد مهما أوتي من قوّة، فمهما فكّروا، وخطّطوا، ودبّروا، فإنَّ الله يرصد مكرهم، ويحبطه ويدبّر للمؤمنين، ويدير المعركة بيده

(١) الأنعام: ٣٤.
(٢) طه: ١٣٠.
(٣) ق: ٣٩ ـ ٤٠.
(٤) غافر: ٥٥.

الخفيّة، يقول تعالى:

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[2].

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾[3].

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[4].

وهكذا يأتي التأكيد الإلهيّ القاطع، بأنَّ يده تعالى مع المؤمنين يعينهم ويسدّد خطاهم، ويخذل الكافرين، ويبطل أعمالهم، فكلّما دبّروا من خطط خبيثة لعرقلة سير الحركة الإلهيّة؛ فإنَّ الله لهم بالمرصاد هذه الحقيقة (التدبير الإلهيّ) عندما يعيها المؤمنون، ويوقنون بها تتحوّل إلى قوّة دافعة، وطاقة جبّارة تتذلّل أمامها كلّ الصعاب، وترتفع روح المقاومة، والثبات عند المؤمنين، فيواصلون الكدح في سبيل الله موكّلين الأمر إليه، صابرين على تحمّل أعباء المسير قائلين: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[5].

وكما أنَّ الله يدبّر للمؤمنين أمورهم فهو معهم يمدّهم بالعون، والتسديد، والتوجيه، وإنَّ كلّ ما يلاقونه، ويعانون منه من إعراض، وبهتان، ودعايات، وإشاعات، وما يبذلونه من طاقات وجهود في مواجهتها والصبر عليها فإنَّها بعين الله، يعلم بها، ويسجّلها لهم في سجلّ أعمالهم، ويدّخرها لهم في ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[6].

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) الطارق: ١٥ ـ ١٧.

(٣) الرعد: ٤٢.

(٤) فاطر: ١٠.

(٥) آل عمران: ١٧٣.

(٦) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

﴿فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[1].

إنَّ الشعور بالمعيّة الإلهيّة هو السّلاح الذي حمله الرسل على طول مسيرة التأريخ بل هو السلاح الوحيد الذي اعتمدوا عليه دون سواه، فرسول الله ﷺ حين تُجْمِع قوى الكفر على قتله يقول لصاحبه وهو في أحرج ساعة من ساعات الزّمان: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وموسى الكليم حين يطارده جيش فرعون ليلقي به في لجّة البحر أو يستأصل شأفتهم، فلا مفرَّ لهم من ذلك، حيث البحر أمامهم، والعدوّ خلفهم، وتُدرك أصحابه حالة الضعف البشريّ، فيقولون لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، ولكنَّ موسى المؤمن بالمعيّة الإلهيّة يردّ عليهم بكلّ ثقة، وبأسلوب النفي القاطع: ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، وتحدث المعجزة، وينفرج الكرب بذلك اليقين الذي لا يشوبه شكّ، والشواهد على ذلك كثيرة، ولا داعي للمزيد.

وبعد هذا العرض السريع لشواهد المقاومة القرآنية نعود إلى المسيرة العمليّة؛ لننظر كيف حَوَّلَ رسول الله ﷺ المفاهيم النظريّة إلى حقائق علميّة؟ وكيف جعل العقيدة الإلهية كائناً متحرّكاً، تملك الإنسان، وتحرّكه حيثما تريد؟

من خلال استقراء السّيرة العمليّة للرّسول الأعظم ﷺ نجد أنّه حَوَّلَ المفاهيم إلى سلوك، والعقائد إلى قوّة مقاومة تجسّدت في الدّعاة إلى الله، وبهذا استطاع أن يواجه الإعلام المضلِّل بالخطوات الآتية:

١ ـ رَكَّزَ على بناء النواة الأولى من المؤمنين فكريّاً، وعقائديّاً، وأخلاقيّاً، وبنى شخصيات لا تهزّها العواصف، ولا تؤثّر فيها الدعايات، ففي كلّ لقاء ينوّر نفوسهم بأنوار السّماء بشكل متواصل ممّا جعلهم يتفانون في الدّفاع عن رسالته المقدّسة، ويقفون موقفاً صلباً إزاء أقرب المقربين إليهم من عشائرهم وعوائلهم بل من آبائهم وأمهاتهم، يزوّدهم بالطاقة الروحيّة، والفكريّة، ويجرّدهم عن كلّ العلائق الماديّة، ويمدّ أبصارهم، ويصقل بصائرهم؛ لتتعلّق بالله وحده فقط.

---

(١) الطور: ٤٨ ـ ٤٩.

يقول الخبّاب: «أتيتُ النّبيّ ﷺ وهو متوسّد ببردة، وهو في ظلّ الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدّة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه، فقال: **قد كان من كان قبلكم ليُمْشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصَب، ما يَصْرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مَفْرق رأسه، فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، ولَيُتِمَنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسير الرّاكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله عزَّ وجلّ والذئب على غنمه**»[١].

هكذا كان يربّي أصحابه على الثّقة بالله، والاطمئنان لوعده، والتّسليم لأمره، واليقين بنصره... ومن كان كذلك فكيف تؤثّر فيه مقالة مغرض، أو دعاية حاقد.

٢ ـ كان ﷺ يردّ على تحدّيات المضلّلين بالدليل العقليّ، والبرهان المنطقيّ لكلّ فِرْية تطلق، وكان يحاجج قريش، ويظهر عيّهم، وعجز كبرائهم أمام الملأ، وبذلك ازداد هيبةً، وعمقاً، ونفوذاً، وإكباراً في النّفوس، يقول ابن إسحاق:

«وجلس رسول الله ﷺ يوماً ـ فيما بلغني ـ مع الوليد بن المُغيرة في المسجد، فجاء النّضر بن الحارث حتى جلس معهم في المجلس، وفي المجلس غيرُ واحدٍ من رجال قريش، فتكلَّم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث، فكلَّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثمّ تلا عليه وعليهم: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ**﴾[٢]...

ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزّبعرى السهمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزّبعرى: والله ما قام النضرُ بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمّد أنّا وما نعبد من آلهتنا هذه حَصَب جهنّم؛ فقال عبد الله بن الزّبعرى: أما والله لو وجدته لخَصَمْته، فسلوا محمّداً: أكلُّ ما

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية: ١/ ٤٩٦ .

(٢) الأنبياء: ٩٨ ـ ١٠٠ .

يُعبد من دون الله في جهنّم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عُزيراً، والنّصارى تعبد عيسى بن مريم عليه السلام، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزّبعرى، ورأوا أنَّه قد اُحتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قول ابن الزّبعرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **[إنَّ] كلّ من أحبّ أن يُعبَد من دون الله فهو مع من عبده، إنَّهم إنّما يعبدون الشّياطين، ومن أمرتهم بعبادته، فأنزل الله عليه في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾**[1]»[2].

وأينما حلَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعرّض له سادة قريش علّهم يجدون مثلبةً يرمونه بها، ويفحمونه؛ ليتّخذوه ذريعةً للتشنيع، ولكنَّ الله تعالى يسدّده، ويؤيّده، وينزل الآيات؛ لتفضح الأكاذيب، وتردّ الافتراءات، ومن أمثال ذلك:

بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ويواصل تحرّكه وإذا أُبيّ بن خلف يمشي إليه وبيده عظم بالٍ قد ارْفتَّ[3]، فقال: «يا محمّد، أنت تزعم أنَّ الله يبعث هذا بعد أن أرمّ[4]» ثم فتَّه في يده، ثم نفخه في الرّيح نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**نعم، أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإيّاك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النّار**»[5]، فأنزل الله تعالى فيه: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾**[6].

٣ ـ رفض كلّ عروض قريش ومداهناتها ومساوماتها على دينه، ولو في أصغر شيء، بل وقف موقفاً حدّيّاً من هؤلاء الطغاة في كلّ ما حاولوا معه من التنازل

---

(١) الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

(٣) ارفتَّ: تحطّم وتكسّر.

(٤) أرم: بلى.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٦) يس: ٧٨ ـ ٨٠ .

عن دينه، وهكذا في كلّ زمان يساوم الطّغاةُ الدّعاةَ، ولكنَّ رسالة الله لا تقبل المساومة أبداً أبداً، ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾[1].

فقد عرضوا عليه أن يتنازل عن دينه ولو إلى مدّة مقابل تنازلهم، وأن يعبد معهم آلهتهم لمدّة مقابل أن يعبدوا الله معه لمدّة أيضاً، وهي خطّة حمقى لا تفهم روح العقيدة الإلهيّة، وأنَّها لا تقبل التراجع لا في قليل ولا في كثير، ومن هذه المساومات ما عرضه بعض زعماء مكّة عليه ﷺ وهو يطوف في الكعبة، اعترضه الأسود بن المطلّب بن أسد بن عبد العزّى، والوليد بن المغيرة، وأميّة بن خَلَف، والعاص بن وائل السهميّ، وكانوا ذوي أسنان في قومهم، فقالوا: «يا محمد، هلمّ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الّذي تعبد خيراً مما نعبد، كنّا قد أخذنا بحظّنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً ممّا تعبد، كنتَ قد أخذتَ بحظّك منه»[2]، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[3].

٤ ـ إرسال الدّعاة إلى أنحاء الجزيرة العربية؛ ليبلّغوا رسالة الله في النّاس، وينشروا تعاليم السماء في كلّ مكان، وفعلاً قد نجحت تلك الخطّة نجاحاً باهراً، فدخلت في الإسلام أفواجٌ كثيرةٌ، وهكذا تحوَّلَ إلى تيّار جارف في كلّ مكان، وارتفعت كلمة التّوحيد حيثما حلَّ الدعاة إلى الله تعالى، فقد أرسل مصعب بن عمير إلى المدينة المنوّرة، وواصل تعليم الثلّة الإسلاميّة القليلة في الوقت الذي واصل دعوة النّاس إلى الإسلام حتى أدخل كلمة التّوحيد في كلّ بيت من بيوتها[4].

---

(١) القلم: ٩ .

(٢) ابن هشام، السيرة النبويّة: ١/ ٣٨٨ .

(٣) الكافرون: ١ ـ ٦ .

(٤) ينظر: ابن كثير، السيرة النبوية: ٢/ ١٨٠ .

وأرسل أبا ذر الغفاريّ إلى قبيلة بني غفار؛ ليبلغ عنه، ويهدي النّاس إلى الإسلام، قال ﷺ لأبي ذر بعد أن أسلم: «**فهل أنت مبلّغٌ عنّي قومك، لعلَّ الله ينفعهم بك، ويأجرك فيهم؟**»، ورجع أبو ذر إلى قومه، ودعاهم إلى الله، فأسلم على يده رجال ونساء كثيرون، وهيّأ الأجواء لقدوم رسول الله ﷺ حتّى وصلهم، فيقول لهم: «**غفّار غفر الله لها**»[1].

٥ ـ وكان ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب القادمة لحجّ بيت الله تعالى، يدعوهم إلى الإسلام، ويردّ على افتراءات قريش، وهم يتابعونه، ويحثّون التراب عليه، ويوهنون به فلا يزيده ذلك إلا إصراراً ومضيّاً على تبليغ رسالته، يقول ابن إسحاق: «فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم، إذا كانت، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، ويخبرهم أنَّه نبيٌّ مرسل، ويسألهم أن يصدِّقوه ويمنعوه حتى يبيِّن عن الله ما بعثه به»[2].

وروى البيهقيّ، عن محمّد بن عبد الله الأنصاريّ، عن محمّد بن عمرو، عن محمّد بن المُنْكَدر، عن ربيعة الدِّيلي: «رأيتُ رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع النّاس في منازلهم يدعوهم إلى الله، ووراءه رجل أحول تَقِد وَجْنتاه، وهو يقول: أيّها الناس لا يغرَّنَّكم هذا عن دينكم ودين آبائكم، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا أبو لهب»[3].

وهكذا استطاع ﷺ أن يقاوم الإعلام القرشيّ بمواصلة الدّعوة والالتقاء بالنّاس، وبيان حقيقة الدعوة الإلهيّة إلى أن كبَّت الله قريشاً، ونصره، وأظهر دينه.

وأساليب المقاومة التي اتّبعها رسول الله ﷺ كثيرة لا نستطيع أن نستقصيها في هذه السطور، فنكتفي بذلك.

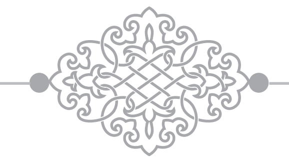
---

(١) المصدر السابق: ١/ ٤٥١ .

(٢) المصدر السابق نفسه: ٢/ ١٥٥ .

(٣) المصدر السابق نفسه: ٢/ ١٥٦ .

الحركة الإسلاميّة والإعلام اليوم



وكما واجه الأنبياء والرُّسل وأوصياؤهم تلك الحملات الظالمة يواجه اليوم أتباعهم وشيعتهم ما هو أعتى وأشدّ من التشويه، والتشكيك، وقلب الحقائق، والمسميّات، والافتراءات، والتّهم من مختلف طواغيت العالم، وذيولهم، لا سيّما بعد تطوّر وسائل الاتّصال، وسرعة الإيصال والنّشر، ولا نبالغ إذا قلنا: إنَّ ما تواجهه الحركة الإسلاميّة العالميّة اليوم من الدعاية والإعلام المضلّل ما هو أفظع وأشدّ ممّا كان، بعد أن أصبح مخطّطاً له وفق مناهج نفسيّة واجتماعيّة، وموجّهاً بدقّة متناهية، وبعد أن أصبح أعداء الإسلام يرصدون حركة الإسلام في كلّ مكان، ويتابعون كلّ تفصيلات أوضاعهم، بل يحاولون أن يغوروا إلى أعماق نفوسهم؛ ليعرفوا أسرارهم، ومشاعرهم، وطريقة تفكيرهم؛ ليهتدوا إلى مداخلهم، ويتلاعبوا بهم كيف شاؤوا؛ ولهذا فالمَهمّة الملقاة اليوم على الواعين من أبناء الأمة الإسلامية من علماء ومثقفين هي أكبر ممّا كانت، وإن كان ما يحدث هو امتداد لما حدث، والطّغاة هم الطّغاة إلا أنَّ أعداء الإسلام اليوم ضمّوا إلى خُبراتهم خُبرات السّابقين، فخرجوا بحصيلة أضخم وأخطر، فعندما نتابع الإعلام الاستكباريّ اليوم نجده يستعمل أسلوب التمويه، والطعن غير المباشر بل «يدسّ السمّ في العسل»؛ لكي لا يثير حفيظة الأمّة، بل يحاول أن يستغفلها، فيطعن دينها من خلال طعن دعاتها برميهم بكلّ فِرْية كالإرهاب، والفوضى،

والغوغائيّة، والرجعيّة، والتخلّف... وما إلى ذلك من ألفاظ تشويهيّة اعتادوا أن يطلقوها على المجاهدين؛ ليخلقوا العزلة النفسيّة بينهم وبين الأمّة، وليعطي صورة معكوسة عن حقيقة مبادئهم وأهدافهم، وقد يتبع أسلوب التبني، فإذا أراد إسقاط مفكّر إسلامي أو داعية نشط راح يشيد به ويرفعه؛ ليوحي بأنَّه عميل له، أو متعاون معه، وبذلك يثير الشكّ حوله، ويودع القلوب حساسيّة ضدّه.

وما يجري اليوم في المناطق السّاخنة من العالم الإسلامي من صراع دامٍ بين الإسلام والكفر شاهدٌ حيٌّ على ما نقول، فالمعركة القائمة الآن في الجزائر، ومصر، والسّودان، والعراق، ولبنان، والبوسنة والهرسك، وفي أفغانستان، والهند، والصراع المذهبيّ في باكستان وكشمير كلّها معارك بين الحقّ والباطل، ودور الإعلام ظاهر في توجيه الأحداث، وتفسيرها بصورة مقبولة، ويتدخّل بشكل مباشر، أو غير مباشر؛ ليدير المعركة بما يخدم مصالحه، ويحقّق أهدافه، ويصادر ثورات المؤمنين، ويضعها في أيدي عملائه وأذنابه، فتراه يرفع صعلوكاً، ويضع بطلاً، ولهذا فللإعلام دورٌ فاعلٌ في فشل كثير من الثّورات والحركات الإسلاميّة، حيث شوّه حقيقتها، واستغفل الأمّة المغلوب على أمرها.

من هنا يتبيّن لنا ثقل المسؤوليّة الملقاة على عاتق العلماء الواعين المتصدّين للعمل الإسلامي في كلّ مكان سواء كانوا مراجع تقليد، أو أساتذة في الحوزات العلمية، أو في الجامعات الرسميّة، أو أئمة جماعات، أو أئمة جمعة، أو كتّاب، ومحاضرين، وخطباء... وما يجب عليهم أن يبذلوه من تتبّع لما يذاع أو ينشر حول الإسلام وبيان حقيقته، كما يجب عليهم أن يعملوا جاهدين في إعداد (كوادر) رساليّة تتحمّل أعباء الدّعوة إلى الله؛ لينتقلوا بالإسلام من مرحلة الدّفاع إلى مرحلة الهجوم.

إنَّ أهمّ ما يجب أن يقوم به الدّعاة إلى الله اليوم هو توعية الأمّة بحقيقة دينها الحنيف، ويصحّحوا المفاهيم المعكوسة عن الإسلام التي روّجها المستشرقون،

والمبشّرون المسيحيّون، وتلاميذ الغرب ممن تربّوا في مجامعه العلميّة، وأصبحت لهم قوّة وقدرة في تشويه الحقائق ونشر الأراجيف مع ما زوَّدهم به من إمكانات ماديّة وسياسيّة وإعلاميّة، فنصّبهم في مراكز القرار أو وضعهم في المراكز التربويّة والتعليميّة الحسّاسة ابتداءً من المدارس الابتدائيّة، ومروراً بالمدارس الثانويّة، وانتهاءً بالمعاهد العالية والجامعات؛ ليخرّجوا أفواجاً من أبناء أمتنا ممن شوّهت أفكارهم، وعبئت عقولهم بالأفكار والنظريّات الماديّة الملحدة كنظريّة دارون، وفرويد، وماركس، ونيتشه، جاء في كتاب بروتوكولات حكماء الصّهيون: «لا تتصوّروا أنَّ تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أنّ نجاح دارون Darwin، وماركس Marx، ونيتشه Nietsche، قد رتّبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقيّ لاتّجاهات هذه العلوم في الفكر الأمميّ (غير اليهوديّ) سيكون واضحاً لنا على التأكيد»[١].

وجاء في الكتاب نفسه: «ولقد خَدَعْنا الجيل الناشئ من الأمميّين، وجعلناه فاسداً متعفّناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التّام، ولكنّنا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعليّ للقوانين السّارية من قبل، بل بتحريفها في بساطة، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشتروعها»[٢].

وجاء أيضاً في البروتوكول الثّالث عشر: «ولهذا السّبب سنحاول أن نوجّه العقل العام نحو كلّ نوع من النّظريّات المبهرجة Fantastic التي يمكن أن تبدو تقدّميّة أو تحرّريّة. لقد نجحنا نجاحاً كاملاً بنظريّاتنا على التقدّم في تحويل رؤوس الأمميّين الفارغة من العقل نحو الاشتراكيّة. ولا يوجد عقل واحدٌ بين الأمميّين يستطيع أن يلاحظ أنَّه في كلّ حالة وراء كلمة «التقدّم» يختفي ضلال وزيغ عن الحقّ»[٣].

---

(١) محمد خليفة التونسي، الخطر اليهوديّ: ١١٣، البروتوكول الثاني.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٣، البروتوكول التاسع.

(٣) المصدر نفسه: ١٥١، البروتوكول الثالث عشر.

والأخطر من ذلك أنَّ الحملات الإعلاميّة تظهر بمظهر المدافع عن الإسلام والحامي له بعناوين برَّاقة، وتستغلّ من أعدّتهم لذلك بأسماء، وعناوين إسلاميّة مزيّفة، ولربما ممّن عاشوا في المراكز الدينيّة الهامّة؛ لتبثّ بأقلامهم المسمومة سمومَها إلى عقل الأمّة، وتتلاعب في أفكارها، وتستغلّ عواطف الأمّة للتوصّل إلى إضلالها، وقاعدتهم في ذلك تقول: «تجريد الشّعب من السّلاح في هذه الأيام أعظم أهميّة من دفعه إلى الحرب، وأهمّ من ذلك أن نستعمل العواطف المتأجّجة في أغراضنا بدلاً من إخمادها، وأن نشجّع أفكار الآخرين، ونستخدمها في أغراضنا بدلاً من محوها»[1].

وليس بعيداً عنّا ما يكتبه أعداء الإسلام بأقلام تدّعي الإسلام، وتنتسب إليه زوراً، تبثّ السموم؛ لتمزّق الأمة، وتفتّت وحدتها، وتشغلها بنفسها عن صدّ كيد أعدائها، ولا عجب إذا اسْتُغِلَّ موسى الموسوي العميل الأميركي الخبيث الذي ينتسب (زوراً) إلى أحد المراجع العظام في النجف الأشرف؛ ليطعن العقائد الإسلاميّة الحقّة بعنوان مزخرف ظاهره التّصحيح، وباطنه الطعن والتحريف[2].

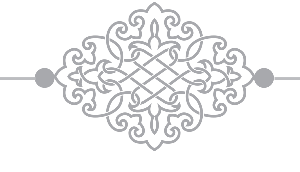
بعد هذا يتضح لنا أنَّ (الكادر الإسلامي) اليوم لا بدَّ وأن يكون على مستوى رفيع في الإيمان، والعلم، والمعرفة بما يحيط بالأمّة الإسلامية من ظروف وملابسات، وما يدبّره أعداؤها من مؤامرات خبيثة ومسمومة، وأن يعرف أسلحة العدوّ وخططه، وأساليبه وفق قاعدة «اعرف عدوّك»؛ لتحترس منه.

---

(١) المصدر السابق: ١٢٣، البروتوكول الخامس.

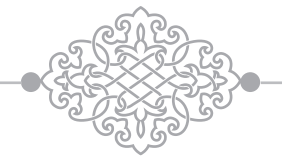
(٢) راجع كتاب (الرّأي الصريح في حقيقة الوجه القبيح) (مخطوط) لمؤلف كتاب (الشّيعة والتّصحيح) للشّهيد عبد الله الموسوي، وقد رَدَّ فيه على هذا المعمّم المنحرف، علماً أنَّ كتاب موسى الموسوي طبع في زمان صدّام، وقد أثنى صدام عليه، ووصفه بأنّه الإسلام الصحيح.

الفصل الخامس



رجال العلاقات

الشروط الواجب توفّرها
في رجل العلاقات الإسلاميّة



من المعروف اليوم لدى الدّول، والمؤسّسات، والشّركات، والمصانع، والجامعات، والأحزاب، والجمعيّات أنَّها تختار أمهر رجال العلاقات؛ لكي تمدّ جسورها إلى الجمهور، ولهذا فتحت في الجامعات والمعاهد فروعاً ـ ولربما خصّصوا لذلك جامعات ومعاهد ـ ليُخَرِّجوا رجالاً متخصّصين وخبراء في العلاقات بمختلف فروعها.

والحركة الإسلاميّة اليوم وسط هذه الأمواج المتلاطمة من وسائل الإعلام لا بدَّ وأن يكون لها أمّة من الناس يواصلون بثّ علومها؛ لتوجيه النّاس نحو مبادئها وأحكامها، ويردّون الشّبهات عنها، وهذا ليس بالأمر اليسير، وإنّما يحتاج إلى تظافر جهود متواصلة؛ لتخريج أعدادٍ كبيرة من الكُتَّاب، والخطباء، والفنّانين، والإذاعيّين، وخبراء السياسة والاجتماع، وعلم النفس، إضافةً إلى تضلّعهم من العلوم الإسلاميّة؛ ليمارسوا مدّ الجسور الإيمانيّة وسط الجمهور المحليّ والعالميّ كلّ من موقعه، ولا بدَّ أن تتوفر في هؤلاء الرجال مواصفات إسلاميّة خاصّة كي يكونوا صالحين؛ لتبليغ رسالة الله تعالى، ومن تلك الصّفات:

١ـ أن يكون مستوعباً لأصول العقائد الإسلاميّة، فهي القاعدة والأساس للتصوّر الإسلامي منها ينطلق، وعليها يبني تصوّراته نحو الكون والحياة؛ ولهذا

يجب أن يكون متسلّحاً بالأدلّة العقليّة والمنطقيّة التي تثبت صحّة اعتقاده؛ ليكون قادراً على الدّفاع عنها والهجوم بها، بل يجب أن تسيطر على مشاعره، وأحاسيسه، وسلوكه، وتصرّفاته، منها يصدر، وإليها يرجع.

٢ـ أن يكون متفقّهاً بدينه، مستوعباً لأحكامه الشرعيّة، ولا سيّما في الجوانب المتعلّقة بمعاملة الناس كالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وأساليب الهداية والإرشاد، وآداب التعلّم والتعليم، عارفاً متّصفاً بالآداب الإسلاميّة في فنّ معاشرة الناس، يقول رسول الله ﷺ: «**أمرني ربّي بمداراة النّاس كما أمرني بأداء الفرائض**»[١].

ويقول ﷺ: «**أمِرْتُ بمداراة النّاس كما أمرت بالصلاة المفروضة**»[٢].

ويقول ﷺ: «**أمِرْتُ بمداراة الناس كما أمِرْتُ بتبليغ الرّسالة**»[٣].

٣ـ أن يكون القدوة والأنموذج الذي يجسّد مبادئ الإسلام في أفعاله قبل أقواله، صادقاً في القول والعمل مع الله، ومع النّاس، ومع نفسه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**عليك بتقوى الله، والورع، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الخُلق، وحسن الجوار، وكونوا دعاةً إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً**»[٤].

ويقول عليه السلام: «**كونوا دعاة للنّاس بغير ألسنتكم؛ ليروا منكم الورع، والاجتهاد، والصلاة، والخير؛ فإنَّ ذلك داعية**»[٥].

٤ـ أن يكون متجرّداً لله في علاقاته مع الآخرين، هادفاً بيان الحقيقة للنّاس

---

(١) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي: ٢/ ١١٧.
(٢) العجلوني، كشف الخفاء: ١/ ٣٩٩.
(٣) ابن شعبة الحرانيّ، تحف العقول: ٤٨.
(٤) الأصول من الكافي: ٢/ ٧٧.
(٥) المصدر نفسه: ٢/ ٧٨.

لله وفي الله من دون مطمع ماديّ، أو غرض شخصيّ متجنّباً التبجّح والمباهاة لغرض كسب السّمعة والشّهرة، وحبّ التّظاهر، والإعجاب بالنفس، بل «يكره الرِّفعة، ويشنأ السُّمعة»[1]، مسيطراً على نزعاته النفسيّة الدافعة إلى ذلك، مراقباً لنفسه من حيث الدوافع، والرغبات، والميول محاسباً لها على كلّ هفوة صغيرة أو كبيرة.

٥ ـ وأن يكون على بيّنة من أمره، متثبّتاً، عارفاً أين يضع أقدامه، وبعبارة أخرى: أن يتمتع بعقليّة تخطيطيّة، متأمّلاً، واعياً لكلّ ما يريد أن يقوله ويفعله، متجنّباً الارتجال والعفويّة، يقول رسول الله ﷺ: «**إذا أنتَ هممتَ بأمر فتدبّر عاقبته، فإن يكُ رشداً فأمضِهِ، وإن يكُ غيّاً فانتهِ عنه**»[2].

وعنه ﷺ: «**من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح**»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «**العامل على غير بصيرة كالسّائر على غير الطّريق لا يزيده سرعة السّير إلا بعداً**»[4].

من هنا يتّضح أنَّ رجل العلاقات المسلم يجب أن يكون عمله مبنيّاً على أساس خطّة واضحة المعالم والأهداف، ممرحلة الخطى، تتدرّج من عمليّة تعارف أوليّة، ثم توثّق العلاقات الأخلاقيّة بدون تصنّع، ولا تكلّف، ولا تملّق، ومن خلال ذلك تدرس الجهة أو الشخص الذي يراد بناء العلاقة معه، وبعد ذلك يدخل مرحلة علاج المشاكل الفكريّة، والسياسيّة، والأخلاقيّة، ثم ينتقل إلى مرحلة البناء الفكريّ، والروحيّ، والأخلاقيّ.

هنا لا بدّ أن نشير إلى أنَّ الخطة العمليّة يجب أن تراعي الأولويّات الأهمّ ثم

---

(١) المصدر السابق: ٢/ ٢٢٧.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١١/ ٢٢٣.

(٣) الأصول من الكافي: ١/ ٤٤.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٣.

الهامّ، وأن تبدأ بالأمور المسلّم بحاجتها للجمهور، ثم يتدرّج في عطائه ومعالجاته حتى يتمَّ تحقيق ما يهدف، ويحبّذ أن تعتمد الخطّة على الاتّصال المباشر أو على أيّة وسيلة مباشرة حسب الظروف والحاجة.

٦ ـ أن يكون يقظاً، فطناً، عارفاً، بما يدور حوله في الساحة المحليّة والدوليّة جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**رحم الله من حفظ لسانه، وعرف زمانه، واستقامت طريقته**»(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من نام عن عدوّه أنبهته (نبّهته) المكايد**»(٢).

وأن يكون متتبّعاً للأحداث السياسيّة والاجتماعيّة المؤثّرة في سير الحركة الإسلاميّة محلّلاً لها، متريّثاً، ومتأنّياً في تحليله؛ لئلا تأتي النتائج مخالفة للواقع، ويفقد ثقة الجمهور، موظّفاً تلك التحليلات لخدمة الإسلام بقدر استطاعته.

٧ ـ ولا بدّ أن يكون أديباً في نقده، متجنّباً التجريح والتوهين، بل (يوضح ما استطاع بالموضوعيّة والرقميّة والمنطق في نقده هذا)، وإذا ما اضطرّ للتجريح والإفحام فبأعداء الله الذين لا ينفع معهم نصح، ولا وعظ، ولا تهذيب، بل أصبحوا جرثومة خطرة على جسم الأمّة، يقول رسول الله ﷺ: «**اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره النّاس**»(٣).

وفي رواية أخرى: «**قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره النّاس**»(٤).

٨ ـ أن يتمتّع بأفق واسع، وصدر رحب، يحتمل المعارضة، ويمتصّ النّقمة، ويحسب لكلّ أمر حسابه على المدى البعيد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**آلة الرّياسة سعة الصّدر**»(٥)، ويقول عليه السلام: «**إذا أمضيتَ أمراً فأمضِهِ بعد الرَّوِيَّةِ**

(١) المتّقي الهندي، كنز العمال: ٣/ ٣٥٢، ح/ ٦٨٩٤ .

(٢) الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٣٤، ح/ ٧٦٨٧ .

(٣) جلال الدّين السّيوطي، الجامع الصّغير: ١/ ٢٢ ، ح/ ١٠٩ وزبدة البيان للمحقّق الأردبيليّ: ٤١٨ .

(٤) النراقيّ، مستند الشّيعة: ١٤/ ١٦٥ .

(٥) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٤٢، ح/ ٧٨٢٥ .

ومراجعة المشورة»[1].

٩ ـ وأن يكون له القدرة على تقييم الأشخاص، والأفكار، والأحداث مراعياً الوضع النفسيّ، والذوقيّ، والمزاجي للأشخاص المخاطَبين، وأن ينظر إلى النّاس نظرة شموليّة من جميع الجوانب، فمن الخطأ جدّاً أن ننظر إلى الإنسان (أيّ إنسان) من زاوية واحدة، بل يجب أن ننظر إليه من زوايا متعدّدة كفردٍ وعضوٍ في أسرة، وعاملٍ في المجتمع، وأن نلاحظ جميع جوانبه النفسيّة، والفكريّة، والثقافيّة، والأخلاقيّة، والبدنيّة، ونفتّش عن نقاط القوة؛ لنرفعها ونجعل منها قوّة تغيير في المجتمع نحو الأفضل، ونفتّش عن نقاط الضّعف؛ لنعالجها بدقّة، وتحفّظ، ورعاية تامّة، وهذا يساعدنا كثيراً لأن نضع الشّخص المناسب في المكان المناسب، فليس كلّ الناس يصلحون لكلّ عمل ولكلّ خدمة؛ لأنَّ لكلّ شخصٍ ذوقَه، وميولَه، ومواهبَه، ومزاجَه، وثقافتَه، وظروفَه، وعاداتِه، وتقاليدَه، وكلّ هذه الأمور حَرِيَّةٌ بالملاحظة والدّراسة عند إرادة التقييم.

وفي العلاقات الاجتماعيّة من الضروريّ جدّاً فهم أفكار الآخرين وتوجّهاتهم، وتَفَحّصها جيّداً، وإقرار النافع منها، ولفظ الضّار، وهذا الفهم ينفع كثيراً في دراسة الآخرين، وتقييمهم وإصدار الأحكام عليهم؛ ولهذا ليس من الصحيح أن نستنكر على الآخرين عاداتهم وتقاليدهم عند أول لقاء؛ فإنَّ ذلك يؤدّي إلى موقف سلبيّ مفاجئ، وإذا كنّا نهدف تغيير ذلك فلا بدّ من التدرّج بعد توثيق العلاقة، وكسب الثّقة، وطرح البديل المناسب من دون إلحاح وتسرّع؛ (فإنّ العادة طبع ثانٍ) كما يقال، وتغييرها يحتاج إلى وقت طويل.

١٠ـ وأن يكون حكيماً في مواجهة الإشاعات والدّعايات المغرضة؛ فإنَّ مواجهة الحملات الإعلاميّة المضادّة تقتضي الحكمة، والتروّي، وتقدير الموقف المناسب حسب الظروف والملابسات، وقبل كلّ شيء ملاحظة التكليف الشرعيّ

---

(١) المصدر السابق: ٥٧، ح/ ٥٦٦ .

اللازم الاتّباع والتطبيق، فليس من الحكمة أن نردّ على كلّ دعاية وإشاعة، فقد يؤدّي الردّ إلى توسيع انتشارها، وقد يكون الهدف منها خلق بلبلة في الشارع الإسلاميّ؛ لإشغال العاملين الإسلاميّين بالأمور الهامشيّة، وصرفهم عن عملهم الأصليّ، وهو توعية جمهور المسلمين بدينهم، فمثل هذه الإشاعات ينبغي إهمالها، وتجاوزها بالصّمت والإعراض، وردّها بالعمل الجادّ المثمر.

وقد تكون الدّعاية والإشاعة تستهدف تأصيل مفهوم مخالف لشرعة الله أو ترويج فكرة مسمومة يقصد من ورائها الطّعن والتّوهين بالعقيدة الإسلامية، وهنا يحتم الواجب علينا بيان الحقيقة، والردّ المباشر على جهة الدعاية، وقد تقتضي الحكمة بيان الحقيقة المقابلة تجاه تلك الإشاعة من دون الإشارة إلى جهتها.

١١ـ وأن يكون أميناً على حفظ أسرار الآخرين، فلا يفشي ما يؤدّي إلى إهانة الآخرين، أو التقليل من شأنهم، أو الإضرار بهم، وعدّ الإسلام ما يدور في المجالس أمانة لا يجوز إفشاء أسرارها إلا ما يؤدّي كتمانه إلى حرام، وقد جاء في وسائل الشيعة عنوان: «باب أنَّ من جالس أحداً فائتمنه على حديث لم يجز له أن يحدّث به إلاّ بإذنه، إلا ثقة أو ذكراً له بخير أو شهادة على فعل حرام بشروطها»[١].

فعن جابر بن عبد الله قال: «قال رسول الله ﷺ: **المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس سُفِكَ فيه دم حرام، ومجلس استحلّ فيه فرج حرام، ومجلس استحلّ فيه مال حرام بغير حقّه**»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله ﷺ: المجالس بالأمانة، ولا يحلّ لمؤمن أن يَأْثُرَ**[٣] **عن مؤمن ـ أو قال: عن أخيه**

(١) وسائل الشيعة: ٨/ ٤٧١.

(٢) الشيخ الطوسي، كتاب الأمالي: ٩٣.

(٣) أثر الحديث: نقله ورواه عن غيره.

المؤمن ـ قبيحاً»[1].

وفي حديث آخر عن نصر بن صاعد مولى أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **مذيعُ السرِّ شاكٌّ، وقائله عند غير أهله كافرٌ، ومن تمسّك بالعروة الوثقى فهو ناجٍ**، قلت: ما هو؟ قال: **التسليم**»[2].

ولا شكّ أنَّ الذي يفشي أسرار من يأتمنه لا بدّ وأن تُفْشَى أسراره، ولحفظ أسرار الآخرين أثر كبير في تقوية العلاقات الاجتماعيّة؛ لأنَّ الرجل إذا كان كتوماً، أميناً، مراعياً لمصالح الآخرين، حافظاً لكرامتهم فإنَّه يصبح محلّ ثقتهم، ومن نال ثقة الآخرين فقد كسب قلوبهم إليه، وهذا من أعظم المكاسب الاجتماعيّة التي يسعى إليها العقلاء.

١٢ـ أن يتمتَّع بقدرة جيّدة على الإصغاء لحديث جليسه، وقد تحدّثنا عن ذلك فيما سبق.

١٣ـ أن يتّصف بالاتّزان والنّضوج الانفعالي في مواجهة الاستفزازات والمعارضات من قبل الناس، فليس هناك أخطر على بناء العلاقات من سرعة الانفعال، وشدّته؛ فإنَّ الانفعال الشديد قد يفقد الإنسان اتّزانه، أو يخرجه عن طوره، ويجعله متسرعاً في إصدار أحكامه، ثم يندم عليها بعد ذلك؛ لهذا مدح الله الذين يكظمون غيظهم، ووصفهم بأنَّهم هم المتّقون، وأوعدهم جنّة عرضها السّماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3].

وهذا لا يعني أن يكون الإنسانُ بليداً لا يُثار أبداً؛ فإنَّ هذا الأمر غير ممكن،

(١) المصدر السابق: ٨٢٩ .
(٢) الأصول من الكافي: ٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢.
(٣) آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤ .

فإنَّ الانفعال حالة وجدانيّة عنيفة يصحبها اضطراب داخليٌّ، فقد يواجه المرء في حياته اليوميّة حالات مثيرة جدّاً، وليس من الصحيح أن يجمد أمامها، أو يغلق منافذ إحساسه، وليس من الصحيح أن يهتاج هياجاً يفقده صوابه، أو يتشنّج بدرجة لا يعرف كيف يردّ على الشخص المقابل، وإنّما الصحيح أن يواجه تلك الحالات بهدوء وثبات، ويردّ بالّتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[1].

إذاً الاتّـزان الانفعـاليّ ضـرورة هامّـة في تكويـن العلاقـات، ونجاحهـا، واستمراريّتها، وما لم يتصف بها رجل العلاقات فإنَّه يتعرّض لأزمات نفسيّة تحبط كلّ أعماله.

ونقصد بالاتّزان الانفعاليّ: أن يواجه الإنسان الحالات السلبيّة بموقف إيجابيّ، بتعقّل، وهدوء، واتّزان، بلا هياج، ولا جمود، وهذا الأمر لا يتحقّق للإنسان إذا لم يمتلك قوّة روحيّة منبثقة من تطلّعه إلى آفاق أعلى وأوسع من آفاق الذّات الشخصيّة، ولأجل هذا نرى سيّد السّاجدين يتوسّل إلى الله تعالى لأجل أن يزيّنه بتلك الخصلة الجميلة في ضراعة وخشوع، يقول عليه السلام: «**اللهُمَّ صلّ على محمّد وآله، وحلّني بحلية الصّالحين، وألبسني زينة المتّقين في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النّائرة، وضمِّ أهل الفِرقة، وإصلاح ذات البَيْن**»[2].

١٤ـ أن يكون نشطاً ذا همّة عالية، له رغبة خالصة لتقديم الخدمات الاجتماعيّة بحيث يشعر بالسّرور والسّعادة حين يوفّقه الله تعالى؛ لتقديم خدمة لأحد من الناس[3]، متفقّداً لإخوانه ومجتمعه، فيعود المريض، ويساعد المحتاج، ويواسي المنكوب، ولو بكلمة طيّبة، دون تفرقة بين النّاس، الغنيّ والفقير، والقريب

(١) فصّلت: ٣٤.

(٢) الصحيفة السّجاديّة: دعاء ٢٠، دعاء مكارم الأخلاق.

(٣) يقول الإمام الخمينيّ في وصية لولده أحمد: (علينا أن لا نرى أنفسنا ـ أبداً ـ دائنين لخلق الله عندما نخدمهم، بل هم الذين يمنّون علينا حقّاً؛ لكونهم وسيلة لخدمة الله جلّ وعلا)، موعد اللّقاء: ١٣٠.

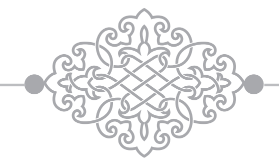
والبعيد، فقد كان رسول الله ﷺ (يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبرّ لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه... لا يحتقر مسكيناً لفقره، أو زمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاءً مستوياً)[١].

١٥ـ أن يتّصف بالرّحمة واللّين، يعفو ويصفح، ويتغافل عمّا لا يروق له، ولا يستطيع إصلاحه، وهكذا كانت أخلاق الرسول الأعظم ﷺ (قد وسع النّاس منه خلقه فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الخلق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء، وصدق وأمانة، ولا ترفع فيه الأصوات، ولا توبن فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته، متعادلين متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقّرون الكبير، ويرحمون الصّغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب)[٢].

فالرَّحمة صفة إلهيّة لها خاصيّة عظيمة في جذب القلوب، منحها الله لخلّص عباده، وهي السبب المهمّ في اجتماع الناس حول رسول الله ﷺ وانشدادهم إليه، يقول تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾**[٣].

(١) العلامة الطباطبائي، سنن النبي ﷺ: ٣٧ ـ ٣٨.
(٢) المصدر نفسه: ١٦ ـ ١٧.
(٣) آل عمران: ١٥٩.

برمجة العلاقات الإسلاميّة



الإسلام رسالة عالميّة عامّة، لا تنحصر في إطار الزّمان والمكان والجنس إنّما هي لكلّ زمان، ولكلّ مكان، ولكلّ إنسان، يقول تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[3].

وجاء في الحديث الشريف: «**حلال محمّد حلالٌ أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرامٌ أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره**»[4].

ومن أجل هذا بُذلت جهود جبّارة، وأُريقت دماء زكيّة من دعاة الله وعلى مختلف مستوياتهم؛ رسلاً، وأنبياء، وأوصياء، وعلماء، ومجاهدين، بلا حصر ولا عدد كلّ ذلك من أجل تبليغ رسالة الله إلى النّاس كافّة، ولا يزال هذا الأمر سارياً، والصّراع مستمراً، ولن يتوقّف.

(١) الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) سبأ: ٢٨ .

(٣) الفرقان: ١ .

(٤) الأصول من الكافي: ١/ ٥٨ .

وبما أن الدّعوة، والتّبليغ، والهداية، والإرشاد وسيلة لا غاية بذاتها فلا بدّ أن تتطوّر بتطوّر الزّمن، ولكن في إطار الشّرع المقدس، فالوسيلة لا بدّ أن تستنبط من أصل المبدأ الذي تريد تحقيقه وتحكيمه؛ فلكلّ زمان أسلوب خاص، وبما أنّ الإسلام لم يتجمّد على طريقة معيّنة، وإنما ترك اختيار طريقة الدّعوة إلى المكلّف بعد أن حدَّد له الخطوط العريضة إذن يمكن للدّاعية أن ينهج الأسلوب الأصلح الذي يتلاءم مع الزّمان والمكان.

ونحن اليوم بحاجة ماسّة إلى تخطيط مؤسّساتي شامل متقن على المدى البعيد يعمّ الأمّة الإسلاميّة خاصّة والبشرية عامّة، ونحن نسمع بين الحين والآخر صيحة من هنا، وصرخة من هناك، وحركة في هذا البلد، وجمعيّة في ذلك البلد دون أن يفكّر أحد بتخطيط شامل يعمّ الأمّة ويجمع كلمتها، فنرى كثيراً من الحركات الإسلاميّة تتأطّر بإطار إقليميّ لا تتعدّاه، أو تتقولب بقالب مذهبيّ يتّسم بالعصبيّة والانغلاق، أو تتحرّك على شريحة خاصّة من المجتمع، ومعلوم أنَّ هذا يتنافى مع التصوّر الإسلاميّ الشامل لكلّ الأقطار ولكلّ الأقوام، ولا نجحف حركات إسلاميّة وضعت هذا التصوّر أساساً لتخطيطها، وقطعت شوطاً جيّداً في تحرّكها إلا أنّها لاقت عراقيل عسيرة أوقفتها مدّة من الزمان، ثم عادت إلى الميدان، ولا زالت تواصل سيرها ولكن دون المستوى المطلوب.

من هنا يتحتّم على المؤسّسات، أو الحركات، والشخصيات الإسلاميّة أن تضع برنامجاً موحّداً أو برامج متعدّدة تصبّ في مصبّ واحد كي تستطيع أن توصل كلمة الله إلى أعماق الجماهير، وتخلق تيّاراً توحيديّاً يقلب الواقع الفاسد إلى واقع سليم، ومما يجعل هذا الأمر ممكناً أنّ الإسلام بعقيدته التوحيديّة، وبأحكامه الإلهيّة يمتلك رصيداً بشريّاً واسعاً في جميع أرجاء المعمورة من أبناء الإسلام تجمعهم عقيدة واحدة، وأهداف واحدة إذا تجاوزنا الدواعي الذاتيّة، وكان همّنا خدمة الإسلام، وتجرّدنا لله وفي الله في جهادنا، ومن فضل الله

أنَّ أمّتنا تمتلك وعلى مستوى عالٍ علماء، ومفكّرين أطبقت شهرتهم الدنيا، وأصبح الارتباط بهم ارتباطاً فكريّاً وعقائديّاً، ولكن بما أنّ هناك حواجز سياسيّة واجتماعيّة فرضتها طبيعة الظروف السياسيّة القائمة، يجعل الاتّصال والوصول إلى المراكز العليا أمراً متعسّراً؛ لذا ينبغي التّفكير من قِبل العلماء الواعين الحريصين على امتداد رسالة الله إلى جميع البشريّة أن يفكّروا في وضع برامج دقيقة مدروسة ومخطّطة؛ لتوصيل صوت الإسلام إلى كلّ زاوية من زوايا العالم، وخلق الارتباط الروحيّ والفكريّ بين أبناء الأمّة الإسلاميّة بجميع أوطانهم وألوانهم وقوميّاتهم كي نجعل من الأمّة بناءً متراصّاً يشدّ بعضه بعضاً، ويتحسّس كلّ مسلم بآلام جميع المسلمين.

وهذا لا يتحقّق بجهود فرديّة متفرّقة، كأن نوجّه خطاباً، أو نطبع كتاباً، أو نرسل مرشداً واعظاً، وإنما لا بدّ من إيجاد وتكوين مؤسّسات متشعّبة الدوائر والمهامّ تعمل ضمن تخطيط شامل يستوعب أكبر مساحة ممكنة لتوعية الناس بنشر رسالة الله تعالى وتبليغها لهم؛ ولهذا أقترح عدّة مقترحات منها:

أ ـ أن تشكّل دائرة عليا للدّعوة والتبليغ والهداية والإرشاد تتكوّن من علماء عاملين أصحاب دراية اجتماعيّة وخبرات إعلاميّة؛ ليرسموا الخطط والمناهج، ويحدّدوا المهامّ الرئيسيّة للعاملين؛ ويفتحوا آفاقاً أوسع؛ لنشر وتعليم أحكام الله تعالى شريطة أن يكون عملهم خاضعاً لإشراف المرجعيّة الدينيّة الرشيدة، لتكون الخطط والمناهج نابعة من روح الشّرع المقدّس.

ويتفرّع عن تلك الإدارة لجان متعددة فكريّة، واجتماعيّة، واقتصاديّة وسياسيّة، وفنيّة، تتولّى كلّ لجنة المهامّ المرسومة لها من الإدارة بعد عرضها على المراجع العليا؛ لمطابقتها مع الشّرع المقدس.

ومن المهام الرئيسة لها دراسة أوضاع كلّ منطقة من المناطق الإسلاميّة دراسة مستوعبة؛ من حيث حاجاتها، ومشاكلها، وطبيعة تركيبتها الاجتماعيّة،

وأعرافها، وتقاليدها، وظروفها السياسيّة، والفكريّة، والاقتصاديّة، ومراكز القوى المؤثّرة فيها؛ ليتسنّى لها اختيار الأسلوب الأمثل لتلك المنطقة، وإرسال الدّاعية المناسب القادر على تنفيذ البرامج المرسومة.

وهذا العمل الجبّار يتطلب أن يكون العاملون خصوصاً في الإدارة العليا وما يتفرّع عنها من لجان على دراية واسعة في علوم الدّين والعلوم العصريّة كالبحوث الاجتماعيّة، وتنظيم المجتمع، وعلوم الإحصاء، والاجتماع، والنّفس، والاقتصاد، مع إتقان فنون وأساليب العمل التبليغيّ والإعلاميّ وخبرات أخرى ذكرناها فيما تقدّم من مواصفات رجل العلاقات المسلم.

فالمسألة ليست مسألة عالم يذهب إلى منطقة، ويحلّ في مسجد، ويؤمّ الجماعة، ويلقي المواعظ وكفى، وإنّما هذا العمل يحتاج إلى تضافر جهود جمع كبير من العلماء، والخطباء، والكتّاب، والفنّانين، والإعلاميّين.

وقد يقال بأنّ هذا العمل يتطلّب موارد ماليّة جبّارة، فمن أين نأتي بذلك، ونحن لسنا دولة؟ ـ وقلّما طرحت فكرة جديدة، ولم تلقَ معارضة، ولم توضع في طريقها العراقيل ـ ونجيب على ذلك:

إنّ الحقوق الشرعيّة من زكوات، وأخماس، وكفّارات، وغيرها لو استثمرت استثماراً صحيحاً، ووضعت حيث ما أمر الله، ونظّم صرفها وفق الموازين الشرعيّة لزادت على ذلك، إضافة إلى أنّ هذا الامتداد بطبيعته سيوجد موارد كثيرة.

ولو لم تدفع الأمّة إلا خمس دخلها القوميّ لكفى، كيف والأمّة تدفع الزّكاة، والكفّارات، وردّ المظالم، والصّدقات، والتّبرّعات، وغير ذلك.

فالحركة وسط الأمّة هي التي تستدرّ الأموال بعد توعيتها بأحكام دينها، وثقتها بعلمائها وقادتها.

ب ـ تكوين حلقات اتّصال وسطى: وهذه الحلقات إداريّة أيضاً، ولكنّها تكون بمثابة همزة الوصل بين الإدارة العليا، وبين الجمهور، وتضمّ مستوى أدنى من العاملين في الإدارة العليا، يدخل فيها شخصيّات تتمتّع بصفات فكريّة وأخلاقيّة على مستوى جيّد كالشجاعة الأدبيّة، والأصالة الفكريّة، وقوّة الإرادة، وسعة الصدر، وبُعد النّظر، والخبرة التنظيميّة، والقدرة الإداريّة، ودقّة التّقييم للأشخاص.

وهذه الإدارات مسؤولة أمام الإدارة العليا عن جميع الأعمال التي يقوم بها العاملون في وسط الجمهور، وتدخل في أعمالها المتابعة والتّسجيل، والتّقويم، والتّوجيه الفني، وهي تتلقّى توجيهاتها وخطط عملها من الإدارة العليا، وتحاسب على التنفيذ.

ج ـ إيجاد قواعد شعبية: من خلال حركة الحلقات الوسطيّة يتمّ التعرّف على المؤمنين في كلّ منطقة عن طريق الاتّصال المباشر، وتوثيق العلاقة معهم، وتمتدّ بشكل أفقيّ في جميع المجالات، وتوضع برامج عامة تستقطب أكثر المؤمنين النّشطين، ولا يحصر هذا النشاط على فئة معيّنة، وإنّما يضمّ من جميع أصناف المجتمع، وكلٌّ يكون مسؤولاً في دائرة تواجده عن التّبليغ، والهداية، والإرشاد، وتمتين العلاقة مع القيادة أو الإدارة العليا، فالطالب يتحرّك في مدرسته أو جامعته، وكذلك التّاجر، والعامل، والفلاح، والنّجّار، والموظّف في دائرته، وكذلك المهندس، والطبيب، والجنديّ في معسكره، شريطة أن يُوضع برنامجٌ موحّدٌ ينزل من الإدارة العليا يحدّد الخطوط العريضة للعمل؛ ليستطيع أن يخلق تيّاراً موحّداً؛ فمجالات الاتّصال واسعة بسعة المجتمع، وما من مجال من المجالات إلا ويمكن من خلاله إيجاد علاقة اجتماعيّة إذا أحسّ المؤمن بمسؤوليّته أمام الله تعالى، ووُجّه التوجيه الصحيح ضمن خطّة شاملة تقرّرها المراجع الدينيّة العليا، وفق القاعدة الكليّة في الإسلام «**كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤولٌ عن رعيّته**».

ونحن نقطع بأنّ أيّ جهة سياسيّة أو مذهبيّة لا تمتلك ما نمتلكه من رصيد واسع في المجتمع على المستويّين الفكريّ والجماهيريّ لو طبّقنا ما أمرنا الله به، وأخلصنا النيّة له تعالى.

كما أنّ مرونة التّشريع الإسلاميّ في أساليب العمل والدعوة عامل آخر هامٌّ في بناء العلاقات.

وهناك مجالات واسعة تتمتّع بالقدسيّة عند جميع المسلمين يمكن من خلالها توسيع دائرة العلاقات الإسلاميّة، وهذا ما حثّ عليه الإسلام كثيراً في الكتاب والسّنّة، فصلاة الجمعة، والجماعة، وصلاة العيد، والاختلاف إلى المساجد، وإحياء الذّكريات الدّينيّة الهامّة كولادات وَوَفَيَات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وموسم الحج أكبر دائرة عالميّة للتجمّع الإسلاميّ بين المسلمين من كلّ أقطار الأرض، يتلاقون، ويتعارفون، ويتبادلون الآراء والأفكار، ويطلّع المسلم على مشاكل إخوانه في معظم بقاع الدنيا، ويبدي الرّأي في المعالجة على أقلّ تقدير.

وعند الشّيعة وسيلة أخرى هامّة بأهمّيّة صاحبها، ومقدّسة بقدسيّته، وهي مجالس العزاء الحسيني التي لا تخلو منها منطقة، وتَجْمع من جميع طبقات المجتمع، وهذه الدائرة المباركة لو أُحسن توجيهها فستبنى من خلالها قاعدة عريضة تربط الأمّة بدينها ربطاً ثوريّاً، كما تشدّ الأمّة إلى علمائها وقادتها، وتوثّق روح الولاء بين المؤمنين، ورحم الله الإمام الخميني رضوان الله عليه إذ يقول: «ونرى ذكر الأولياء ومقاماتهم دخيلاً في تصفية القلوب وتخليصها وتعميرها؛ لأنّ ذكر الخير بالنّسبة إلى أصحاب الولاية والمعرفة يوجب المحبّة والتّواصل والتّناسب، وهذا التّناسب يوجب التّجاذب، وهذا التّجاذب يسبّب التّشافع الّذي ظاهره الإخراج من ظلمات الجهل إلى أنوار الهداية والعلم، وباطنه الظهور بالشّفاعة في العالم الآخرة؛ لأنّ شفاعة الشّافعين لا تكون من دون تناسب، وتجاذب باطنيّ، ولا

تكون عن جزاف وباطل»[1].

ومقصوده رضوان الله عليه أنّ التجاذب بين المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام يوجب صفاء القلوب، وتطهيرها من أدران الآثام، وإذا طهرت القلوب أصبحت لها شفافيّة وجاذبيّة مؤثّرة في الوسط الاجتماعيّ، ولا شكّ أن الانفتاح على الله تعالى وأوليائه يؤدي إلى فتح القلوب أمام الدّعاة إلى الله، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من أصلح ما بينه وبين الله أصلح اللهُ ما بينه وبين الناس**»[2]، و«**مَن صَلُحَ مع الله سبحانه لم يَفْسُدْ مع أحد**»[3].

وتتوسّع دائرة العلاقات كلما توسّعت المشاريع الخدميّة العامّة سواء كانت ماديّة أو معنويّة، كإنشاء الجمعيّات لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وفتح المكتبات العامّة، ونشر الكتب والكرّاسات الإسلاميّة التي يمكن تداولها بين جميع الناس، كذلك فتح المؤسّسات الصحيّة الخيريّة وسيلة أخرى، وهكذا آلاف المشاريع يمكن أن توجد لو خلصت النّيّة لله، وارتفعت الهمم لتطبيق أحكام الله.

إنّ من أهمّ الوسائل التي تعمّق الثّقة بين القيادة الإسلاميّة وبين الجمهور أن تتوجّه أنظار المتصدّين للعمل الإسلاميّ إلى تقديم الخدمات إلى النّاس كافّة وفق برنامج مدروس يتصدّى لحلّ مشاكل النّاس، وتقديم الإرشادات، والمعونات للمحتاجين، ومواساة المنكوبين، والسّعي الدائم لقضاء حوائجهم، وفتح المشاريع العمليّة.

وهذا إضافة إلى أنّه عامل هامٌّ في كسب ثقة الجمهور فهو عمل عباديٌّ حثَّ عليه الإسلام كثيراً، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله عزَّ وجلّ خلق خلقاً**

(١) الإمام الخميني، الآداب المعنوية للصلاة: ٣٧٣. ترجمة السيد أحمد الفهري.
(٢) نهج البلاغة: ٤٩٩، قصار الحكم: ٨٤.
(٣) الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٨٤، ح/ ٣٤٨٦.

من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا؛ ليثيبهم على ذلك الجنّة، فإن استطعتَ أن تكون منهم فكن»[١].

وقال عليه السلام: «**لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحبّ إلى [الله] من عشرين حجّة، كلّ حجّة ينفق فيها صاحبها مائة ألف**»[٢].

ومن الضروريّ أن نشير إلى أنَّ المؤسّسة الإسلاميّة يجب عليها معرفة ما يدور حولها في المجتمع المحليّ، والإقليميّ، والدوليّ من تغيّرات وتطوّرات اجتماعيّة، واقتصاديّة، وسياسيّة فهي ليست بمعزل عن الواقع، وإنّما تعمل في وسط متعدّد الإرادات، والأهواء، والرَّغبات، والرّؤى، والأفكار، والعادات، والتّقاليد والأعراف، والأديان، والمذاهب، والخطط، والمناهج، والمصالح، والأهداف... الخ، ورغم ذلك كلّه تريد أن تغيّر هذا الواقع إلى واقع إسلاميّ سليم؛ ومن هنا يجب أن تضع في حساباتها جميع الاحتمالات المستقبليّة، وتضع خطط المواجهة لجميع ما يطرأ في المجتمع من تغيّرات ومشاكل، وهذا يوجب الدراسة المتواصلة للواقع من خلال الملاحظة الدقيقة، والتتبّع للأحداث، وتحليلها لمعرفة خطط التيّارات المعاكسة، وأخذ الاحتياطات اللازمة، واختيار أفضل السبل؛ لتحقيق التّفاهم والتّكيّف، والمحافظة على الثّقة المتبادلة بين الأمّة والقيادة الإسلاميّة.

ثم لا بدّ أن نشير إلى أنّ أمثال هذه المشاريع لا يمكن أن تنجح إلا إذا فهم جمهور المسلمين شرعيّتها؛ فالمسلمون بطبيعة الحال بحاجة إلى تفهّم ما تقوم به المرجعية الدينيّة من مشاريع؛ فإنّها إذا فهمت ذلك تشارك مشاركة فعّالة فيها.

ولا شكّ أنّ هذا الطرح سيثير استغراب كثير من الناس، وتعجّبهم، ويعدّونه ضرباً من الخيال، خصوصاً الذين ألفوا الخنوع تحت نير الظّالمين الطّغاة، أو

(١) الأصول من الكافي: ٢/ ١٩٣، باب: قضاء حاجة المؤمن.
(٢) المصدر نفسه.

الّذين اتّخذوا من الدّين مهنة يعتاشون بها، ولا يعيشون لها، وتلك هي (آفة رجال الدّين حين يصبح الدّين حرفة وصناعة، لا عقيدة حارّة دافعة)[1]، وهؤلاء أخطر على الإسلام من أعدائه، يقول الإمام الخميني رضوان الله عليه: «إنّي قد قلت من قبل: إنّ المتلبّس بلباس العلماء، الذي لا يكون مهذّباً، ويسير في غير خطّ الإسلام، فإنّه أخطر على الإسلام والجمهورية الإسلاميّة من السافاكي»[2].

ومن الطبيعيّ أنّ أولئك هم ذوو الهمم الهابطة، والذين فهموا الدّين على أنّه طقوس تقليدية يؤدّونها بحكم العادات المتوارثة والتقليد الأعمى، ولم يتخذوه رسالة إلهيّة، ومنهج حياة واجب التّبليغ، والنّشر، والتّحكيم.

والحقيقة أنّ هذا ليس وهماً، ولا خيالاً عند من فَهِمَ حقيقة الإسلام، ووعى أنباء الرسل، وتأمّل جيّداً فيما قاموا به، ولاقوا أشدّ العذاب من أجله، وحجّتنا في ذلك السيرة العمليّة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، وسيرة العلماء الرساليّين الذين بذلوا مهجهم من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، وفوق كلّ ذلك ما صرّح به القرآن بقوله تعالى:

﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[3].

﴿**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا**﴾[4].

والأخذ بقوّة هو التمسّك بدين الله بجدّ، ويقين، وعزيمة ماضية كاملة، ونبذ التّغافل، والتّكاسل، والتّبرير، والتّواني؛ قوّة في القلب لا يشوبها شكّ، ولا تردّد، وقوّة في البدن تحمل روح التّحدّي والرّفض للواقع الفاسد مهما بلغت قوّته، وسعي متواصل بلا فتور، وتوكّل على الله، وتجرّد خالص لله دون سواه، وحينئذٍ

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: ١/ ٨٤.

(٢) الإمام الخمينيّ، موعد اللقاء: ١٠٥.

(٣) البقرة: ٦٣.

(٤) البقرة: ٩٣.

ستكون إرادة الله متجسّدة في حركة أوليائه وبذلك تكون هي الأقوى، وهي الغالبة على كلّ حال، ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[1].

﴿**أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**﴾[2].

أمّا ما يواجه ذلك من عقبات فإنّه أمر طبيعيّ لمن وعى سنة الله في الصّراع بين الحقّ والباطل منذ انبثاق الرّسالة إلى يوم القيامة، وهذا أمر يهون إذا خلصت النّية لله، وفُهِمَ الدّين الفَهْمَ الّذي أراده الله، وهو أنّه ليس طقوساً تقليديّة جامدة، وإنّما هو منهج حياة متحرّك ومُتَّحِدٍ ورافض لكلّ هوى باطل وطاغوت، وهو دستور حياة شامل للفرد، والمجتمع، والدّولة، لازم التطبيق والتحكيم.

ذلك هو دين الله، ولكن مع الأسف الشّديد بعد أن تشوّهت الحقائق، وخارت الهمم كثرت التّبريرات، وانطلقت الأعذار الواهية التي قطعها القرآن، وردّها على المعتذرين بعنف وشدّة، ﴿**يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[3].

يقول الشهيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه في معرض تعليقه على الآية الكريمة: «إنَّ القرآن الكريم يقطع في هذه الآية الملتهبة العذر على المعتذرين، ولا يسمح للنبيّ بوصفه التعبير الأعلى عن الدّاعية للإسلام أن يستمع بعد رجوعه من إحدى معاركه الجهاديّة إلى اعتذار المعتذرين الذين تخلّفوا عن موكب الدّعوة، ونكصوا عندما دقّت السّاعة، وأزف الخطر مهما كان لون الاعتذار وأسلوبه...

ونحن حين نستعرض الأعذار يكشف القرآن الستار عن زيفها، ويفضح سرّ

---

(١) فاطر: ١٠.

(٢) النساء: ١٣٩.

(٣) التوبة: ٩٤.

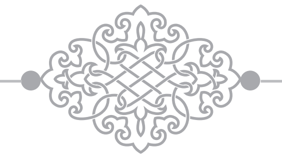
جذورها، نجد أنَّ الأعذار بالأمس هي الأعذار اليوم لا تختلف في جوهرها ومضمونها الروحيّ، وميوعتها ودوافعها الأنانيّة، كما أنَّ الدَّعوة اليوم كالدّعوة بالأمس في محنتها بذوي الأعذار والمثبطين ومصيبتها بهم في كلا الحالين)[1]، حالة النّصر أو حالة الهزيمة.

وملخص الكلام: إنّ منهجة العمل في سبيل الله أمر ممكن، ولكن ذلك أمامه عقبات وأشواك لا بدّ من تحمّلها، وعلى المؤمن أن يؤدّي واجبه المكلّف به، والنّصر والنّتيجة النّهائية على الله تعالى، **﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾**[2].

(١) السيد الشهيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنيّة: ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

(٢) التوبة: ٥٢ .

ما يجب على رجل العلاقات بيانه للنّاس



الهدفيّة البنّاءة علامة متميّزة في سلوك المسلم، لأنّ الإسلام لا يرضى لمعتنقيه أن يتحرّكوا بحركة إلا ولها هدف سليم، ولا بدّ وأن ينتهيَ إلى الهدف الأسمى، وهو نيل رضا الله تعالى؛ فكلّ الآراء التي يبديها والمشاريع التي ينوي القيام بها، والأعمال التي يُنْجِزها يجب أن تكون مسبوقة بنيّة خالصة مجرّدة عن كلّ شائبة لغير الله تعالى، لتكون وسائل طاهرة خالصة؛ لتحقيق إرادة الله تعالى في أرضه.

هذا هو الهدف الأسمى والغاية القصوى، والأُمْنِية العظمى للواعين من عباد الله لحقيقة التوحيد، وبهذا التّجرّد ينبغي أن تكون حركة العلاقات ساعية لبيان حقيقة دين الله تعالى، وتغيير النّاس به، وتوجيه سيرهم إليه، ومن تلك الأعمال:

أولاً ـ نشر عقيدة التّوحيد، وما يترتّب عليها من مبادئ، ومفاهيم، ونظم، وأحكام بصورة مباشرة أو غير مباشرة، يطرحها على النّاس فكراً مدعوماً بالبرهان، ومؤيداً بالوجدان، ويعكسها في الوسط الاجتماعيّ سلوكاً وأخلاقاً؛ حتّى يستوحيَ النّاس من سلوكه وأخلاقه حقيقة التّوحيد قبل حركة لسانه وبيانه، ولعلّ هذا هو مدلول الحديث المشهور: «**وأن تكونوا لنا دعاة صامتين**»[1]، وهذه أفضل طريقة لبناء الكيان الإنساني، وتربيته ورفده بالتعاليم الصّحيحة، والفكر الخلاق.

(١) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام: ١/ ٥٦ .

ثانياً ـ تعريف الجمهور بأنّ الإسلام هو العقيدة المنقذة للإنسان من الضّياع، والتّذبذب، والتّبعيّة، وهو الفكر المحرِّر لإرادة الإنسان من الضغوط الداخليّة والخارجيّة دون سواه، ومقارنة ذلك بالمبادئ الوضعيّة من المذاهب الاجتماعيّة الرّائجة في الوسط الجماهيريّ، وبيان الفرق بين هذا الحقّ، وذلك الباطل، بأسلوب علميّ دقيق يناسب مستوى المخاطبين الفكريّ والثقافيّ، وتوضيح دور الإسلام في خدمة الإنسانيّة على طول خطّ التأريخ البشريّ، وبهذا تتّضح حقيقة الإسلام، وبأنّه المنهج السّليم الذي يرتفع بالإنسان من حضيض الجاهليّة إلى نور العلم والحقيقة الجليّة.

إنّ الّذين خُدعوا بزخارف الحضارة الغربيّة، وأصبحوا من دعاتها عندما انبهروا ببريقها، لم يطّلعوا على حقيقة الإسلام، فلو أزيلت عن أذهانهم رواسب الجاهليّة القديمة والحديثة، وهُيّئت أرضيّة نفوسهم، لتقبّل النّور الإلهيّ لسهلت هدايتهم، ولرجعوا إلى جادّة الصّواب، ولتخلّصوا من التبعيّة الفكريّة، والتقليد الأعمى للثّقافات المستوردة.

ثالثاً ـ توجيه الطّاقات الكامنة في المجتمع نحو التّنمية الفكريّة، والأخلاقيّة، والاقتصاديّة، والسياسيّة، وتحويل تلك الطاقات إلى قدرات خلاقة في خدمة البشريّة من خلال توسيع الآفاق الإنسانيّة، ومدّ بصره إلى أوسع من دائرته الاجتماعيّة.

رابعاً ـ العمل على تحرير النّاس من العادات والتّقاليد والأعراف المخالفة لشريعة الله تعالى، بطرح البديل المناسب؛ ليشغل الناس عمّا اعتادوه؛ وطرح البديل يحمي العامل من الاصطدام بمشاعر النّاس وعاداتهم، ويجنّبه رفض النّاس له؛ ولهذا فإنّ الأمر يحتاج إلى حكمة بالغة، وطريقة سليمة كي يقتنع الجمهور بما يعرض عليهم من بدائل جديدة غير مألوفة لديهم.

خامساً ـ تنمية الشّعور بالمسؤوليّة عند المسلم، وتوعيته على الأوضاع العالميّة الجديدة، وما يحاك فيها خلف الكواليس، والتّأكيد على خطورة الغفلة، وعدم

المبالاة بما يجري وما يقع، وبثّ روح التعاون على البرّ، والتّقوى، والتّواصي بالحقّ والصّبر؛ لمواصلة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

سادساً ـ التّركيز على توجيه النّاس إلى اعتناق القيم الخلقيّة كالعفّة، والحكمة، والعدالة، والشّجاعة، وبيان أثرها في سعادة الإنسان، وتقدّم المجتمع، وازدهاره.

وكلّ هذه الأمور التي قدّمناها كواجبات يسعى المؤمن لتحقيقها لا تتنجّز ما لم يتّصف العامل بالحيويّة والتفاعل الإيجابيّ مع الواقع الاجتماعيّ الذي يعمل على تنويره بنور الله، وتغييره وفق منهج الله تعالى، وهذه العلاقات المتفاعلة يجب أن لا تقتصر على مجرّد الدّعاية والإعلام ـ كما هو شأن المذاهب الماديّة ـ وإنّما يجب أن تكون شخصيّة الدّاعية مرآةً تعكس الصّورة الحقيقيّة للفكرة المتبنّاة؛ ليجد المجتمع فيه القدوة والأسوة التي يترسّم خطاها، كما أنّ العلاقة السليمة هي الّتي تبتني على الأخذ والعطاء، والتّفاهم المتبادل وتجنّب الإثارات السلبيّة التي تؤدّي إلى فقدان الثّقة المتبادلة بين العامل والجمهور.

ثمّ إنّ العلاقات يجب أن لا تقتصر على قطاع معيّن من المجتمع، وإنّما يجب أن تشمل جميع المجالات والقطاعات الاجتماعيّة كالمؤسّسات التّربويّة والتّجاريّة، والصناعيّة، والعسكريّة مع مراعاة الأولويّة في التأثير التغييري، وبذلك يبتعد العامل الرساليّ عن المحوريّة، والتقوقع، والانحسار في مجال معيّن فقط؛ فالمسجد، والمقهى، والمكتبة، والمدرسة، والنّوادي الطّاهرة، والمعامل، والمعاهد، والجامعات، والأسواق... وغيرها كلّها مجال مهمّ لتكوين العلاقات وما أروع الحقيقة القائلة: «في الحياة الاجتماعيّة: كلّ شيء بالنّسبة للدّاعية مادّة للدّراسة، وكلّ مكان مدرسة للتّوعية».

«إنّ مهمّة الدّاعية استثمار كلّ مكان، وكلّ زمان للالتقاءِ بالنّاس، والاتّصالِ بهم، والتّحدّثِ معهم على صعيد التّوعية؛ والاتّصالُ بالنّاس، والالتقاءُ بهم ضرورةٌ؛ لتلقّي وفهم واقع الأمة، وما يحيطها من ظروف، وضرورة للتّأثير فيهم؛

لغرض التّوعية، وتغيير الذّهنية وبهاتين العمليتين: (تلقي واقع النّاس بعينين مفتوحتين، والتّأثير فيهم بصدر رحب، وقلب كبير) تتحقّق عمليّة التّفاعل مع الأمّة التي تؤكّد عليها الدعوة الإسلامية للقيام بمهمة التغيير».

ومن الأسس الهامّة في تحقيق الأعمال والأهداف هو الابتعاد عن كلّ وسيلة خداع، أو غشّ، ومداهنة، وإنّما يجب أن تكون الحكمة، والصّراحة، والصّدق، والإخلاص هي الحاكمة على سير العلاقات، وطرح الآراء، وتبنّي الأفكار.

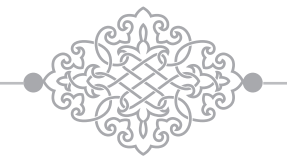
وبتعبير آخر: إنّ العلاقات السّليمة هي الّتي تُبنى على مبادئ أخلاقيّة سليمة تقوم على أساس الاحترام المتبادل، والتفاهم البنّاء بين الطّرفين، وبذلك يكسب العامل قلوب الآخرين، ويدخلها دون إذن، فأفضل جاذب للقلوب الزّكية هو الصّدق والإخلاص؛ أما اللّف، والدّوران، والخداع فحتّى لو نجح في مدّة فإنّه لا بدّ أن يكشف واقعه، وحينئذٍ تكون عاقبته وخيمة.

ولإقناع الآخرين يمكن الاستعانة بالوقائع التاريخيّة، والأحداث الاجتماعيّة والسياسيّة، والاستشهاد على ذلك بالأرقام الّتي تدلّ على المدعى، وفي كلّ ذلك لا بدّ من مراعاة الأذواق، والأفكار، والأمزجة، والعادات، والتقاليد، والأعراف، وتجنّب النّقد الجارح الذي يثير حفيظة الطّرف الآخر؛ فإنّ الإنسان حريصٌ على ما اعتاد عليه، وتربّى فيه؛ (فالعادات التي لها مكان الصّدارة في المجتمع، والتّقاليد التي تحمل معها ما توارثه الجيل الحالي عن أجداده والعرف السائد الذي له قوّة القانون في نفوس الأفراد، من الأمور التي هي على جانب كبير من الأهميّة في رسم البرامج في العلاقات العامّة، والوسيلة الفعّالة لذلك هي استخدام الأسلوب العلميّ، وإذا كنّا نحترم الآن العادات السّائدة فإنّنا نهدف أيضاً ـ إذا كانت هناك في مجتمع عادات معوّقة فاسدة لم تعد تتّفق مع مقتضيات العصر ـ أن نضع في الوقت المناسب الخطط المناسبة لإحلال عادات جديدة صالحة محلّ العادات البالية المعوّقة، وعمليتا التّبصير والإحلال من أهم عمليات التّغير الاجتماعيّ المقصود)[1].

---

(١) د.أحمد كمال أحمد، العلاقات العامة: ٤٣ .

التخصّص ضرورة
يقرّها الإسلام ويفرضها الواقع



لمّا كان الإسلام رسالة عالميّة تستوعب جميع شؤون الإنسان الماديّة والمعنويّة، فلا بدّ أن تمتدّ إلى جميع النّاس لأجل هداية الإنسان، وإرشاده، وتعبيده لله تعالى؛ لينال السّعادة في الدنيا والآخرة.

وهذا العمل الضخم لا يحدث ارتجالاً، وإنّما لا بدّ من وضع سياسة عامة وفق برنامج مرسوم مستوحى من تعاليم الشرع المقدّس، تخطيطاً وتنفيذاً بشكل منظّم، والإسلام دين التّنظيم والتّقنين، لا دين الفوضى والارتجال، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ذلك القُرآن فاستنطقوه، ولن ينطق، ولكن أُخبرُكم عنه: ألا إنَّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم**»(١).

ويقول عليه السلام في وصيّته لولديه الحسنين عليهما السلام: «**أوصيكما ـ وجميع وَلَدي وأهلي، ومن بلغه كتابي ـ بتقوى الله، ونظم أمركم**»(٢).

ويقول عليه السلام في نصيحته لعمر بن الخطاب: «**ومكان القَيِّم بالأمر مكان النّظام من الخرز يجمعه، ويضمُّه، فإن انقطع النّظام تفرَّق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً**»(٣).

---

(١) نهج البلاغة: ٢٥٤ ، خطبة: ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤٤٥، كتاب: ٤٧ .

(٣) نهج البلاغة: ٢٣٤ ، خطبة: ١٤٦.

فكلّ هذه النصوص تؤكّد أنّ الإسلام يبني العمل كلّه على أساس التّخطيط والتّنظيم لا الارتجال.

وبما أنّ المسؤوليّة كبيرة بكبر الرّسالة، والمجالات العلميّة واسعة بسعة الحياة، لهذا لم يَعُد الأمر بهذه السّهولة أن يقوم به شخص واحد أو أشخاص بتنجيز جميع المهمّات، وإنّما لا بدّ من تخصّص يتوزّع على العاملين كلّ وفق اختصاصاته ومهاراته وقدرته على إنجازه؛ ففي الوقت الذي يحكم الإسلام بوجوب وجود المجتهد؛ ليستنبط الأحكام الشرعيّة من مداركها المقرّرة، ويقنّن الأحكام الشرعيّة بلغة العصر، لتكون في متناول الجميع، كذلك نجد الحاجة ماسّة إلى مختصّين في جميع المجالات الأخرى النظريّة والعمليّة؛ فالإسلام إذن يحتاج إلى: المفكّر الإسلاميّ الذي يطرح عقائد الإسلام طرحاً فكريّاً وعلميّاً معمّقاً ليركّز في الأمّة أسس الرّسالة ومبادئها، ويدافع عنها، ويهاجم بها العقائد الفاسدة؛ وإلى الأستاذ القدير ليعدّ العلماء للأمّة، ويهيّئهم لتبليغ رسالة الله، وإلى الكاتب الإسلاميّ الذي يعرض مفاهيم الإسلام ومبادئه وينشرها وسط الجمهور، وإلى الخطيب المتفنّن في أسلوب الطرح الجماهيريّ لمفاهيم الإسلام ومبادئه، ويعالج من خلال ذلك المشاكل الاجتماعيّة من على منصّة الخطابة؛ وهكذا الحاجة إلى رجل الإعلام، والمنظر الاقتصاديّ الخبير بشؤون إدارة واستثمار الأموال وتنمية الثروة القوميّة، وهذا ليس غريباً على الإسلام فهو دين النّظام والإدارة السليمة لجميع شؤون الحياة الإنسانيّة، وقد كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام يوجّهون أصحابهم كلّ حسب اختصاصاته، وقدرته، ومهارته؛ ليكون العطاء أكبر، والطّريق إلى خدمة الرسالة أقصر.

وقد برز هذا النّوع من العمل في عصر الإمام الصادق عليه السلام أكثر من غيره عند ظهور الأفكار الغريبة عن روح الإسلام، وبروز مذاهب متعدّدة على السّاحة الإسلاميّة، وتنوّع المطالب، وازدياد المشاكل الفكريّة، والاقتصاديّة،

والاجتماعية، وقد أعدَّ الإمام طلابه على هذا الأساس؛ فمنهم من مهر في الدّفاع عن العقيدة، وتفنيد العقائد الفاسدة، ومنهم من اختصّ بالفقه، ومنهم من برز في علوم القرآن، ومنهم من برع في الحديث والكلام وهلمّ جرّا، ويدلّ على ما نقول ما رواه الكشيّ عن هشام بن سالم، قال:

«كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام، فاستأذن فأذن له، فلما دخل سلّم، فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس، ثم قال له: **حاجتك أيها الرجل**؟ قال: بلغني أنّك عالم بكلّ ما تسأل عنه، فصرتُ إليك لأناظرك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: **فبماذا؟** قال: في القرآن وقطعه، وإسكانه وخفضه، ونصبه ورفعه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **يا حمران، دونك الرّجل**، فقال الرّجل: إنما أريدك أنت لا حمران، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **إن غلبتَ حمران فقد غلبتَني**.

فأقبل الشامي يسأل حمران حتى غرض وحمران يجيبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **كيف رأيتَ يا شاميّ**؟ قال: رأيتُه حاذقاً ما سألته إلا أجابني فيه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **يا حمران، سل الشاميّ**، فما ترك الشامي يكشر.

فقال الشاميّ: أريد يا أبا عبد الله أن أناظرك في العربية، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال: **يا أبان بن تغلب ناظره**، فناظره فما ترك الشّاميّ يكشر.

فقال: أريد أن أناظرك في الفقه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **يا زرارة ناظره**، فناظره فما ترك الشّاميّ يكشر.

قال: أريد أن أناظرك في الكلام، فقال: **يا مؤمن الطاق ناظره**، فناظره فسجل الكلام بينهما، ثمّ تكلّم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به.

فقال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة، فقال للطّيار: **كلّمه فيها**، قال: فكلّمه فما تركه يكشر.

ثم قال: أريد أن أكلّمك في التّوحيد، فقال لهشام بن سالم: **كلّمه**، فسجل الكلام بينهما، ثم خصمه هشام.

فقال: أريد أن أتكلّم في الإمامة، فقال لهشام بن الحكم: **كلّمه يا أبا الحكم**، فكلّمه فما تركه يريم[1]، ولا يحلي ولا يمري، قال: فبقي يضحك أبو عبد الله عليه السلام حتى بدت نواجذه.

فقال الشّاميّ: كأنّك أردت أن تخبرني أنَّ في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟

قال: **هو ذاك**...

[إلى أن قال]: فقال الشّاميّ: اجعلني من شيعتك وعلّمني! فقال أبو عبد الله عليه السلام: **يا هشام، علّمه فإنّي أحبّ أن يكون تلماذاً لك**»[2].

نفهم من هذه الرّواية، ومن روايات أخرى لا مجال لذكرها أنّ الإمام عليه السلام كان يُعِدُّ أصحابه إعداداً رساليّاً، حسب مقتضى حاجة الأمّة، وبشكل تخصّصيّ مركّز، ويرسم لهم الخطوط العريضة للعمل، ويبثّهم في أوساط الجمهور؛ ليكونوا حلقة الوصل بينه وبين الأمّة في توصيل وتأصيل مبادئ وأحكام الإسلام.

إذن فالتخصّص في العلوم لأجل العمل ضرورة حياتيّة مهمّة يفرضها الواقع، ويقرّرها الإسلام، ولها نتائج مهمّة في توجيه وإعداد الأمّة، لتحمّل أعباء الدَّعوة إلى الله تعالى بكلّ أبعادها الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة؛ ولهذا نجد في طلاب الإمام الصادق عليه السلام: الفقيه، والمتكلّم، والفيلسوف، والمفسّر، واللغويّ، والمحدّث، والكيمياويّ... الخ، وغير ذلك من المتخصّصين في فنون العلم، وقبل هذا كلّه عَمَّقَ في قلوبهم الإيمان، وغرس في نفوسهم كلّ الكمالات الإنسانيّة كالحكمة، والعفّة، والعدالة، والشّجاعة كي يتجرّدوا إلى الله تعالى في أعمالهم، ويكونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتهم.

(١) يريم: بفتح حرف المضارعة من (الريم)، تقول ما رمت المكان ما برحته.

(٢) اختيار معرفة الرجال المعروف بـ(رجال الكشي): ٢/ ٥٥٤ ـ ٥٦٠ .

ولما كانت العلاقات الاجتماعيّة واسعة بسعة الحياة البشريّة، ومختلفة باختلاف الأمزجة والأذواق، والعادات، والتّقاليد، والأعراف كما تختلف من بلد إلى بلد، ومن قوم إلى قوم؛ فهي بحاجة إلى اطّلاع على علوم عديدة كعلم الأخلاق، وعلم النّفس بمختلف فروعه لا سيّما علم النّفس الاجتماعيّ، وعلم سلوك الإنسان، وآداب التّعلم والتّعليم، وعلوم التربية، وعلوم الإدارة والتنظيم الاجتماعيّ، وعلوم السّياسة بمفهومها الصحيح، وعلوم الإعلام وبعض الفنون التي لها مساس بالعلاقات الاجتماعيّة كفنّ الخطابة، والمحاورة، والمعاشرة، وغيرها، ولا شكَّ أنَّ الإنسان لا يستطيع بهذا العمر القصير أن يلم بجميعها إلماماً كاملاً، ولا سيّما أنّ العلم والفنّ في توسّع وتطوّر مستمرّ، وخصوصاً اليوم بعد الانفجار المعرفيّ، وتطوّر المجالات العلميّة، وتعدّد المدارس الفكريّة، والإعلاميّة، والسياسيّة... ولكن يمكن أن يأخذ من كلّ علم أحسنه، وبهذا أوصى الإسلام كما يقول سيّد العلماء العارفين أمير المؤمنين عليه السلام: «**خذوا من كلّ علم أحسَنَهُ؛ فإنَّ النّحل يأكل من كلّ زهر أزيَنَهُ، فيتولّد منه جوهران نفيسان؛ أحدهما فيه شفاءٌ للنّاس، والآخر يستضاء به**».

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «**العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كلّ علم أحسنه**»[1].

وبناءً على حقيقة تطوّر العلوم وتوسّعها أصبح من الضروريّ جدّاً في ممارسة العمل الاجتماعيّ وجود متخصّصين يتوزّعون على مختلف الفروع كي يُنَظّروا للعمل، ويخطّطوا له، ويشاركوا فيه عمليّاً، ويطرحوا الإرشادات والتوصيات للعاملين خصوصاً في المستويات المتصدّية لإدارة العمل، ونحن لا نشكّ أنّ العمل بأمسّ الحاجة إلى الخبراء الاجتماعيّين من ذوي التجارب الواسعة، هذا مع العلم أنّ الفكر الإسلاميّ بصورة عامّة جامع لجميع العلوم الإنسانيّة بلا

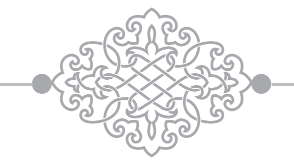
(١) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٦، ح/ ١٨٥ ـ ١٨٤ .

استثناء، ومتفوّق على كلّ النظريّات النفسيّة والاجتماعيّة، كيف لا وهو الرسالة الإلهيّة الجامعة لجميع متطلّبات الإنسان، فما من واقعة إلا ولها حكم في كتاب الله عزّ وجلّ، وسُنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته عليهم السلام، ولكن الاطّلاع على علوم الآخرين لا ضير فيه وهو أمر محبّذ في الإسلام، وأعلم الناس أعلمهم بما عند الناس.

ونختم هذا البحث بقول الإمام العارف بالله، الفقيه في دين الله، الخمينيّ العظيم، يقول رضوان الله عليه: «لأنّ الإنسان العاقل عندما عرف بأنّه مع هذا العمر القصير، والوقت القليل، والحوادث الكثيرة، لا يستطيع أن يكون جامعاً لكلّ العلوم وحائزاً على جميع الفضائل، فلا بدّ له من التفكير والتأمّل في العلوم، واختيار ما يكون له أنفع، والانصراف إليه وتكميله»[1].

(١) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً: ٣٦١ ـ ٣٦٢، ترجمة السيد محمد الغروي.

برامج مقترحة لتوسيع دائرة العلاقات



لدينا في هذا البحث أربعة مرتكزات أساسيّة هي:

رجال العلاقات، وجهازها، ومادّة العلاقات، وجمهور الأمّة.

وقد تحدّثنا عن رجال العلاقات وجهازها، والآن نطرح بعض المقترحات لإعداد رجال العلاقات والمبلّغين؛ لتوسيع دائرة العلاقات، وبيان بعض وسائل الجذب؛ لتشمل مختلف القطّاعات الشعبيّة، والامتداد إلى أعماق الجمهور، ومن تلك الخطوات:

أ ـ **فتح معاهد للتّبليغ والإرشاد:** تضمّ عناصر مؤمنة من مختلف طبقات الأمّة، تشمل طالب العلوم الدّينيّة، وطالب الجامعة، وطلاب المدارس المختلفة، كما تضمّ الطّبيب، والمهندس، والضّابط، والمدرّس، والعامل، والموظّف... الخ، وفي هذا المعهد يربّى المبلغون كرجال علاقات تربية رساليّة مركّزة، ويزوّدون بالفكر الإسلامي، وبالتّجارب الاجتماعيّة العلميّة، وعلم النفس والاجتماع.

وغرض التنوّع هنا إيجاد مرشد وهادٍ في كلّ قطاع تعليميّ، أو صناعيّ، أو تجاريّ، أو عسكريّ، أو إداريّ يعمل معهم، يعايشهم معايشة فعليّة، وبذلك يتسنّى له معرفتهم عن قرب، ويهتدي إلى الدخول في قلوبهم من أسلم الطّرق، ويُكَوِّن لهم علاقة مع العلماء العاملين، ويعكس لهم أخلاق الإسلام بصورة

عمليّة، ويفيض عليهم من أنوار العلم والمعرفة، وهكذا نوجد في كلّ قطّاع داعية، ومرشداً، ورجل علاقات يتحرّك في مجال عمله بالطّريقة المناسبة على المستويين الفرديّ والاجتماعيّ؛ وبذلك نزيل الحواجز النفسيّة بين الأمّة، وبين العلماء، ونمحو من الأذهان التصوّرات العكسيّة التي انعكست عند كثير من النّاس نتيجة سوء تصرف بعض من تزيّا بزيّ العلماء، واتّخذ من العلم وسيلة يرتزق بها.

كما أنّ هذا المشروع سيجعل مجال الامتداد الرساليّ أوسع دائرة، ويدخل الهداة والمرشدين إلى كلّ زاوية من زوايا المجتمع، والتي يصعب على طلاب العلوم الدّينيّة الوصول إليها في كثير من الأحيان، وبذلك لا تحصر العلاقة الإسلاميّة في المساجد فقط، وإنّما ستدخل المعسكر، والمعمل، والمدرسة، والجامعة، والدوائر الحكوميّة... الخ.

ومن الخطأ الفاحش أن نحصر العلوم الدّينيّة، والهداية، والإرشاد بصنف خاصّ من النّاس له صفة مميّزة، فليس في الإسلام تمايز بين البشر على أساس صنفيّ، أو طبقيّ، أو عرقيّ؛ وإنما التّمايز في الإسلام فقط على أساس التّقوى والعلم، والجهاد، والمفروض لكلّ مسلم أن يعمل على تحصيل ملكة التّقوى، وأن يطلب العلم للعمل، وأن يجاهد في سبيل الله ما استطاع إليه سبيلاً فليس في الإسلام كهنوت، أو ترهّب، بل صرّح الرسول الأعظم ﷺ أنّ كلّ مسلم مسؤول عن دينه وعن عمله: «**كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته**»[1].

كما أنّ القرآن صريح بعموم المسؤوليّة على جميع الناس بقوله تعالى:

﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2].

﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ**

(١) الشهيد الثاني، منية المريد: ٣٨١.

(٢) الحجر: ٩٢ـ٩٣.

وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[1].

إذن المسؤوليّة عامّة وشاملة لكلّ مسلم ومسلمة بلا استثناء، ولكنّها بمقدار الوعي والإدراك والقدرة، وهذا ما جرت عليه سيرة الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وجميع السّلف الصالح.

والقاعدة تقتضي أنّه ليس في الإسلام رجال دين، ورجال دنيا، ولكن قد يوجد متخصّص في العلوم الدينيّة ومتفرّغ لطلبها، ولا شكّ أنّ مسؤوليّاته أكثر من الآخرين؛ ولأنَّ الإسلام دين يعمُّ نظامه جميع جوانب الحياة؛ ليمهّد الطريق إلى الآخرة.

ب ـ **إيجاد جهاز تبليغيّ مركزيّ لكلّ منطقة يرتبط بالإدارة العليا**، ويكون تحت إشراف علماء تلك المنطقة، ويدار من قبل شخصيّات ذوي خبرة بالعمل الاجتماعيّ، وعلى هذا الجهاز أن يقوم بدراسة المنطقة من جميع جوانبها الاجتماعيّة، والثقافيّة، والسياسيّة، والتركيبة السكانيّة فيها، ويوجّه العاملين حيثما يُؤثّرون فيه؛ فالمدرّس في مدرسته، والطالب في جامعته، والجنديّ في معسكره، والتّاجر في سوقه، والعامل في معمله، ويتفرّع عن هذا الجهاز لجان متابعة وتقويم لحركة العاملين في مجال عملهم، وفي الأوساط الجماهيريّة، ومن جملة أعمال هذا الجهاز فتح دورات للخطباء لإعدادهم إعداداً رساليّاً مركّزاً من الناحية العلميّة، والفنيّة، والروحيّة، وإدامة الاتّصال بهم بصورة مستمرّة، وملاحظة قوّة تأثير كلّ منهم، ومدى نجاحه وفشله، ورسم خطّ عامّ موحّد لحركتهم، وطرحهم المبدئيّ، والمفاهيميّ لخلق تيّار جماهيريّ موحّد، وهذا ما تبنّاه المرحوم المجتهد المجدّد المصلح الشيخ محمّد رضا المظفر رضوان الله عليه في النّجف الأشرف حينما فتح منتدى النشر، (والذي كان أوّل من أوجد فكرة وجوب فتح صفوف لخطباء المنابر الحسينيّة؛ ليَحُولوا بين هؤلاء الذي يرقون

(١) الزّخرف: ٤٣ ـ ٤٤

المنابر باسم الحسين عليه السلام فيسيئون إلى الدّين بما كانوا يروون من أحاديث وأخبار كاذبة)[1]، وقد خرّج هذا المعهد عظماء الخطباء كالشيخ الوائلي، والسيّد جواد شبر، وغيرهما.

ج ـ **الاهتمام بالتّنظيم المهنيّ**، على شكل نقابات، أو اتّحادات تجمع بين المنتسبين إلى الصّنف الواحد، وتشكّل علاقات مهنيّة توحّد اتجاههم وحركتهم وتتبادل بينهم الخبرات العلميّة والعمليّة، وبذلك تتوسّع الدائرة العمليّة في كلّ صنف، وهذا له دورٌ فعّالٌ في تنمية الثروة القوميّة للبلد، وتتصاعد الحركة الثقافيّة من خلال المشاريع والدورات العلميّة والثقافيّة، وهذه تجربة ناجحة في كثير من المجالات العلميّة والفكريّة، ويزوّد كثيراً منهم بالفكر الإسلاميّ والوعيّ الحركيّ؛ ليكونوا علاقات رساليّة سواء في كلّ صنف على حدة، أو مع الأصناف الأخرى.

وأهمّ المنظّمات المهنيّة هي اتّحاد الطّلاب، والمهندسون، والأطباء، والعمّال... الخ.

د ـ **تشكيل فِرَقٍ رياضيّة مختلفة**، حسب أنواع الرّياضة المتعارفة اليوم، وإدخال عناصر شابّة مؤمنة في هذه الفرق؛ ليكونوا أداة جذب، وشدّ لهم بالإسلام، وتوعيتهم من خلال لقاءات خاصّة؛ والرّياضة وسيلة محبّبة لدى الشّباب، ويمكن استثمارها؛ لبناء علاقات إيمانيّة، وجعلها وسيلة للتوصّل إلى أهداف إيمانيّة عاليّة، ولكن مما يؤسف له أنّ الأوساط العالميّة رغم اهتمامها الواسع بها إلا أنّها جعلتها وسيلة سياسيّة تخفي وراءها أهدافاً دوليّة غير سليمة؛ ولذا ينبغي للمؤمنين أن يتنبّهوا إلى ذلك، ويستوعبوا الشّباب من خلالها، وقد حصلت تجارب ناجحة قام بها بعضُ المؤمنين في العراق أدّت دوراً هامّاً في جذب وتوعية كثير من الشباب، ووضعهم على جادّة الصواب.

---

(١) جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم: ٢/ ٢٤.

هـ ـ **إنشاء مخيّمات لطلبة المدارس في العطل الصيفيّة**، ووضع برامج توعية عامّة تشمل الجوانب الأخلاقيّة، والفكريّة، والبدنيّة، من خلال محاضرات ودروس تَوْعَويّة، وتدريبات رياضيّة، (كالجودو)، و(الكاراتيّة)، والسباحة، والرماية، وسياقة السّيارات، والدّراجات، وغيرها، وبذلك تشغل أوقات فراغ الشّباب، وتنمّي فيهم روح الأخوّة، والتعاون، والطّاعة، وتحمّل المسؤولية، وتقوية العلاقات الاجتماعيّة الفاعلة، وتنمية روح الإبداع والابتكار، وتشجيع المبادرات الفرديّة؛ لتصعيد قابليتهم نحو الإصلاح، والتنمية الفكريّة، والأخلاقيّة، والروحيّة.

و ـ **إنشاء فِرَقٍ تمثيليّة:** ممّا لا شكّ فيه أنّ للمسرح دوراً هامّاً في التغيير الاجتماعيّ؛ فعلى المسرح يمكن طرح المفاهيم الرّساليّة، ومعالجة المشاكل الاجتماعيّة، ونقد الظواهر الشّاذّة، وهي وسيلة ناجحة في تقوية أواصر الأخوّة والتعارف من خلال اللقاءات العامّة، وقد أصبحت هذه الوسيلة اليوم من الوسائل الهامّة، واستغلّت استغلالاً فظيعاً في إفساد المجتمع من خلال الأفلام الخليعة، والمسرحيّات الدّاعرة، فحريٌّ بنا أن نستغلّها وسيلة للإصلاح كما استغلّت عند أعدائنا للإفساد.

وأذكر تجربة حيّة قام بها المؤمنون في بغداد، حيث كانت الأعراس في أحد المناطق تقام فيها مجالس الطرب والغناء، ويتحلّل فيها كثير من النّاس من التزاماتهم الأخلاقيّة، وفكّر المؤمنون في مواجهة هذا التيّار تفكيراً إيجابيّاً، وذلك بطرح البديل المناسب، وتفتّق ذهن أحدهم بإقامة مسرحيّة بمناسبة زواج أحد المؤمنين تتضمّن لحظات ترفيهيّة، وطرح مفاهيم أخلاقيّة، سبقتها محاضرة لأحد العلماء، وبذلك استطاعوا أن يطرحوا البديل المناسب، ويغيّروا مجرى العادات الفاسدة التي اعتاد الناس عليها، وأصبح ذلك البديل هو المحبّذ والمطلوب عندهم جميعاً.

ز ـ **تكوين جمعيّات خيريّة عامّة**، تتبنّى قضاء حوائج الناس، وحلّ مشاكلهم؛ الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، وتتحمّل روح المسؤولية؛ لتبليغ النّاس رسالة الله بشكل عمليّ فعليّ منبثق من روح إسلاميّة فيّاضة بالحرص على إصلاح المجتمع، ومعالجة أمراضه، وهي إضافة إلى حلّ مشاكل النّاس فهي وسيلة عباديّة يتقرّب بها العبد إلى الله تعالى؛ فعن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لي: **يا مفضّل، اسمع ما أقول لك، واعلم أنّه الحقّ، وافعله، وأخبر به عِلْيَة**[1] **إخوانك**، قلت: جعلت فداك وما عِلْية إخواني؟

قال: **الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم**، قال: ثم قال: **ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله عزَّ وجلّ له يوم القيامة مائة ألف حاجة، من ذلك أوّلها الجنّة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنّة بعد أن لا يكونوا نصّاباً**[2]»، وكان المفضّل إذا سأل الحاجة أخاً من إخوانه قال له: «أما تشتهي أن تكون من عِلْية الأخوان»[3].

وعن عليّ بن جعفر قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: **من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنّما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه، فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله، وإن ردّه عن حاجته، وهو يقدر على قضائها سلّط الله عليه شجاعاً**[4] **من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذّباً، فإن عذره الطالب كان أسوء حالاً**»[5].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ومن هذين الحديثين نفهم أنّ قضاء حوائج المؤمنين من أفضل الأعمال؛ ولذا ينبغي أن لا يفوت المؤمنين ذلك الخير الوفير.

(١) «عِلْية إخوانك» بكسر المهملة وإسكان اللام، أي شريفهم ورفيعهم، جمع (عَلِي) كـ(صِبْيَة) و(صَبِي).
(٢) المراد بالنصاب في عرف أصحاب الأئمة: المخالفون المتعصبون في مذهبهم، فغير النصاب هم المستضعفون.
(٣) الأصول من الكافي: ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣ .
(٤) الشجاع: ضرب من الحيات لطيف دقيق، وهو بالضم والكسر: الحية الذكر.
(٥) الأصول من الكافي: ٢/ ١٩٦ .

ح ـ **تأسيس المكتبات العامّة**، سواء كانت صغيرة أو كبيرة في المساجد والمدارس في المدن والقرى والأرياف؛ لنشر الثّقافة الإسلاميّة بصورة عامّة ومراعاة المستوى الثّقافيّ لكلّ منطقة كي تكون المكتبة المناسبة للمستوى العامّ، واختيار الكتب الأكثر فائدة لكلّ المستويات، وهذا يقتضي التّنويع فيها.

والمكتبات إضافة لنشر الثّقافة فهي مكان للتّجمّع، وبناء العلاقات الاجتماعيّة والفكريّة، وفيها يتمّ التلاقح الفكريّ بين الرّواد.

أقول: كلّ هذه الوسائل التي ذكرناها وسائل سليمة يمكن الاستفادة منها في بناء العلاقات الاجتماعيّة، وتوسيع دائرة التّعارف، والتّعاون، وترسيخ أواصر المودّة، وحلّ المشاكل العامّة والخاصّة، ومعلوم لكلّ ذي عينين أنّ أعداء الإسلام سواء كانوا من حكّام الجور، أو من ذيولهم، أو من المبشّرين المسيحيّين والماسونيّين، والأحزاب العلمانيّة قد استفادوا فائدة كبيرة في نشر أفكارهم وتحقيق مطامعهم، وبهذه الوسائل استطاعوا أن يستحوذوا على شريحة واسعة من شبابنا حتى أفسدوا أذهانهم، وحرّفوا سلوكهم، ونحن في غفلة من هذا حصرونا في المساجد والحسينيّات، واقتصرنا على شريحة قليلة من المجتمع، وكثير من الأساليب المتّبعة في الأوساط الإسلاميّة أصبحت متخلّفة لا تساير تطوّر الزّمن؛ ولذا تصوّر بعض من يمارس عمليّة التّبليغ والوعظ بالطّرق المتخلّفة عندما لا يلاقي قبولاً من الشّباب بأنَّ الشباب المتعلم أصبح عدوّ الدين، ولا ينفع معه شيء؛ والحقيقة أنَّ (الشّباب ليس عدوّاً للدّين، بل هو عدوّ الأساليب المتخلّفة التي يمارسها البعض باسم الدين، وليس عدوّاً للحقيقة، بل هو عدوّ الحواجز التي تحاول أن تقدِّم له الحقيقة في ألف حجاب وحجاب)[1].

نعم لم ينتبه كثيرون إلى أنّ وسائل الدّعوة والجذب كثيرة، وميدانها واسع، ووسائلها متعددة، وهي متطوّرة بصورة دائمة، ولكلّ زمان وسائله وأساليبه،

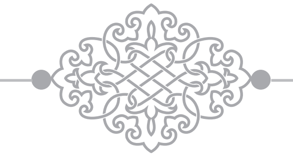
---

(١) السيد محمد حسين فضل الله، مفاهيم إسلاميّة عامّة: ١٣ .

ودیننا الحنیف من المرونة والسّعة بحیث لا تضیق به وسیلة من تلك الوسائل، ولا أظنّ عاقلاً عارفاً بدینه فضلاً عن إنسان متفقّه بدینه، متحسّس بمسؤولیّاته یعارض أحد هذه الوسائل إذا وجّهت التّوجیه الصّحیح، واستثمرت الاستثمار السّلیم للهدایة، والإرشاد، وإصلاح المجتمع، وتغییره نحو الأسلم.

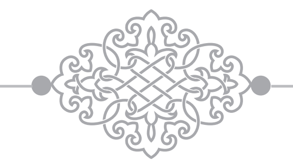
ثم لماذا یستغل أعداء الإسلام هذه السبل؛ لترویج أباطیلهم، ونشر ضلالاتهم، ونتغافل عنها، ونهملها، ولیس فیها ما یتنافی مع أحكام دیننا، بل قد ینجرّ بعض من یجهل أسالیب العمل إلى محاربتها، ورمي من یتبنّاها بالانحراف والشّذوذ، ورغم ذلك یریدون من الشّباب أن یستجیبوا لمبادئ الإسلام وأحكامه بمجرّد أن یدعوه إلى الصّوم والصّلاة، ویستجیبوا لعدالة الإسلام، وعمقه الفكري، وضمانه لسعادة الإنسان في الآخرة، وما أعدّه الله للمؤمنین من الرحمة الواسعة؛ وهم یتغافلون عن الرّواسب الفكریّة والاجتماعیّة، والعوائق في طریق الهدایة التي یضعها أعداء الإسلام في طریق النّاس؛ لصدّهم عن الإیمان، كلّ هذا یدعونا أن نعید النّظر في أسالیبنا العملیّة في دعوة النّاس إلى الله تعالى.

الفَصْلُ السَّادِسُ



عوائق العلاقات الاجتماعيّة

عوائق العلاقات الاجتماعيّة



العلاقات الفرديّة والاجتماعيّة كالكائن الحيّ الذي يتأثّر بالمؤثّرات الداخليّة الذاتيّة، والعوامل الخارجيّة، فالوضع النفسيّ، للشّخص له أثر على وضعه الخارجيّ، مثلاً لو كان الإنسان منشرح الصّدر، هادئ البال، وصافي الذّهن من التّصوّرات السلبيّة فهو أكثر قدرة على التآلف والتجاذب مع الآخرين، وأما حينما يكون منقبض النّفس، مشوّش الذّهن، حاملاً تصوّرات سلبيّة إزاء الآخرين فلا يمكن أن يتفاعل معهم، ويتحرّك للتّأثير فيهم.

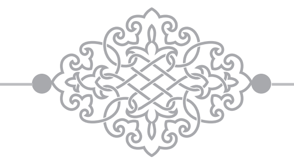
ومن هنا فإنّ سلامة الصّدر من الأمراض النفسيّة كالطّمع، والجشع، والحقد، والحسد، والتكبّر، والشَّرَه، أساس هامٌّ في نجاح أيّ علاقة يراد لها أن تثبت، وتنمو، وتثمر، وعلى العكس من ذلك لو كان الصّدر مشحوناً بهذه الأرجاس من ذمائم الأخلاق فإنّ أيّة علاقة لا بدّ وأن تنتهيَ بالفشل والخسران.

وعلى كلّ حال؛ فإنّ سلامة القلب من الأمراض الخلقيّة أساس هامٌّ في بناء الصّلات الاجتماعيّة، فينبغي لمن أراد التحرّك؛ لتكوين علاقات سليمة أن ينقّي صدره من كلّ ما تعلّق به من أوضار وأدران خلقيّة، أو سلوكيّة؛ فليس بعد ذلك وقبله آفةٌ تدمّر العلاقات الإنسانيّة كالأمراض النفسيّة والأخلاقيّة؛ لأنّها تصبح حاجزاً بينه وبين الناس، وأكبر من ذلك بينه وبين الله تعالى، ومن هذا المنطلق كان رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبلغني أحدٌ منكم عن أصحابي شيئاً، فإنّي أحب**

أن أخرج إليكم، وأنا سليم الصّدر»[1]، وليس من غرضنا أن نتعرّض لذلك بالتّفصيل، وإنّما أشرنا إليه إشارة سريعة؛ لأنَّه من بديهيّات الأمور يدركها كلّ عاقل بفطرته.

(١) الطبرسي، مكارم الأخلاق: ١٧ .

العوائق الخارجيّة



وكما أنّ للوضع النفسي أثراً على صلة الإنسان بغيره؛ فإنّ هناك عوامل خارجيّة لها تأثير على نفس الإنسان، وبالتّالي تتحوّل إلى عقبات في طريق تكوين العلاقات؛ فالأفكار المنحرفة التي تُرَوّج في المجتمع، والأعمال السيّئة والسّلوك الملتوي مؤثّرات أخرى؛ كما أنّ للمُنَاخ الاجتماعيّ والسياسيّ الذي يعيشه النّاس بما ينتشر فيه من أفكار ومفاهيم، وما تسوده من عادات وتقاليد مؤثّرات مهمّة سلباً أو إيجاباً، فمن يعيش في جوّ سليم ليس كمن يعيش المناخ الموبوء.

ونحن نعرض لبعض العوائق الخارجيّة والنفسيّة في العلاقات الفرديّة أو الاجتماعيّة، وأهمّ تلك العوائق هي:

أوّلاً: التمييز العنصريّ

لقد لعبت الأفكار القوميّة دوراً رهيباً في تمزيق الأواصر الإنسانيّة، وخلقت حواجز نفسيّة كبيرة بين الأقوام، فقسّمت البشر على أساس انتماءاتهم العرقيّة، وأخذت تُصعّد روح التّعالي لقوم على الأقوام الأخرى، وبهذا المكيدة الخبيثة، والنّعرة الشّيطانية المدمّرة، رسَّخت الحواجز بين الشّعوب والأقوام حتى أصبح المتعصّب العنصريّ لا يستطيع أن يتآلف ويتكيّف مع غير أبناء قوميّته، بل لربّما

يأنف أن يجالسهم؛ لشعوره بتميّزه عنهم، بل قد يرى حسناتهم سيّئات، وكأنّه خلق من طينة غير طينتهم؛ وهكذا ضعفت الروح الإنسانيّة فيه، وطغت الرّوح العنصريّة.

ومن العجيب أن يتمحور الإنسان بهذه الصّورة البشعة على ذاته، وعلى قومه، يقول أولبورت معرفاً «التعصّب العنصري» أنّه: «نمط للعداوة في العلاقات الشخصيّة يوجه مباشرة ضد جماعة كليّة أو ضد الأفراد، أعضاء هذه الجماعة ويؤدّي لصاحبه وظيفة نوعيّة غير عقلانيّة»[١].

فالعصبيّة بكلّ أنواعها هي من حميّة الجاهليّة، وهي (واحدة من السّجايا الباطنيّة النّفسانيّة، ومن آثارها الدّفاع عن الأقرباء، وجميع المرتبطين به، وحمايتهم، بما في ذلك الارتباط الدّينيّ، أو المذهبيّ، أو المسلكيّ، وكذلك الارتباط بالوطن وترابه... والعصبيّة من الأخلاق الفاسدة، والسّجايا غير الحميدة، وتكون سبباً في إيجاد مفاسد في الأخلاق وفي العمل، وهي بذاتها مذمومة حتّى وإن كانت في سبيل الحقّ، أو من أجل أمر دينيّ من غير أن يكون مستهدفاً لإظهار الحقيقة[٢].

والعصبيّة تكشف عن ضيق الأفق، وقلّة الإدراك لحقيقة الإنسانيّة، بل هي تحجّر عقليّ، ومرض نفسيّ، وتلوّث روحيّ، ولها آثار خطيرة على الفرد والمجتمع، لاسيّما إذا تأصّلت، وتجذّرت في نفس الإنسان؛ فإنّها تجعله ينظر من كوّة ضيّقة حرجة، ولا يمتدّ تفكيره إلى آفاق أوسع، ومن آثارها الخطيرة أنّها تنمّي روح التّعالي، والاستغلال، وحبّ السّيطرة على النّاس،حتى يصبح المتعصّب كوحش يحاول افتراس الآخرين، وتولّد روح النّفور النّفسيّ، وتجعل الشّخصيّة متصلّبة بالباطل، ومتطرّفة، وعنيفة، وعدوانيّة، وتستأصل من النّفس روح التّجاذب، والمشاركة الوجدانيّة، يقول أحد علماء النفس: «إذا وصل

(١) د.معتز سيّد عبد الله، الاتجاهات التعصبيّة: ٤٤ .

(٢) الإمام الخميني، الأربعون حديثاً: ١٤٣.

التعصّبُ إلى درجة معيّنة من الحدّة يصبح عاملاً من عوامل تقويض وحدة المجتمع، وينمّ عن اضطراب في ميزان الصّحّة النّفسيّة الاجتماعيّة مما يفسد المجتمع، ويهدّد كيانه»[1].

ويقول عالمٌ نفسيٌّ آخر: «إذا كان التّعصّب أكثر شدّة، فإنّه يؤدّي بصاحبه إلى اتّخاذ بعض الخطوات؛ لتجنّب أعضاء الجماعات الخارجيّة موضوع الكراهيّة، بصرف النّظر عن ملاءمة أو عدم ملاءمة ذلك له»[2].

وقد عرض د.معتز سيّد عبد الله مراحل متدرّجة للعصبيّة، يبيّن فيها مخاطر هذه الحالة النفسيّة المقيتة، فأوطأ درجاتها هي الامتناع عن التّعبير اللفظيّ خارج حدود الجماعة الداخليّة، وهذه الدرجة أقلّ الدرجات خطورة؛ والدرجة الثّانية: هي حالة التّجنّب والانسحاب والاعتزال لغير من يتعصب له؛ والثّالثة: هي التّمييز ومحاولة منع الآخرين من نيل حقوقهم، ووضع العراقيل أمام تقدّمهم؛ والرابعة: هي حالة الانفعال الشّديد والعدوان والهجوم الجسميّ؛ والمرحلة الأخيرة: هي التّدمير، والإفناء، والإعدام، والإبادة الجماعية خارج حدود القانون والعقل[3].

ونتيجة لهذا المرض الخبيث جرت على البشريّة مآسٍ مروّعة وحروب دامية، وبرزت وحشيّة لا نظير لها في عالم الغاب، وما يجري من التمييز العنصريّ في أميركا بين السود والبيض ليس إلا دليلاً على ذلك، فالأسود ليس له حقٌّ أن يدخل مرافق البيض، ولا يؤاكلهم، ولا يشاركهم بشيء، ولا ذنب له إلا بشرته السوداء، تلك هي تقدّمية الغرب، والأعجب من ذلك ما حدّثني به أحد المبلغين أنّ المسلمين البيض في بعض مناطق أفريقيا يمنعون السود من الدّخول إلى مساجدهم، وما جرى قبل سنوات من وحشية مروعة في جمهورية

(١) الاتجاهات التّعصبيّة: ١٣ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٧ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٥٧ ـ ٥٩ .

البوسنا والهرسك حيث التعذيب الوحشيّ والسجون الفظيعة، والإبادة الجماعيّة للمسلمين من قبل الصّرب ليس إلا دليلاً واقعيّاً على ما نقول.

ولهذا فقد حارب الإسلام هذا التوجّه الخطير وعالجه معالجة جذريّة على مختلف الأصعدة، فعلى صعيد الخَلق والتكوين أرجع البشريّة جمعاء إلى طينة واحدة من أم وأب واحد «**كلّكم لآدم وآدم من تراب**»[1]؛ وعلى صعيد الحقوق والواجبات جعل كلّ النّاس متساوين لا فضل لأحد على أحد من أيّ قوم كان، وعلى صعيد التّفاضل والمكانة الاجتماعيّة جعل العلم والجهاد والتّقوى هي الميزان الأدقّ ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[2]، يقول رسول الله ﷺ: «**يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى، أبلغت؟**» قالوا: «بَلَّغَ رسول الله»، رواه أحمد[3].

وهكذا جعل الإسلام أبناء البشر في ميزان واحد لا يتمايزون إلا بالعلم والجهاد، والتقوى؛ وهذه الثلاث، عواصم أساسيّة في حماية الإنسان من شرّ التّعصّب، ورغم ذلك كلّه، ونتيجة للجهل بحقيقة الإسلام نجد عواصف التّعصّب المذهبيّ تثور بين الحين والآخر؛ لتحصد الآلاف من أرواح المؤمنين الأبرياء،كما يجري اليوم في العراق حيث يقتل المئات في كلّ يوم لا لذنب جنوه إلا لأنّهم شيعة أهل البيت عليهم السلام.

وخلاصة الكلام: إنّ العصبيّة من أخطر العقبات في طريق بناء وتكوين العلاقات الاجتماعيّة فضلاً عما يترتّب عليها من آثار خطيرة أخرى.

---

(١) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول: ٣٤ .

(٢) الحجرات: ١٣ .

(٣) الشوكاني، نيل الأوطار: ٥/ ١٦٤ .

ثانياً: سوء الظّن

وهو مرض روحيٌّ خبيث ناتج عن الجبن فـ «**لا أجبن من مريب**»[١]، ومن سوء السّريرة، وقبح الأعمال، وقد بيّنت الأحاديث الشريفة أخطاره بدقة؛ فهو آفةُ الدّين، ماحقٌ للإيمان، مفسدٌ للعبادة، بل لجميع الأمور، وهو شرّ الإثم، وأعظم الوزر، وأقبح الظلم؛ باعث للشرور، وملقح للفتنة، فمن سيطر عليه الشّك والرّيب سلب الثّقة من نفسه بكلّ أحد، وعطل علاقاته الاجتماعيّة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من غلب عليه سوء الظّن لم يترك بينه وبين خليل صلحاً**»[٢].

فالمبتلى بسوء الظّنّ لا يستطيع أن يتآلف مع المجتمع، ولا يتحرك فيه، والأخطر من ذلك أنّه يوقف عجلة التّكامل النفسيّ، والروحيّ، والأخلاقيّ، ما دام يسيطر عليه القلق، والخوف، والهمّ، والألم في كلّ أوقاته، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**سوء الظّنّ يردي صاحبه، وينجي مجانبه**»[٣]؛ لأنّه يسلبه الثّقة حتى من نفسه، فيبقى مستبطناً للشّر رغم أنّه يحاول أن يظهر الخير، وبذلك يكون ذا وجهين من التعامل، فحتى لو بنى علاقات مع الآخرين يبقى الرّيب والشّك مسيطراً على نفسه، وتصبح علاقاته علائق نفاق، وخداع، وتصنّع، ومن آثاره أنّه يخمد في النّفس شعلة الحبّ والمودّة، وينمّي شجرة الخلاف والشقاق.

هذا على مستوى الفرد، وأما آثاره السلبيّة على المجتمع؛ فإنّه يمنع التعاون، ويفرّق الكلمة، وينافر القلوب، ويشعل نار الفتن والحروب، ويدفع الإنسان لتتبّع عيوب الآخرين، فيبقى متلصصاً متجسّساً جامعاً لسيّئات الآخرين، وحتى لو اطّلع على حسناتهم فسّرها بصورة معكوسة؛ لأنّه لا ينظر إلى الأشياء على حقيقتها، إنّما ينظر إليها من خلال التصوّرات التي يحملها، والمشوبة بروح

(١) الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٦٤، ح/ ٥٦٩٠ .
(٢) المصدر نفسه: ح/ ٥٦٨٢ .
(٣) المصدر نفسه: ٢٦٣، ح/ ٥٦٧٤ .

الشّكّ والرّيبة؛ فـ «**من ساءت ظنونه اعتقد الخيانة بمن لا يخونه**»[1]، كما ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولهذا عدَّ علماءُ الأخلاق سوءَ الظّنّ من المهلكات، يقول الشيخ النراقي: «ولا ريب في أنّ من حكم بظنّه على غيره بالشرّ، بعثه الشّيطان على أن يغتابه أو يتوانى في تعظيمه وإكرامه، أو يقصر فيما يلزمه من القيام بحقوقه، أو ينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيراً منه، وكلّ ذلك من المهلكات، على أنّ سوء الظّنّ بالنّاس من لوازم خبث الباطن وقذارته، كما أنَّ حُسْنَ الظّنّ من علائم سلامة القلب وطهارته، فكلّ من يسيء الظّنّ بالنّاس، ويطلب عيوبهم وعثراتهم فهو خبيث النّفس، سقيم الفؤاد، وكلّ من يحسن الظّنّ بهم، ويستر عيوبهم فهو سليم الصدر، طيب الباطن؛ فالمؤمن يظهر محاسن أخيه، والمنافق يطلب مساويه، وكلّ إناء يترشّح بما فيه»[2]، انتهى كلامه رفع الله مقامه.

ونحن لسنا بصدد بيان هذا المرض النفسيّ بصورة مفصّلة أو بيان علاجه، وإنّما أشرنا إليه بصورة مختصرة بكونه من العقبات الأساسيّة في طريق بناء العلاقات الاجتماعيّة.

وقد حذّر الإسلام العظيم بشدّة من هذا الوبال الخطير المهلك، وأمر باجتناب أكثره، وعدّه إثماً وذنباً عظيماً، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[3].

ففي هذه الآية إشارة لطيفة ونكتة دقيقة حيث قال تعالى: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ**﴾ ولم يقل جميعه؛ لأنّ العاقل لا ينبغي له أن يحسن الظّن بكلّ أحد على الإطلاق، وإنّما ينبغي أن يضع على تصرّفات بعض الناس علامات استفهام،

(١) المصدر السابق: ٢٦٤، ح/ ٥٦٨١ .

(٢) الشيخ النراقي، جامع السعادات: ١/ ٢٨٠.

(٣) الحجرات: ١٢ .

ويقف موقف الحذر المراقب بدقّة دون أن يسيء الظّن بهم أو يرتّب على ذلك أثراً حتى تنكشف حقائق الأمور، وهذا من باب الاحتياط خشية الوقوع في شباك شياطين الإنس، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة؛ فقد عرّض نفسه للهلكة، والعاقبة المتعبة»[1].

كما ورد: «**لا تثق بالصّديق قبل الخبرة**»[2]؛ لأنّ «**الطمأنينة قبل الخبرة خلاف الحزم**»[3].

ومن هنا أكّدت تعاليم أهل البيت عليهم السلام بضرورة اختبار الإنسان قبل اتّخاذه أخاً وصديقاً وحميماً يطمئنّ إليه، ونحن نذكر جملة من أقوال سيّد الحكماء أمير المؤمنين، يقول عليه السلام: «الطمأنينة إلى كلّ أحد قبل الاختبار من قصور العقل».

وقال عليه السلام: «**قدِّم الاختبار، وأجدّ الاستظهار في اختيار الإخوان، وإلا ألحاك الاضطرار إلى مقارنة الأشرار**».

وقال عليه السلام: «**من اطمأنَّ قبل الاختبار ندم**»[4].

إذاً ليس للإنسان العاقل أن يطمئنّ إلى كلّ أحد بدون معرفة مسبقة، واختبار دقيق، وأفضل طرق الاختبار هي الصّحبة والمرافقة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**كفى بالصحبة اختباراً**»[5]؛ فمصاحبة الشّخص ومرافقته تكشف حقيقته للإنسان بشكل جيّد، ورغم ذلك كلّه يبقى حسن الظّنّ هو الأصل، والعكس استثناء، وهذا يختلف حسب طبيعة الوضع الاجتماعيّ من حيث صلاح المجتمع، وفساده، والظروف الزمانيّة السائدة فيه؛ فالناس أبناء بيئتهم، وما تربّوا عليه، وما ورثوه من عادات، وتقاليد، وقيم، وهذه تختلف من زمان إلى زمان، ومن بيئة إلى أخرى،

(١) الشهيد الأول، الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة: ٤٠، وبحار الأنوار: ٧١/ ٣٤٠.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٦، ح/ ٩٤٩٨.

(٣) المصدر نفسه: ٦١، ح/ ٧٠٢.

(٤) المصدر نفسه: ٤١٦، ح/ ٩٤٩٠ ـ ٩٤٩١ ـ ٩٤٩٧.

(٥) المصدر نفسه: ح/ ٩٤٩٣.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا استولى الصّلاح على الزّمان وأهله، ثمّ أساء رجلٌ الظّنّ برجل لم تظهر منه خِزْيَةٌ فقد ظلم، وإذا استولى الفساد على الزّمان وأهله فأحسن رجل الظّن فقد غَرَّرَ**»[١].

كما أنّ القاعدة الأساسيّة في الإسلام هي الحمل على الصّحّة حتى يثبت العكس، وبناءً على هذه القاعدة ينبغي التماس وجوه الصّحّة للآخرين، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**اطلب لأخيك عذراً، فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً**»[٢].

وعنه عليه السلام: «**ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً**»[٣].

وعنه عليه السلام: «**لا تظنّنّ بكلمة خرجت من أحد سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محتملاً**»[٤].

وخلاصة القول: إنّ سوء الظنّ من العقبات الشّديدة في طريق بناء العلاقات؛ ولا بدّ من التخلّص منها لمن أراد أن يدخل إلى المجتمع، ويعمل على تغييره، وقيادته؛ لأجل إصلاحه.

ثالثاً: الخشونة والغلظة

وهي نوع من الفضاضة، ويقابلها الرّفق واللّين، وسماحة الطّبع، ودماثة الخلق.

هناك فرق كبير بين مسّ الحرير، وبين مسّ حسك السعدان؛ فليس الأشواك كالأوراد كذلك ليس غلظة الطبع وخشونة المعاملة كالسّماحة والرّفق؛ هذا ما يدركه كلّ إنسان بوجدانه ويحسّه في واقعه، فليس معاناة من يحصد الشّوك

(١) نهج البلاغة: ٥٠٥ ، الكلمات القصار: ١٠٨ ، وغرّر: أي أوقع نفسه في الغرر وهو الخطر.
(٢) الشيخ الصدوق، كتاب الخصال: ٦٢٢ .
(٣) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي: ٢/ ٣٦٢ .
(٤) نهج البلاغة: ٥٤٥، الكلمات القصار: ٣٥٠ .

بأكثر من معاناة من يعامل إنساناً غليظ الطّبع، خشن المعاملة؛ فإذا كان الشّوك يجرح البدن، ويسيل الدّماء؛ فإن فظاظة الطّبع، وخشونة المعاملة تجرح الشّعور والعواطف، وتهدر الكرامة.

والإنسان بفطرته ينجذب إلى من يعامله بلطف، ورفق، ولين، ويتذمّر ويفرّ ممن يقابله بشدّة، وغلظة، وحدّية، وبما أنّ الإسلامَ دينُ الفطرة فقد حثَّ على الرّفق واللّين، وقد وصفته أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام بأنّه: رأس العلم، وعنوان النّبل والسّداد، ومفتاح الصّواب والنّجاح، وشيمة ذوي الألباب، وأنّه تمام المروءة، وخُلق الإيمان، ونِعم الرّفيق، وأشرف سجايا الإنسان، وخير خلائقه، وأكرم طبائعه، وبه تحصل المقاصد، وتدرك المآرب، وتنال الغنائم، وتدوم الصّحبة، وتستدرّ الأرزاق، وتستجلب المحبّة، وتيسّر الصّعاب، وتحلّ الشّدائد، وتسهّل الأسباب، وسبيل التوفيق، وما كان في شيء إلا زانه[١].

والرِّفْقُ لغةً هو: «لين الجانب، وهو خلاف العنف»[٢].

لقد أكّد القرآن الكريم والسّنّة المطهّرة على ضرورة الاتّصاف باللّيونة والرّفق، ومراعاة الشّعور والعواطف والأحاسيس للآخرين، وجعلها الأساس في تأليف قلوب النّاس، وجمعهم على محور التّوحيد، وهي فضل من الله ورحمة يجود بها على خلّص عباده، يقول تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[٣].

فالفظاظة والخشونة من العوامل التي توسّع الفجوة بين النّاس، وتنافر القلوب، وتفتّت الصّفوف، وهي بمثابة سيف يُقطّع أوصال الجسم ويبدّده؛ ولهذا وضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المداراة للنّاس في مصاف أداء الفرائض، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «**أمرني ربّي**

---

(١) راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، باب الرّفق.

(٢) الشيخ الطريحي، مجمع البحرين: ٥/ ١٧١ .

(٣) آل عمران: ١٥٩ .

بمداراة النّاس كما أمرني بإقامة الفرائض»[١].

وواضح أنّ ما يوضع بمصافّ أداء الفرائض يكون من الأهميّة الكبيرة بمكان، وقد رأينا في واقعنا الاجتماعيّ ما من إنسان كان رفيقاً في تعامله، مدارياً للناس، عطوفاً سموحاً إلا قويت جبهته، وكثرت أتباعه، واشتدّت محبته في القلوب، وقد صوَّر أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة بأجمل عبارة وأخصرها، قال عليه السلام: «**من لانَ عوده كثفت أغصانه**»[٢].

ويقول عليه السلام: «**أَلِنْ كنفك؛ فإنّ من يلن كنفه يستدم من قومه المحبّة**».

«**بلين الجانب تأنس النفوس**».

«**من لانت كلمته وجبت محبّته**».

«**من لم يحسن الاستعطاف قوبل بالاستخفاف**»[٣].

وهكذا تكون اللّيونة والمداراة والتي هي أثر من آثار الرّحمة والقوّة في الشخصيّة، تفرض المحبّة على النفوس، وتجذبها إليه؛ فمن فقدها فقد عرّض نفسه للسّخرية، والاستخفاف، وعدم الاحترام، وفقدان الهيبة والمنزلة في قلوب النّاس.

وأسمى درجات السّماحة الإنسانيّة، وأعلى مراتب المداراة والرحمة مقابلة الإساءة بالإحسان، وهي خلق الأنبياء، ودأب الأولياء الذين لا هَمَّ لهم في الدُّنيا سوى نيل رضا الله، ولم يجد الحقد والغيظ إلى قلوبهم سبيلاً، ولذا نرى سيّد السّاجدين يتوسّل بالله في ضراعة بالغة، وأدب سامٍ حيث يقول عليه السلام:

«**اللّهُمَّ صلّ على محمّد وآله، وسدّدني لأن أعارض من غشَّني بالنُّصح،**

---

(١) الشيخ الطوسي، كتاب الأمالي: ٧١١.

(٢) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ٤١٤، ح/ ٩٤٣٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥٠، ح/ ٥٢٠٢ـ ٥٢٠٦ـ ٥٢٠٧ـ ٥٢٠٨.

وأجزي من هجرني بالبرّ، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصّلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذّكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السّيّئة. اللّهُمَّ صل على محمّد وآله، وحلّني بحلية الصّالحين، وألبسني زينة المُتَّقين في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضمِّ أهل الفرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح، وحسن السّيرة»[1].

تلك هي الأخلاق السّامية يرزقها الله للطاهرين من عباده الذين خلّصوا قلوبهم من ذمائم الأخلاق، وأدران الذنوب.

ونحن وإن كنّا قد أسهبنا الحديث في الرّفق واللّين والمداراة مع أنّ المعنون هي الغلظة والخشونة فهو من باب ذمّ الشّيء في بيان محاسن ضدّه.

رابعاً: المراء والجدال

المراء لغةً هو: «المجادلة فيما فيه المِرْيَة والشّكّ»[2].

واصطلاحاً هو: «طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير غرض سوى تحقيره وإهانته، وإظهار تفوّقه وكياسته.

والجدال: مراء يتعلق بإظهار المسائل الاعتقاديّة وتقريرها»[3].

وقد تكون علّة هذه الحالة العداوة، والحسد، والشّعور بالنّقص، والأرجح أنّها نتاج: حبّ الظهور، وطلب الشّهرة، وجلب الأنظار، بإظهار الجديد من الأفكار والآراء الغريبة سواء كانت حقاً أو باطلاً؛ ليبرز كشخصيّة علميّة مثقّفة؛ فيبدأ بالتعرّض لكلّ قول، فيشكل عليه، ويحاول تفنيده، وإظهار مثالبه بالمغالطات اللّفظيّة، وقد يبرز ذلك حتى في طلب العلم الذي هو أفضل القربات

---

(١) الصحيفة السّجّاديّة: دعاء: ٢٠ ، دعاء مكارم الأخلاق.

(٢) مجمع البحرين: ١/ ٣٩٠ .

(٣) جامع السعادات: ٢/ ٢٨٢ .

إلى الله تعالى، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**طلبة العلم ثلاثة، فاعرِفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل؛ فصاحب الجهل والمراء مؤذٍ ممارٍ، متعرّض للمقال في أندية الرّجال بتذاكر العلم، وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع، وتخلّى عن الورع، فدقَّ الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه...الخ**»[1].

ولهذه الحالة آثار سلبيّة كبيرة على الفرد ذاته فهي تُمرض القلب، وتشغله، وتورث النّفاق، وتكسب العداوة، وتكشف المساوئ، وتذهب بهاء الإنسان، وتسقط هيبته، وهو بذرة من بذور الشّرّ، وبهذا جاءت النّصوص صريحة في ذمّه؛ فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إيّاكم والمراء والخصومة؛ فإنّهما يمرضان القلوب على الأخوان، وينبت عليهما النفاق**»[2].

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إيّاكم والخصومة، فإنّها تشغل القلب، وتورث النّفاق، وتكسب الضغائن**»[3].

ولهذا حبّذ لنا الإسلام العزيز ترك المراء والجدال ولو بالحقّ؛ روى عبد الله بن صالح الهروي عن الرضا عليه السلام: «**دع المماراة**» أي دع المجادلة فيما فيه المِرْيَة والشّكّ؛ فإنّها تؤول إلى العداوة والبغضاء؛ ولذا قال عليه السلام: «**اترك المراء ولو كنت محقّاً**»[4].

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ثلاث من لقي الله عزَّ وجلّ بهنّ دخل الجنّة من أيّ باب شاء: من حَسّنَ خُلَقَه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقّاً**»[5].

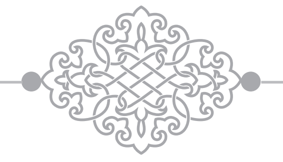
---

(١) الأصول من الكافي: ١/ ٤٩، كتاب فضل العلم، باب النوادر: ح٥ .
(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٣٠٠، باب المراء والخصومة.
(٣) المصدر نفسه: ٢/ ٣٠١ .
(٤) مجمع البحرين: ١/ ٣٩٠ .
(٥) الأصول من الكافي: ٢/ ٣٠٠ .

وبعد هذا يتبيّن لنا أنّ كثرة الجدال والتعرّض لحديث النّاس؛ لأجل حبّ الظهور، وأذيّة الآخرين من دون قصد إظهار الحقّ أحد الأمور الهامّة التي تنفّر القلوب، وترفض الشّخص ولا تقبله بحال، وبذلك يكون المراء والجدال أحد العوائق في طريق الروابط الاجتماعيّة، وربما يهدم ما كان قد بناه الإنسان ما دام المراء يكشف عيوب الإنسان، ويظهر نواقصه، ويجلي حقيقته، أعاذنا الله من خبث السرائر، وسوء الضمائر، ورزقنا الصدق في القول والعمل.

وقد تمّ الفراغ من تصحيح هذا البحث وتنقيحه في يوم ٧/ صفر الخير/ ١٤٣٧هـ في النجف الأشرف، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

المصادر والمراجع



١ ـ القرآن الكريم، كتاب الله تعالى.

٢ ـ الاتجاهات التّعصبيّة، د. معتز سيّد عبد الله، سلسلة عالم المعرفة، ١٣٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مايو، ١٩٨٩م.

٣ ـ الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، تعليق: السيد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٦٨هـ، ١٩٦٦م.

٤ ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥ ـ الاختصاص، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٦ ـ اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ الطوسي، تصحيح وتعليق: المعلم الثالث: مير داماد الأسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤هـ.

٧ ـ الآداب المعنوية للصلاة، الإمام الخميني، ترجمة: العلامة أحمد الفهري، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٨ ـ الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، تعريب: السيد محمد الغروي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.

٩ ـ أصول علم النفس، دكتور أحمد عزّت راجح، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٨م .
١٠ ـ الأصول من الكافي، ثقة الإسلام الكليني (٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار صعب، ودار التعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ .
١١ ـ الإعلام والدعاية، الدكتور محمّد عبد القادر حاتم، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣.
١٢ ـ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د. ت.
١٣ ـ اقتصادنا، الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الناشر، دار الصدر، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ .
١٤ـ ألف حديث في المؤمن، الشيخ هادي النجفي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٦هـ .
١٥ـ الأمالي، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ .
١٦ـ الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله العلايلي، دار مكتبة التربية، بيروت، ١٩٧٢م.
١٧ـ بحار الأنوار، المحدث محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٢هـ . ش.
١٨ـ البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.
١٩ـ تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٢٠ـ تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي (٧٢٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٢١ـ تحرير الوسيلة، الإمام الخميني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.
٢٢ـ تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٢٣ـ تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التّاسعة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.
٢٤ـ تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي، المحقق: مصطفى الدرايتي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى.
٢٥ـ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (٣٢٠هـ)، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
٢٦ـ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.
٢٧ـ تفسير من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
٢٨ـ تنظيم المجتمع.
٢٩ـ تنوير الحوالك، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٣٠ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ هـ ش.

٣١ـ جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي (١٢٠٩هـ)، تصدى لنشره والتعليق عليه وتصحيحه: السيد محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.
٣٢ـ الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٣٣ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٣٤ـ الحرب النفسيّة في الوطن العربي، د.حامد ربيع، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٩م.
٣٥ـ حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، الشيخ محمد علي التسخيري، ايران، ١٩٩٥م.
٣٦ـ الخرّاجيات، المحقق الكركي (٩٤٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٣هـ.
٣٧ـ الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، دار الإمام الحسن عليه السلام، قم، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٣٨ـ دائرة المعارف، بطرس البستانيّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٣٩ـ دار السلام، الميرزا حسين النوري (١٣٢٠هـ)، انتشارات المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الثالثة.
٤٠ـ الدّرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة، الشهيد الأول (٧٨٦هـ)، انتشارات زائر، قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ ش.
٤١ـ دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي (٣٦٣هـ)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.
٤٢ـ دور العلاقات العامّة في التنمية، محمد ناجي الجوهر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٤٣- ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت.
٤٤- رسالة للأخلاق، السيد مجتبى الموسوي اللاري، إعداد: لجنة التعريب والتحقيق في الدار الإسلامية، محمد هادي اليوسفي الغروي، الدار الإسلاميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
٤٥- زبدة البيان في أحكام القرآن، المقدّس الأردبيلي (٩٩٣هـ)، تحقيق وتعليق: محمد الباقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران.
٤٦- السّنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، دار الفكر.
٤٧- سنن النبي ﷺ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ)، كتابفروشي إسلامية، الطبعة الخامسة، ١٣٧٠هـ ش.
٤٨- السّيرة النّبويّة، ابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الرّائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٤٩- السّيرة النّبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السّقا، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار القلم، بيروت، د.ت .
٥٠- شرح رسالة الحقوق، السيد حسن القبانچي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم، ١٤٠٦هـ.
٥١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
٥٢- شروح سقط الزّند، تحقيق عدد من الأساتذة بإشراف الدكتور طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٥٣- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٥٤- صحيح مسلم بشرح النوويّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٥٥- الصّحيفة السجّاديّة الكاملة، من أدعية الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام، تقديم وشرح: الشيخ غالب عسيلي، توزيع: مؤسسة التربية الإسلامية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٥٦- الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد (٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.
٥٧- الطفل بين الوراثة والتّربية، محمّد تقي فلسفي، تعريب: فاضل الحسيني الميلاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٥٨- العلاقات العامة، الدكتور أحمد كمال أحمد، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٥م.
٥٩- عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الإحسائي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى، مطبعة سيد الشهداء، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٦٠- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
٦١- فلسفتنا، الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الناشر، دار الصدر، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
٦٢- في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.
٦٣- في عالم المراهق، عدد من المؤلفين، ترجمة: الدكتور عبد الله شحود النّظامي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ١٩٨٧م.
٦٤- كتاب الأمالي، شيخ الطائفة الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفري، وعلي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ.ش.

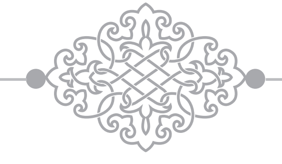
٦٥ـ كتاب الخصال، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.
٦٦ـ كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد العجلوني (١١٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٦٧ـ كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال، المتقي الهندي (٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
٦٨ـ كيف تختار الأصدقاء وتؤثّر في النّاس، ديل كارنيجي، ترجمة: محمّد عبد المنعم الزّيادي، دار النّدوة الجديدة، بيروت، لبنان.
٦٩ـ كيف تكسب رئيسك وتحبّ عملك، إعداد وتقديم: أخصائيّين في العلوم الإداريّة وعلم النّفس، المركز الدولي للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
٧٠ـ مبادئ العلاقات العامة في البلدان النامية، د. مختار التهامي، وإبراهيم الداقوقي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
٧١ـ مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (١٠٦٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٦٢هـ. ش.
٧٢ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي (٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٧٣ـ المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية.
٧٤ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور (٧١١هـ)، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، روحية النحاس، محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٧٥ـ مدخل إلى علم الاجتماع العام، غي روشيه، ترجمة وتحقيق: مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
٧٦ـ المدرسة القرآنية، الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الناشر، دار الصدر، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ .
٧٧ـ مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي (١٤٠٥هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ .
٧٨ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوري (١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
٧٩ـ مستند الشيعة في أحكام الشريعة، المحقّق النراقي (١٢٤٥هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٥هـ .
٨٠ـ مصادقة الأخوان، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، مكتبة الإمام صاحب الزمان العامة، الكاظمية، العراق، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.
٨١ـ مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م.
٨٢ ـ مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .
٨٣ ـ مفاهيم إسلامية عامة، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، لبنان، الطبعة الثّالثة، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م.
٨٤ ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م.
٨٥ ـ مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

٨٦ ـ مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢م.
٨٧ ـ الملحمة الحسينيّة، الشهيد الأستاذ مرتضى مطهّري، المركز العالمي للدراسات الإسلاميّة، مطبعة القدس، قم، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م.
٨٨ ـ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية.
٨٩ ـ المنهج الحركيّ في القرآن الكريم، عبد اللّطيف الرّاضي، دار المنتدى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٩٠ـ منية المريد، الشهيد الثاني (٩٦٥هـ)، تحقيق: رضا المختاري، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .
٩١ ـ موعد اللّقاء، رسائل سماحة الإمام الخميني رضوان الله عليه إلى سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، الشؤون الدوليّة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٩٢ـ الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، الطبعة الثّالثة، ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م.
٩٣ـ ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، إصدار: ندوة مالك بن نبي، طرابلس، لبنان.
٩٤ ـ نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، محمد الزرندي الحنفي (٧٥٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ ، ١٩٥٨م.
٩٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة.

٩٦ـ نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، لجامعه الشريف الرضي (٤٠٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء المقدسة، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٩٧ ـ نيل الأوطار، الشوكاني (١٢٥٥هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.
٩٨ ـ هتلر في الميزان، عباس محمود العقاد، من ضمن «المجموعة الكاملة» له، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.
٩٩ ـ هكذا عرفتهم، جعفر الخليلي، انتشارات الشريف الرضي، قم، إيران، ١٤١٢هـ.
١٠٠ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحرّ العاملي (١١٠٤هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

الفهرست



الفصل الأول

أهميّة العلاقات في حياة الإنسان

الفصل الثاني

العلاقات الاجتماعيّة في الإسلام

الفصل الثّالث

العلاقات الجماهيريّة

الفصل الرابع

تأثير الإعلام في العلاقات العامّة

الفصل الخامس

رجال العلاقات

الفصل السّادس

عوائق العلاقات الاجتماعيّة


المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام